Muršid al-kāhin

K. Muršid al-kāhin li-l-anbā Būluṣ as-Sinīrī

يجوز لك احيانًا ان تلزمه بالا يذكر فى اعترافه خطية ما مشكوكًا فيها . بل ان يذكر هذه فقط . اعنى بها تلك التى يقدر ان يوكدها بالحلف . وفى حين ايرادك له هذا التعليم . احذر من ان تظهر نفسك مرتابًا مشككاً فى تعليمك بل تكلم بجرية كلية . لان الجراح المرتجف اليد ليس بقابلٍ لمباشرة وظيفته *

ثم احذر من ان تعطى لهذا التلميذ اذنًا لان يبرز نذرًا ما . لان هذه السلاسل الذهبية نعم انها تفيد جدًا لاتحاد النفس بالله . الا انها لا تناسب مناكب انسانٍ يستصعب المسير بارجل موثوقة . بل اشور عليك بهذا . وهو انه ان رايت تلميذك قد نذر شيًا . فاما ان تبذل نذره . اما ان تحلهُ منه كحسب السلطان الممنوح

* لك فى ذلك *

***

ثم الكتاب بمنة الملك الوهاب

والحمد لله

* وحده *

الروحى . ولاجل ما يضرّ نفسه حينما يحارب اعداء خياليين ويتغاضى عن محاربة اعدايه الحقيقيين . مقتديًا بضوميسيانوس الملك الغبى الذى كان يصرف زمانه فى رشق الدبان بقوسٍ من ذهب . ويدع البرابرة يدخلون مملكته ويتملكونها * فان صيرت تلميذك بمثل هذه الحجج ان يعزم على الطاعة لك . فاحتسب ان داءه قد شفى . اوصه حالًا بانه يصمت الى الابد عن جميع اعترافاته السالفة . لاسيما اذا ما اجتهد فى هذا الامر اجتهادًا معتدلًا . مرّنه على الازدرا بالوساوس . وعلى ممارسة العمل بخلاف انذار عقله . حتى فى الحين الذى يجد نفسه متبرقعه بظلمات هذا الفزع الوهمى ايضًا . كما تفعل الشمس التى لا تزال فى حين انكسافها ثابتة على مسيرها * اوضح له انه فى هذه الحال هو اقل التزامًا من ذاك الذى يكون ضميره غير متسجس . ومن ثم لايحتاج فى امر الاعتراف الى ان يفحص ضميره بمقدار ما كان ينبغى له ان يفحصه لو يكون غير موسوس . وقولى هذا يلاحظ على الخصوص الافكار التى قد يمكنك احيانًا ان تمنعه بالكلية عن ذكرها فى الاعتراف . مكتفيًا بالقرار عما صدر منه خارجًا بالعمل او بالكلام . وان اتفق انه بطاعته هذه لك اهمل ذكر خطية ما يقتضى سر الاعتراف ذاتًا ان تُذكر . فلا باس من ذلك . من اجل انه لا يلتزم فى هذه الحال بهذا التدقيق . فيما يخص ذكر الخطايا بمثل هذه الصعوبة والضرر . بل

يجوز

خطايانا من اجل اسمك * الصلوة السابعة: امل باذنك الى طلبتى فقد امتلات من الشرور نفسى وحياتى الى الجحيم دنت * الصلوة الثامنة: يارب متى تنظر. استر نفسى من شرهم ومن الاسد وحدتى * الصلوة التاسعة. اطى فلا تبعد عنى لان الشدة قريبة وليس لى معين * الصلوة العاشرة: انظر ايها الاله ساترنا واطلع على وجه مسيحك مخلصنا. ولاجل استحقاقاته وحبًا له استجب لنا * الصلوة الحادية عشرة: ارحمنى يالله ارحمنى فان عليك توكلت نفسى. وبظل جناحيك استتر الى ان يعبر الاثم *

فان مرّن تلميذك نفسه على هذا النوع من الصلوات. فلا جرمَ انه بها يريح قلبه. لانه قد يتفق مراتٍ كثيرةً ان الله تعالى يجعل نفسه نائمًا ويدعنا مضطربين فى حين عواصف مرهبة من اجل اننا لا ننبهه بالصلوة. ولانطلب منه سبحانه ان يامر الرياح بالسكون والامواج بالهدو *

ثم ان مداواة هذا الداء تقتضى ايضًا الطاعة. وبدونها باطلًا يرجى الشفا. فاقتد اذًا بالملوك الذين حينما يرون البلاد قد تسجست بالحرامية. فيجلبون قومًا منهم ويقيمونهم اعوانًا لهم على محاربه بقية الحراميه ويبيدونهم * فاصنع انت هكذا مع تلميذك الموسوس. اى استخدم الوساوس ضد الوساوس. اوضح له ما ارهب ما يكون حسابه عند الله تعالى لاجل عدم طاعته لابيه الروحى.

ان قليلين هم اوليك الجزيلوا الشجاعة . الذين فى حال هذا السجس العقلى يستطيعون ان يواظبوا على الصلوة . كما فعل موسى فى وسط رعود طورسينا . فمن ثم يجب ان يغنى تكاثر الصلوة عن اطالتها : فعليك اذاً بان تعلم هولاء التلاميذ ان يكرروا مراتٍ كثيرةً فى النهار بعض نوافد روحية ذات تقوى وعبادة . متضمنة عواطف الرجا والاتكال على الله تعالى وطلب عونه . وها انا اورد لك بعضًا من هذه الصلوات القصيرة المتخذة من الزبور الالهى . وعليك ان تعلم التلميذكم مقدار ما يحتاج الى استعمالها مراتٍ كثيرةً حسب مشورة الحكيم القايل : يا بنى فى حين مرضك لا تتهاون بنفسك ولكن صل الى الرب وهو يشفيك (ابن سيراخ ٣٨) *

الصلوة الاولى : انا لك فخلصنى . انا عبدك ومن خاصتك وقد يلزمك حق ربوبيتك وسلطانك علىَّ بالاهتمام بى * الصلوة الثانية : ارنا وجهك فنخلص . يكفينى ان تنظر الىّ لكى انجو من شدتى * الصلوة الثالثة : لتصيّرك رحمتك ان تعزينى نظير قولك لعبدك ووعدك له * الصلوة الرابعة : فرّح نفس عبدك لانك انت يارب صالح نحو الصديقين . ووديع نحو الخطاة وكثير الرحمة نحو المستغيثين بك * الصلوة الخامسة : انى صرخت لانك قد استمعتنى . انصت يالهى بسمعك واسمع كلامى . عجّب رحمتك يامخلص المتوكلين عليك * الصلوة السادسة : من اجل مجد اسمك نجنا يارب واغفر خطايانا

قدام ولنفحص عن العلامات الدالة عليه فنقول *
كما ان كل عطشٍ ليس هو عطش انسانٍ مستسقٍ . كذلك كل خوفٍ ليس هو خوف انسانٍ موسوس . لكون الخوف الناشى عن الوسواس . هو الذى لا يستقر بالعقل ولا يقنع بالصواب . كما ان العطش الصادر من المرض هو الذى لا يطفا ولا يزول بالشرب المعتدل * فهذا هو الدليل الافضل الذى به تستطيع ان تميز الموسوسين . وهو حينما لا يقتنعون بحجة ما من حجج الصواب . ويمارسون مع ذلك افعالهم باضطرابٍ . وفى امرٍ واحدٍ ينتقلون مراتٍ كثيرة من رايٍ الى راى . محتسبين العمل تارةً جايزًا . وتارةً غير جايز . مرتابين فى كلما يفعلونه . كانهم فى كل خطوةٍ عتيدون ان يتهوروا فى هاويةٍ . وهاربين مما لا يعرفونه . نظير ما فعل المصريون الذين لما احاطت بهم الظلمات المذكورة فى الكتاب المقدس كانوا يخافون بسببٍ وبغير سبب (حكمة ١٧) . على انه لم يكن يرهبهم صوت الوحوش الزايرة فقط . بل ان الصوت الخارج من تجويفات الجبال ايضًا كان يخيفهم ويرجفهم . فبهذه الدلايل وما يضاهيها يتميز داء الموسوسين . اما الادوية الملايمة لمداواته . فهى الصلوة والطاعة *

اننا قد تقدمنا فقلنا عن الصلوة انها ضرورية لكل شىء . الا انها هى جزيلة الضرورة جدًا جدًا للنفس الموسوسة . وذلك ليلا تساق فى حال هيجان بحر الوسوسة الى صخرة الياس والقنوط * غير انه من حيث

تستطيع ان تستعملها كلها . من اجل ان داءهم صادرٌ من امرين يضاد احدهما الاخر . ومرضهم حاوٍ اضرار الضمير الواسع واضرار الضمير الموسوس . فبقى لنا اذًا ان نتكلم عن النوع الاخر من التوسوس المقترن بمخافة الله المقدسة *

فنقول ان هذا الدا يصدر اما من الله تعالى . واما من الشيطان . واما من طبع النفس الموسوسة * فالمصدر الاول هو الله عينه . الذى يهمل احيانًا النفس فى حال ظلماتٍ محزنة . وحينما تكون فى هذه الحال . نعم انها تحب الله حقًا . الا انها لا تشعر بذلك . بل تتوهم انها تفترى عليه عزوجل * الا ان هولاء الموسوسين لا يستمرون غالبًا مدة مستطيلة على هذه الحال . لانه تعالى كما قال النبى: لا يدع الصديق مضطربًا الى الدهر (مزمور ٥٤) . بل بعد زمنٍ ما معين من عنايته الالهية لامتحان النفس وتطهيرها . يتحوَّل اضطرابها الى التعزيه الباطنة *

اما مصدر هذه الوساوس الثانى فهو الشيطان . ذاك الذى بالسلطان الممنوح له على مخيلتنا يسجسها بخيالاتٍ محزنة مرهبة . غير مبالٍ من ان يكون الخوف المسبب منه باطلاً . ولا موسسًا على سببٍ داعٍ . لانه يكفيه ان يملك اربه الذى هو السجس والاضطراب *

ثم ان مصدر هذه الوساوس الثالث الاكثر اعتيادًا . هو طبعٌ ما خاص مايلٌ بالانسان العنيد الى الخوف . او الى الحزن . فبعد ان اوردنا اسباب هذا الداء فلنتقدم الى ما قدام

فيلزمك ان تخاطبهم على الدوام عن ادوية جديدة او اطبا جدد تدعهم ان ينقصوا مدة حياتهم بواسطة ما يستعملونه لاجل اطالتها . لعمرى ان حال هولاء المرضى نظير حال الانام الموسوسين الذين عنهم وعن كيفية مداواة دايم يجب ان نتكلم الان *

غير انه من حيث ان هذا المرض يقتضى مداواة مختلفة عن مداواة بقية الامراض . ولكى لا يزلّ الطبيب الروحى بالعلاج . فينبغى له ان يتفحص جيدًا عن ماهية الداء واسبابه ودلايله المتقدمة . ثم يفتكر فى الادوية الملايمة له . فاعلم ان الوسوسة التى نحن فى صددها ليست هى سوى وَهم باطل . واضطراب نفس تفزع من ان يكون خطية حقًا ذاك الذى ليس هو خطية . فكل من تكون حاله هذه الحال يدعى رجلاً موسوسًا *

اعلم اننى لست اتكلم هنا عن نوع ما من الموسوسين جزيل الشر جدًا . وهم الذين يخطيون بحرية كليه من دون اضطراب . ولا يتسجسون الا من قبل كيفية الاعتراف عن ذنوبهم . وان تبين لهم انهم اوردوها بالتدقيق فيقتنعون بهذا مستريحين متعزين . غير مفتكرين فى اصلاح سيرتهم بالكلية . فهولاء يشبهون الفريسيين الذين كانوا يقتلون الانبيا بسهولة . ويبتنون لهم بعد ذلك مقابر بهية مفخمة . وفى هذا كانوا يكتفون غير مبالين باثامهم * نعم انه يمكنك ان تداوى هولاء الموسوسين ببعض الادوية الاتى ايرادها . الا انك لا

يوم مراتٍ كثيرةً . وان يعترف فى كل سبَّةٍ دفعاتٍ متعددة بمقدار ما يمكنه *

انه ليجب ان تكون القوانين المفروضة منك على اوليك الاثمة مركبة من نوعى هذه الادوية المقدم ذكرهما . اما اذا كان التلاميذ اناسًا لا يرتشدون على يدك دوامًا . فانصحهم موعزًا لهم بان يستمروا ثابتين على ممارسة القانون بعد ان يكونوا تمموه . من اجل ان هذه الادوية لا تشفى الا بالمواظبة على استعمالها . ثم ليعتقدوا يقينًا . بانهم لا ينالون الشفا دون الاجتهاد والاغتصاب *

❁ الفصل الرابع عشر ❁

فى كيف يجب على معلم الاعتراف ان يتدرب مع التلاميذ الموسوسين *

انى لست ادرى ان كنت رايت بعض انفار من اوليك المرضى الكتيفى الحال الذين لا مرض لهم سوى حبهم المفرط للعافية . فحيوة هولاء كلها انما هى فرارٌ متصل من الموت . كانّ العالم كله يخاطر بخطرهم . ولقد كان شفاوهم هينًا سهلًا لو يمكن لاحد ان يجعلهم معتقدين هذا الامر . وهو انهم متعافون . الا ان هذا امرٌ مستصعبٌ جدًا . لانه اذا ما شرعت ان توضح لهم هذه الحقيقة فتسقط من عيونهم وتخسر محبتهم . وان اردت ان تحفظها

فيلزمك

ادويته * فاستعمل انت مثل هذه الوسايط مع بعض انفارٍ غريقين فى حماة الدنس . اى الزم تلميذك بان يمضى الى حين هو عتيد ان ينقبر . وامره بان يتلو هناك وهو جانٍ بعضًا من الصلوات . او ان يتلوها على فراشه بهية انسان موضوع فى قبره . فهذا من شانه ان يريه شقا حاله ويحثه على الخروج منها *

فان رايت التلميذ تايقًا حقًا الى الشفا فاعتقد انه قد قرب منه بل اعتقد انه قد شُفى . وان لم يكن بلغ الى المينا بعد فعليك بان تتمم الامر بوسايط موثرة * انه لقد يمكن ان تطفى نار الحمى المحرقة على نوعين . وذلك اولًا بازالة المادة المضرة المربية حرارة تلك الحمى فى العليل . ثانيًا بازالة حرارة الحمى بادوية مبردة . وهكذا لقد يمكنك ان تطفى نار الشهوة الحمية على نوعين . احدهما بانتزاع ما يربيها . ثانيهما بمقاومة هذه النار بما يضادها *

فامر اذًا تلميذك اولًا بالتباعد عن الخاطر والفرار عن البطالة وبمفارقة بعض انفار . وبالامساك فى المآكل والمشرب . واماتة الجسد بالصوم . وممارسة بعض تقشفات شانها ان تخمد حرارة الشهوة * امره ثانيًا بتلاوة كتب روحية وتناول الاسرار المقدسة . التى شانها ان تخمد هذه الحرارة بندا النعمة السماوية على نوعٍ عجيب . واصنع هكذا ايضًا وعلى الخصوص مع من تسلطت عليه ملكة الخطية الصادومية . امره بان يلتجى بالصلوة الى الله فى كل

انها قد كفته تلك الواحة لقتله . وانا راجٍ بان الامر يجرى معك هكذا *

الا انك ستجد اناسًا يعسر عليهم فهم هذه الحجج والدلايل . فلكى تميل بقلوبهم الى بغض خطية الدنس . فيجب عليك ان تستعمل وسايط اخر . ودلايل اوفر قربًا لفهمهم الغليظ . ولكى اورد الامر باجلى ايضاح . فانى اذكر هنا ما قد افاد احد الفلاحين . وهو انه كان هذا المذكور شابًا متربيًا منذ صغره مع البهايم . فتعلق حبه بواحدة منها . وقد تمكنت فيه هذه العادة من اجل ان الذين كانوا يحلونه لم يقدموا له الادوية المناسبة له . ولربما كان استمر دايمًا فى هذه الحال . لولم يتوفق له كاهنٌ ما ذو خبرةٍ فاعاد النظر لهذا الاعمى بواسطة الطين . بقوله له بعد الاعتراف هكذا : انه ليجب ان اعاملك معاملةً مناسبة لحالك . فليكن قانونك هذا . وهو ان تختلى كل يوم مساءً مدة شهر واحد فى الاصطبل . وهناك انطرح على الارض جاثيًا شبه بهيمة بيديك وركبتيك واضعًا الرحل على ظهرك . وحينما تكون فى هذه الحال التمس من الله تعالى مغفرة خطيتك القبيحة . واعلم ان هذا انما هو جزءٌ يسيرٌ من القانون الواجب عليك . لان الشريعة المسيحية قد حكمت بالحريق على صاحب هذه الخطية * فهذا التوبيخ وهذا القانون اثرا فى قلب التلميذ انسحاقًا جزيلًا . ولم تزل عيناه ذارفة الدموع مدة شهرٍ كامل . واظهر بتغيير سيرته فطنة طبيبه وفاعلية

انه شيطان فلقد يجب علينا ان نقول عن صاحب الخطية التى نحن الان فى صددها . انه هو اشر من الشيطان * اعتبر رابعًا انه لقد ذهب القديس ايرونيموس . انه لاجل هذه الخطية اخرب الله تجسده الالهى مئة دهور عديدة . ولاجلها ايضًا كما ذكر القديس انطونينوس مات هالكًا فى يوم ميلاده الالهى كل الذين كانوا فى العالم معترين بفساد هذه الخطية . وقال هذا القديس ايضًا : انه لاجل هذه الخطية يعجل الله تعالى انقضا العالم . وقد يشير الى ذلك يوال النبى بقوله : جعلوا صبيًا فى منزل الفسق (يوال ٣) * اعتبر خامسًا ما ذُكر فى سيرة القديس فينشنسيوس فراريوس . وهو انه حينما كان يكرز هذا القديس مساء فى كنيسة ما . وقد كان اظلم النهار . طفق يصرخ بغتة قايلًا : هلم بشموع متقدة سريعًا لانه يُفعل الان اثم يغيظ الله جدًا . فاتوا بالشموع فراى الحاضرون صبيين فى حال هذه الخطية قد كانا ماتا وجسداهما يدخنان كجمرتين متقدتين * فصح اذًا حينيذٍ ما قاله ايوب البار عن هذه الخطية : انها نارٌ اكلةٌ مبيدة حتى الاصول (ايوب ٣١) *

فاستعمل هذه الاعتبارات وغيرها مما يناسب لايضاح شناعة كل نوعٍ من انواع هذه الخطية . وهاهوذا قد قدمت لك خمسة اعتبارات فى كل نوعٍ . فاتخذها واقتد بداود الملك . ذاك الذى اتخذ خمس حصوات لمحاربة جليات الجبار . والحال انه لم يستعمل غير واحدة منها لاجل انها

اصعد الكل وجذبه الى شبكته وجمعه فى مصيدته على هذا يفرح ويتهلل لان بها سمن نصيبه (حبقوق ١) *

ومن جهة الخطية الاخرى المضادة الطبيعة على نوع تنفر الاذان النقية من استماع ذكرها * اعتبر اولاً انه لما تكلم السفر الالهى عن اصحاب هذا الدنس . قال هكذا : فاما اهل صادوم فكانوا اشرارًا وخطاة امام الله جدًا جدًا (تكوين ١٣) وكان الله تعالى لم يعد ممكنًا ان يجد على الارض مثل هذا الاثم القبيح . فيقول الكتاب المقدس انه تعالى رام ان يفحص هو بذاته عن حقيقة الامر فقال : انى انحدر وانظر ان كان فعلهم هو نظير الصراخ الذى سمعته ام لا لاعلم ذلك (تكوين ١٨) * اعتبر ثانيًا ان هذه الخطية هى تمرد كلى على الطبيعة . ولهذا فكما انه قد جرت العادة ان تهدم منازل المتمردين والمتعصبين بعد ان يعذبوا باشد العذابات . هكذا صنع الله مع الخمس المدن الاولى التى وجد فيها هذا الاثم . لانه تعالى اهلك اصحاب هذه الخطية وباد منازلهم وكل ما هو حول اراضيهم التى كانت تضاهى الفردوس برونق بهجتها * اعتبر ثالثًا ان هذه الخطية تناقض شرف مقام الخليقة الناطقة . حتى ان الشيطان نفسه حسب شهادة القديس انطونينوس . والانبا هوغو . لما راى انسانًا فاعلاً هذا الاثم هرب منه متكرهًا قايلاً : اف وتف كيف لا تستحى من هذا الفعل * فان كان يجوز لنا ان نقول مع القديس توما اللاهوتى عن كل خاطى

انه

الحرب من بيتك الى الابد لانك اهنتنى واخذت امراة اوريا (ملوك ٢ ١٢) * اعتبر خامسًا ان الزانى يدعىَ فى الكتاب المقدس ابن الموت . لانه حقًا يستحق الموت . كما هو محررٌ هكذا : حى هو الرب ان الرجل الذى صنع هذا هو ابن الموت (ملوك ٢ ١٢) وقيل فى سفر تثنية الاشتراع : ان اضجع رجل مع امراة غيرهِ فاثناهما يموتان (تثنية ٢٢) *

ومن جهة فساد الانسان ذاته بذاته اعتبر اولًا ان الله عز وجل لما اراد ان يظهر جزيل بغضه لتكبر الفلاسفة الاقدمين . الذين مع انهم كانوا يعرفونه لم يمجدوه تعالى . اسلمهم لشهوة قلوبهم للنجاسة . لكى يفضحوا اجسادهم فى انفسهم (رومية ١) * اعتبر ثانيًا ان الكتاب المقدس يدعو هذه الخطية اثمًا قبيحًا جدًا . وانه لاجلها ضرب الله تعالى هو بيده اونان بن يهوذا وقتله (تكوين ٣٨) * اعتبر ثالثًا انه من حيث ان هذه الخطية تضاد الطبيعة . فانها هى نظرًا الى هذا العرض اعظم من خطية اختلاط الدم . والحال ان الله قد اظهر عظم غضبه لهذه الخطية بقوله : من قد ارتكب هذه الخطية ليحرق بالنار. لا تحتملوا هذا الاثم العظيم بينكم (لاويين ٢٠) * اعتبر رابعًا ان الارتداد عن هذه الخطية والتوبة عليها لامرٌ عسرٌ جدًا جدًا . وقد يمكن ان نشبهها بشبكةٍ جهنمية عظيمة يصطاد الشيطان بها اناسًا لا يحصى عددهم . ولا يخرج منها الا القليلون . كما سُطر فى السفر الاتى :

مع اوثانها (حزقيال ٢٣) * وفى سفر الايام : زنوا وراء الهة شعوب الارض (ايام ٥) * اعتبر خامسًا انه تعالى يرهب الزانى ويخيفه بتوعدات كثيرة قايلاً نحوه فى الاسفار المقدسة : الويل لك ثم الويل (حزقيال ١٦) * فم الاجنبية هو حفرة عميقة ومن يبغضه الرب يسقط فيها (امثال ٢٢) *

ومن جهة الزنا مع شخص متزوج . فاعتبر اولاً ان الله سبحانه قد لعن بفمه العزيز هولاء الزناة جميعهم بقوله فى سفر تثنية الاشتراع هكذا : ليكن ملعونًا من يضاجع امراة ابيه وما يتلوه (تثنية ٢٧) * اعتبر ثانيًا ان الله قد حكم على الزناة بالطرد من ملكوته قايلاً : ان الزناة لا يرثون ملكوت الله (قرنتية ٦) * اعتبر ثالثًا انه ولو مهما كانت السرقة شرًا عظيمًا . فانها مع ذلك ليست هى بالنسبة الى خطية الزنا المذكور . الا شرًا يسيرًا حسب كلام الحكيم القايل : ليس هو ذنبًا جسيمًا اذا سرق احد لانه يسرق لكى يشبع نفسًا جايعةً . اما الزانى فانه يهلك نفسه ويجمع لذاته عارًا لا يزول (امثال ٦) * اعتبر رابعًا ان هذه الخطية التى قد كانت مستقبحة فى العهد القديم بهذا المقدار . قد زادت قبحًا فى الناموس الجديد . من اجل عظم الافترا الواصل من قبلها الى الزيجة بعد ان ارتقت الى شرف سر الهى . ولهذا لقد يسوغ لله تعالى ان يقول باولى حجة نحو الزانى ما خاطب به داود النبى قايلاً : لذلك لا تبرح

الحرب

بذاته . والفعل الصادوى القبيح *

فمن جهة الزنا مع شخص اعزب نقول اعتبر اولاً ان كل من يخطى يبغض نفسه كما قيل فى سفر طوبيا : اما الزانى فانه هو عدو جسده ايضًا (طوبيا ١٢) . لان الذى يقصد ان يلذذه فانه حقًا يميته باللذه . وذلك بطرحه اياه فى امراض كريهة غريبة . بها يعذب الله تعالى هذه الرذيلة * قال الرسول : كل خطية يرتكبها الانسان فهى خارجة عن الجسد اما الزانى فانما يخطى فى جسده (قرنتيه ٢) * اعتبر ثانيًا ان البتولية التى ينزعها الزنا هى اللولو الذى من اجله فقط يستحق طين جسدنا اعتبارًا لولويًا . الذى مَن خسره وان سكب بعد ذلك من الدموع مقدارًا يوازى البحور. فلا يقدر ان يحصل على امتلاكه ثانيةً * قال عاموص النبى : عذرا اسرايل انطرحت على الارض وليس من يقيمها (عاموص ٥) * اعتبر ثالثًا ان هذه الخطية المختصة بالحس هى داء خبيث وبلى من اجل انتشار فعلها المسبب الشك . ولعمرى ان جسدًا واحدًا من تلك الاجساد المنتنة المنفسة يكفى لكى ينعدى منه الشعب كله . لانه سُطر فى سفر اللاويين : لا تدع ابنتك ان تزنى لياد تمتلى الارض من الزنا (لاويين ١٩) * اعتبر رابعًا انه كما ان الله تعالى لما اراد ان يوضح لنا شر البخل دعاه عبادة الاصنام . هكذا لما احب تقدس اسمه ان يرينا شر عبادة الاصنام . سماها بلفظة زنا . كما قيل فى سفر حزقيال النبى : زنت

مع

جليدٌ فقد كان قبلاً بخارات خفيفة فقط . الا ان تلك البخارات استحالت . الى سحابة . وبعد ذلك اضحت ثلجًا . ثم تصلبت وصارت جليدًا صخريًا * فهذا هو الذى يجرى باوليك الذين يقولون اننا نرتكب هذه الخطية ثم نعترف عنها . ان تلك الوسوسة التى كانت فى ابتدايها شبه قليل من البخارات . قد كان يمكنك ان تبددها بواسطة اشعة النور السماوى الذى اضاء لك . ولانك تركتها ان تتمكن وتتصلب بكثرة الافعال الردية . فلذلك لا يوثر فيها الان الحديد نفسهُ * قال المعلم الجليل الممدوح جدًا فى كنيسة الله الملقب بمفسر الكتاب المقدس : ان النظر يتبعه الفكر . والفكر يقذيه الاستلذاذ . . وبعد الاستلذاذ ياتى الرضى . وبعد الرضى يتم العمل . وبهذه تقوم الملكة . وهذه تستحيل الى اضطرار . والاضطرار يتبعه القنوط . والقنوط ينتهى الى الهلاك * فهذه الخطية من حيث انها تتبين ذات رووس كثيرة . فمن ثم لا يكفيك لان تلهب فى قلب التلميذ الشوق لنيل الشفا ما قد اوردناه عنها على وجه العموم . بل يجب علينا ان نورد السم الخاص الموجود فى كل نوعٍ من انواع هذه الخطية * وها هوذا نحن نتكلم الان عن نوعين منها ذينك اللذين لا يضادان الطبيعة اعنى بهما الزنا مع شخص اعزب . والزنا مع شخص متزوج . ثم نشرح ما يخص نوعين من الخطايا المضادة الطبيعة . وهما فساد الانسان ذاته بذاته .

هذا يقتضى منها جهدًا وجدًا بليغًا . ومن حيث ان العقل قد تبرقع بظلام هذه الشهوة . فيعسر عليه جدًا جدًا ان يجد وسايط لقطعها * وكذلك الارادة من جهة انها تزداد ضعفًا . فمن ثم يعسر عليها كثيرًا اختيار هذه الوسايط . وهكذا تزداد كل يوم صعوبة الخلاص الابدى . ويتحقق اخيرًا ان هذه الخطية هى كما قال الحكيم : بير ضيقة (امثال ٢٣) * فكما ان من لا يحذر جيدًا فانه يسقط فيها بسهولة . هكذا بعد ان يسقط فيها يصعب عليه جدًا الخروج منها . وقد يجب عليك ان تفهم جيدًا هذه الدلايل لكى توردها لاهل الغشم والسذاجة باجلى بيان . وتقتدى بالمرضعة التى تحيل ماكلها اليابس الى لبن . لكى يوافق ضرورة طفلها وبلايمهُ *

الا انه ينبغى لك ما عدا كل شى ان تفهم تلميذك جيدًا . وتصيّره ان يعتقد يقينًا هذه الحقيقة الاخيرة . التى لا يليق ان تكررها بزيادة . وهى انه بمقدار ما تزداد الخطية عددًا . بمقدار ذلك يزداد الخلاص صعوبة * فان يجنّت هذه الحقيقة فى قلبه فتكون وضعت الفاس على اصل الشجر . لان اكثر هولاء لمن عادتهم بعد السقوط ان يقولوا هكذا : انى عتيدٌ ان اعترف . فلا باس اذًا ان زدت زلة على زلة * فينبغى لك اذًا ان توضح لهم قوة الملكة الردية التى لا تزال باقيةً بعد الحل . وتلقى خلاص الانسان فى الخطر . لان الذى هو الان جليد

قط بغضًا نظير البغض الذى اظهره فى خطية الزنا * ولاثبات ذلك يكفينا ان نقول هذا . وهو ان الله تعالى انزل من الرعود والصواعق ضد هذه الخطية اكثر مما انزل منها ضد بقية الخطايا * ولم يقاص خطيةً اخرى بعذاب مريع غريب عمومى . كمثل ذلك الذى قاصص به خطية الزنا . وذلك حينما عذب العالم بطوفان عرمرم . وبه اباد اعمال يديه : لاجل ان كل ذى لحم كان افسد طريقه على الارض (تكوين ٦) * ولفرط ما يبغض تعالى هذه الخطية . فانه سبحانه لما نظر البشر غريقين فيها ندم متاسفًا بنوعٍ ما على تكوينه اياهم . فقال : انى سابيد من على وجه الارض البشر الذى خلقته فانه لحمٌ وكل فكر القلب يميل الى الشر (تكوين ٦) . اى شر الزنا حسب تفسير الذهبى فمه * فاعتبر اذًا ان جراحات الزنا وان لم تكن هى اعظم من جراحات بقية الخطايا الا انها اشد نتانةً ولهذا شانها ان تصيّر الله تعالى ان يستكره ويولى وجههُ ويكف عن فيض انعامه الفعالة على النفس الفاسدة *

ومن جهة اخرى لا توجد شهوةٌ تربط ارادة الانسان رباطًا قويًا كمثل ما تربطها شهوة الزنا . من اجل ان افعال هذه الرذيلة هى اكثر عددًا واشد اضطرامًا من افعال بقية الرذايل * ولهذا تتكون فى الانسان الملكة الرديه باوفر سهولة . ومتى ما ارتبطت النفس بهذه الافعال فانها وان كانت تستطيع ان تقطعها . الا ان

هذا

فعليك اذًا بان تداوى هذا المريض بهذا الدوا الاول. وهو ان تجعله ان يشتهى شفاء مرضه اشتهاءً عظيمًا * هذا ما اشار اليه السيد المسيح بقوله لمن كان مريضًا منذ ثمانية وثلثين سنة: اتريد ان تشفى (يوحنا ٥). لان ذاك كان رمزًا عن هولاء المنكود جظم. الذين قد صار المرض لديهم كانه شئ طبيعى. ولهذا لا يفتكرون الا قليلًا فى طلب الشفا. والحال انهم لكى ينالوا الشفا لا بدّ لهم من ان يشتهوه ويرغبوه. لانه بدون هذا لا تفيد بقية الادوية اصلًا *

وقد توجد وسايط مفيدة لاضرام هذا الشوق الشافى * غير ان الواسطة التى تتبين لى اوفر نفعًا وتاثيرًا هى هذه. اى ايضاح عظم خطر هلاك الانسان المستغرق فى بحر خطية الزنا ان كان لا يتوب سريعًا ويغتصب نفسه. ويضبط شفتيه عن شرب كاس بابل المسموم كاس الزنا. فخاطبه اذًا هكذا: اعلم ايها الاخ بالمسيح ان خلاص النفس متعلق بارادتين. وهما ارادة الله وارادة الانسان حسب كلام القديس اغوسطينوس الدارج فى الكنيسة المقدسة. وهو ان الذى خلقك بدونك لا يخلصك بدونك. وبالنتيجة كل من يضعف هاتين الارادتين يجعل امر خلاص نفسه اكثر خطرًا * والحال انه نظرًا الى ارادة الله لمن المحقق انه تعالى يبغض كل خطية مميتة. بمقدار ما يحب ذاته. اى انه عز وجل يبغضها بغضًا غير متناهٍ. الا انه جل عدله لم يظهر

قط

القريب مثل نفسه فعمله هذا افضل من كل المحرقات والذبايح (مرقص ١٢) * ثالثًا يكسب الخير المفيد . لان الذى ينقلب راحمًا يجد عند الله تعالى الرحمة . ومن يستقر فى بغضه متعنتًا يسد مقابل نفسه باب الرحمة الالهية . لانه لا يوجد شئ متوسط مابين هذين الامرين . ولابد لك من احدهما . اى اما ان تغفر للقريب . واما ان تقطع رجا نيل الرحمة من الله تعالى . لابد لك من ان تابى عن اخذ الانتقام . واما ان تعدل عن الوراثة المستعدة للبنين المقتدين بابيهم السماوى القايل هكذا : حبوا اعداكم لكى تكونوا بنى ابيكم الذى فى السماوات (متى ٥) *

❁ الفصل الثالث عشر ❁

فى كيف يجب على معلم الاعتراف ان يتدرب مع الدنس السيرة *

ليتنا نستطيع ان نقول عن مومنى دهرنا ما قاله المعلم ترتوليانوس عن المسيحيين الاولين : وهو انهم كانوا مبتعدين عن خطية الزنا كبعد الشمس من القمر . غير ان هذا الشر قد اتصل وطفا على الارض بهذا المقدار . حتى ان كثيرين يحتسبون هذه الخطية نقيصة متعلقة بطبيعة الانسان كما ان الحمى هى متعلقة بطبيعة الاسد . ومن ثم لا يعتنون البتة فى علاج هذا الداء وشفايه

فعليك

خطية باهظة . واحسن الوداعة على الخصوص حينما يكون الافترا جديدًا . او يكون المفترى رجلًا اثيمًا . وايضًا عند ما يجتد المفترى عليه بالغيظ على خصمه *

فان كان اجتهادك يعود باطلًا بعد استعمالك كل هذه . فافحص عن الامر جيدًا . فسترى ما قد تحقق بالتجربة . وهو ان اوليك هم اناسٌ فاسدوا السيرة : على ان الرذايل يسعى بعضها بعضًا حذرًا من الانفصال والخروج من النفس . كما تفعل الشياطين الذين يسعون فى اسعاف بعضهم بعضًا . ليلا يخرجوا من اجساد المجانين . ولا ريب فى ان شهوة الزنا تسعى الغضب على نوع خاص : من اجل ان عماوة العقل البليغة كما قال المعلم المليكى . هى ابنة الزنا ووالدة الرجز . فمن كان اكثر فسادًا تصير غضبه اشد رجزًا * الا انه ولو مهما كان الامر عسرًا فلا تهمله . بل اذا عاد اليك اوليك . فاوضح لهم جيدًا انهم فى مسامحتهم اعداءهم يجدون كل نوعٍ من انواع الخيرات . اعنى بها اولاً الخير المبهج والملذ النفس . من اجل ان الذين قبل ان يسامحوا من ساء اليهم . تكون عيشتهم كعيشة اهل جهنم . وقد اعترف البعض منهم فيما بعد قايلين . انهم بعد المسامحة دخلوا فردوسًا ارضيًا حسب كلام الحكيم القايل : الذين يقبلون مشورة السلام يتبعهم الفرح (امثال ١٢) * ثانيًا يكسبون الخير اللايق . من اجل ان هذا الانتصار هو قربان لا يستطيع لانسان ان يقدم لله اشرف منه كقوله تعالى : من يحب القريب

يستغربون هذا التعليم المجهول منهم . فسهل لهم استفهامه بقولك لهم ان هذا هو تعليم سيدنا يسوع المسيح . ذاك الذى كان من على صليبه يضرع لاجل صالبيه . اوليك الذين قد كان تفضل عليهم بحسنات كثيرة عظيمة . وان هذا هو التعليم الذى قد اقتدى به المسيحيون الحقيقيون كافةً . ومنهم القديس امبروسيوس الذى وهب لمن كان رام قتله نفقةً عاش منها بقية حياته . والقديسة كاترينا السيانية تلك التى لاجل شفاء مرض امراة كانت تهمتها زورًا لحست قيح جرحها الكريه . والقديس اكاسيوس الذى انفق اوانى كنيسته الفضية لاجل اناسٍ كانوا شنّعوا عرضه . وفى دهرنا هذا راينا اناسًا من اهل الدولة والشرف قد اصابهم من بعض انفار ضرباتٌ قاتلة . فوهبوا بوصيتهم الاخيرة مالاً معتبرًا لبنات اوليك الذين كانوا انزلوا بهم الضربات المميتة * فبهذه النموذجات وما يماثلها تمهد الطريق لتلميذك . لعمرى انى لم اكن الجاسر على ايراد هذه الواسطة لاجل ما يتبين فيها من الصعوبة . لو لم تكن التجربة اظهرت لى قوتها العجيبة لتليين القلوب المتصلبة . وفى ارشادك التلميذ فى هذا الامر احذر من ان تتفوه بكلمة ما من الصرامة . ليلا يظن بك انك تحامى لخصمه . بل الاجدر بك ان تظهر له توجع قلب على ما الم به من الضرر . دعهُ يتشكى من خصمه ويتكلم عنه بمبالغة . ولا تحكم سريعًا على مبالغة شكايته انها

خطية

ذكرها . فلا تتعب باطلاً فى ان توضح مبرهنًا له ان عدم اظهاره هذه العلامات هو دليل على نارٍ متبقية مختفية فى قلبه . بل اظهر نفسك انك تصدق كلامه اى انه قد غفر حقًا واستتلى قايلاً له هكذا : الا انه لمن الممتنع ان يعتقد خصمك ما تقوله انت عن نفسك . اى انك قد سامحته من صميم قلبك . ولهذا يلزمك ان تريه ذلك بالعمل . لانه ماذا يفيد نظام الساعة الباطن ان كان لا يظهر ذلك خارجًا بالدق والابرة . فان ابي التلميذ عن اظهار هذه العلامات متعنتًا . فاستعمل معه النصيحتين الاتى ايرادهما *

النصيحة الاولى هى تلك التى اوردناها انفًا . اى امر تلميذك بان يمارس على مدةٍ ما من الزمن هذا الامر . وهو ان يلتجى كل يوم بعض مراتٍ الى الله تعالى ملتمسًا من جوده نعمة لينتصر بها على نفسه . لانه قد قال رب المجد : ان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تعطوا ابناءكم عطايا صالحة . فكم بالحرى ابوكم من السما يعطى روحًا صالحًا للذين يسالونه (لوقا ١١) *

النصيحة الثانية افرض عليه رياضات ما من رياضات المحبة نحو القريب . تلك التى لا يلتزم بها من قبل وصية الهية . فامره مثلاً بان يطلب من الله تعالى ومن العذرا المجيدة خلاص عدوه . او ان يحضر مقدارما من القداديس من اجله . او يوزع مبلغًا ما من الدراهم بالصدقة . ثم يعود اليك لاجل قبول الحل * ولان اوليك

ما من الانتقام وشك ايضًا *

غير انه لا يحسن بك غالبًا ان تلزم التلميذ بان يسبق بالسلام حينما يكون الافترا الذى اصابه جزيل الاعتبار. او حينما تكون حاله اعظم شرفًا جدًا من حال من افترى عليه. وباولى حجة حينما يكون موكدًا على نوع ما انه اذا سلم لا يرد عليه السلام *

الا انه ينبغى لك فى هذا الامر ان تحذر من ان تصغى باذنيك للخصم الواحد ليلا تحكم ضد الصواب. نعم انه يجوز لك ان تصدق التلميذ نظرًا الى جوهر الامر. الا انه يجب عليك ان تعتبر هذا. وهو انه فى كل محكمة لمن شان الانسان ان يورد الحجج التى تفيده. ويصورها باجلى وابهى ما يمكنه من الالوان. اما الحجج التى تثبت دعوة خصمه. فانه يصورها بالوان مقتمة مظلمة * فيجوز اذًا لمن كان ربسًا الا يكلم من افترى عليه. ولا يرد عليه السلام. غير انه لا يجوز له هذا الى الابد. بل الى زمن ما فقط. من اجل انه يجب ان يكون التاديب موافقًا الذنب. ومن ثم لا يجوز ان يكون التاديب على الدوام. ليلا يعود من افعال الانتقام. وعلى حسب هذا التعليم يجوز ايضًا للاب الا يرد السلام على ابنه. الا انه لا يجوز حلّه اذا استقام فى هذه الحال زمنًا متزايدًا. وانه وان كانت الصرامة جايزة للاب. الا انه لا يجوز له ان يكون قاسيًا *

فان وجدت تلميذًا لا يظهر علامات المحبة المتقدم ذكرها

شكًا . وهذه حقيقة لا يشوبها ارتياب البتة * فان اتاك تلميذٌ يربّي فى قلبه سم البغضة وجئا عند قدميك لكى يعترف . فسَلهُ اولًا وقبل كل شيء عن كمية الزمن الذى جاز عابرًا بعد ما حصل له من الافترا . لان البغض يشبه واديًا تكثر مياهه بمقدار اطالة جريها . وفى اثنى ذلك سَلهُ هل يشتهى ضررًا ما لعدوه . فانه سيجيبك حسب عادته قايلًا : كلَّا . غير انه من حيث ان الخارج يظهر ما فى الباطن . فافحص حينيذٍ عن العلامات التى تُعرف على الخصوص بواسطة اللسان الذى هو كمفصل القلب . وسلهُ قايلًا : هل تكلمت مع من افترى عليك او مع احد اقربايه واصدقايه *

وهنا ينبغى لك ان تعتبر هذا الامر وهو انه وان كان الكلام والسلام هما من تلقا جوهريهما علامات محبة خصوصية واجبة من باب المشورة . لا بالزام الوصية الا ان الاعراض تغيّر الامر مراتٍ كثيرةً تغييرًا جوهريًا . وذلك حينما تكون العداوة مشتهرة او كان الانسان قبل ان يُفترى عليه معتادًا على اداء السلام للشخص المفترى . وعلى المخاطبة معه او مع بقية الناس الذين من محلته او مدينته ويسلم عليهم . فيلزم التلميذ حينيذٍ باظهار هذه العلامات التى لاجل اعراضها ليست هى علامات محبة خصوصية . بل علامات محبة عمومية . ولقد ينبغى ان يظهرها لمن افترى عليه ايضًا . من اجل ان عدم اظهار هذه العلامات كما قلنا انفًا هو نوع ما

اكتفى بقطع جزء صغير من ذيل شاول عدوه المميت * غير ان هولاء يشبهون الحيات تلك التى سمها هو ضمن لبها . لا كما هو فى بقية الحيات اى تحت السنتها . فان سمحت لهم بان يوردوا لك ما حصل لهم من الشرور والضرر من قبل اعدايهم . فحينيذٍ تنظر سريعًا حقيقة كلام الحكيم القايل : ان الغضب مختفٍ فى حضن الغبى (جامعة ٧) * سل مثل هولاء هل يكلمون اعداهم او يردون عليهم السلام . فترى انهم لا يفعلون شيًا من ذلك . بل انهم يشمازون من ملاقاتهم . واذا ابصروهم من بعيد فيغيّرون الطريق حتى فى الكنيسة عينها وحين الصلوة من اقترابهم ومعاينتهم . فهولاء هم الذين يصورون فى عقول معلمى اعترافاتهم انهم كالحمامة التى لا مرارة لها . ومن ثم يتناولون السر الالهى بغير اضطراب ضمير *

فلنوضح الان كيف ينبغى لك ان تداوى هذه المادة السوداوية من اصلها ومصدرها * اعتبر اولاً ان هذه الوصية الالهية القايلة : لا تبغض اخاك فى قلبك (لاويين ١٩) . لاتلزمنا بهذا فقط . اى بالا نبغض القريب فى قلوبنا . بل تنهينا ايضًا عن ان نظهر له بغضةً بدليلٍ ما خارج . والسبب لذلك هو هذا . اى ان اظهار البغضة هو جزءٌ ما من الانتقام * وما عدا ذلك فان هذه العلامات اى علامات البغضة . تجدى القريب سببًا لان يبغض ايضًا . وعلى هذا النحو تعود هذه العلامات

شكا

❁ الفصل الثانى عشر ❁

فى كيف يجب على معلم الاعتراف ان يتدرب * مع الذين تسلطت عليهم البغضة *

انه بعد ان اوردنا ما يفيد لاشفاء جراحات جزء النفس الاعلى . فيجب علينا ان نتكلم عما يخص مداواة جراحات جزء النفس الادنى . اعنى بها الجراحات الناجمة من روح الانتقام والزنا *

فلنبتدينَّ اولًا بايراد ما يخص القضية الاولى فنقول . اعلم اننى هنا لا اتكلم عن بعض انفار يسفكون الدما ويرغبون الفتك والقتل . لان هولاء فى النادر جدًا يتقدمون الى منبر محكمة الاعتراف . بل اننى اتكلم عن نوع اخر من الناس الذين لو يمكنهم لكانوا فعلوا مثل ذاك الملاك المذكور فى سفر الرويا : اى وضعوا رجلهم الواحدة على البحر والاخرى على البر (رويا ١٠) . ولقد اشير بهذا الى انهم يشتهون من احدى الجهات الا يغفروا لمن اساء اليهم . ومن الجهة الاخرى يرغبون ان يعترفوا . ومن ثم يخدعون انفسهم واحيانًا يخدعون معلمى اعترافاتهم ايضًا . وذلك ببعض كلماتٍ ذات تظاهر مبهر . الا انها خالية من الحقيقة بالكلية * فتراهم يقولون انهم منذ زمنٍ مديد سامحوا اعداهم . وانهم لو يجدونهم راقدين فى الفيافى لكانوا يحذرون من ان يبلبلوا يسيرًا سلامة سباتهم . فكان داود قد تعلم منهم ما فعله بروح الفضيلة لما

اكتفى

هل يربحون خيرًا ما زمنيًا . هل يصلحون بالتجديف امرًا ما . لا البتة * فما هو اذًا هذا السحر الشيطانى الذى يصيّرهم ان يزجوا بانفسهم فى اعمق هوتة الخطايا . من غير ان يربحوا خيرًا ما اصلًا . لعمرى ان رجزهم اشد من رجز الهالكين فى جهنم . لان اليك نعم انهم يشتهون ان يعضوا اليد التى تضربهم . الا ان هولاء اشر من الشياطين انفسهم . فيجدفون على من يحسن اليهم ويحفظ حياتهم وعافيتهم وابناهم وكل ما لهم . فكيف يفترون على من فيه قايم كل رجايهم . وينوطون ذلك الدم الزكى . الذى به وحده يقدرون ان يتطهروا من خطاياهم . فبالصواب اذًا كان ايوب البار يطلب من الله تعالى ان يعذب التجديف بقوله : لا تزل تعذب الرجل الاثيم الذى يزيد تجديفًا على خطاياه (ايوب ٣٤) * فهذه هى الادوية الواجب استعمالها مع النوع الاول من المجدفين . ولقد اريدك ان تتجاوز معهم حدود الاعتدال قليلًا . وبعد ان يستفرغوا فى الاعتراف قباح السنتهم الكريهة . فان كانوا اناسًا ادنيا حقيرين . كما انهم حقيروا السيرة . فاشير عليك ان تستعمل معهم لسانًا خشنًا . نظير المبرد . كمثل لسان الاسد الذى يجرح كلما يلحسه * اما النوع الاخر من المجدفين . فلقد يجوز لك ان تمزج قليلًا من الحنو فى مرارة توبيخهم . الا انه يجب عليك ان تجعلهم ان يعقلوا شر عادتهم ويفهموها جيدًا *

الفصل

لايقونة السيد المسيح طالبين مغفرة خطاياهم *

اما من جهة الادوية المفيدة لضبطهم عن الارتداد الى اثمهم . فاشير اليك ان تفعل معهم ما يفعل مع ملك الحيات . وهو انه يوضع تجاههُ مرآةً . فاذا ما راى فيها صورته الهايلة فيموت مرتعدًا من ذلك المنظر القبيح * فاصنع انت هكذا مع اوليك الشياطين المتجسدين . اى ضع تجاه اعينهم عظم تفاقم شر اثمهم المسمَّى من السيد المسيح خطية لا تغفر . من اجل ان كل جرح من هذه الجراحات وان امكن شفاوه ببلسم سر التوبة . الا انه هو جرحٌ متخنٌ وعميقٌ وقبيحٌ بهذا المقدار . حتى انه لا يشفى الا فى النادر . ان لم تستعمل فى علاجه ادوية غريبة غير اعتيادية * انه من لغتهم النفاقية يتضح جليًا من ايتما خاصة وبلدة هم . ومن ثم كما انه قيل لبطرس الرسول : حقًا انك منهم وان كلامك يظهرك (متى ٢٦) . هكذا يمكننا ان نقول نحو كلٍ من اوليك : حقًا انك انسانٌ مرذول . والدليل على هذا . هو المناسبة ما بين لغتك ولغة اهل جهنم * ليت شعرى ما الذى يقصدونه بتجاديفهم . وما الغاية الواصلة لهم منها . لعلهم يجدون لذة فى ذلك . كلَّا . لانهم يقتاتون سمًا مرًا . فهل اذًا يرجون بهذا مدحة الناس وشرف الصيت . لا البتة . لانه ان كانت الشريعة تدعو من يجدف على ملك رجلًا مفضوح الصيت . فكم بالحرى يكون قبح الصيت من يجدف على ملك الملوك وسلطان السلاطين .

ان كنت ما اصنع كذا . وما يضاهى هذه * الا انه يجب على الكاهن راعى النفوس ان يغار لمجد الله تعالى ويبذل كل جهده وجده فى ان يبيد هذه التجاديف من جماعة المومنين . وان يردها ويلقيها الى لجة جهنم الذى خرجت منها * قال النبى : انه صار قلبى كاتون ملتهب بنار محبوسة فى عظامى . وقد ضعفت لعجزى عن الاحتمال . ولماذا هذا . فيجيب ذاته بذاته قايلاً : لانى سمعت شتايم كثيرين (ارميا ٢٠) . المرموز بها عن كثرة التجاديف التى ترعب الاتقيا *

ولكن ما هى الادوية المناسبة لمداواة هذا الدا العظيم . فاعلم ان الادوية اللينة انما تفيدك فايدةً يسيرةً جدًا . وقد قال المجمع اللاتراني : ان الكاهن الذى لا يفرض على المجدفين قوانين توازى شرهم يشترك فى نفاقهم . حتى ان هذا المجمع المقدس يريد من كل مومن ان يوديهم . ولو عرف انهم لا ينتصحون ولا يتوبون . وذلك لكى يرد لعزة الله تعالى بتوبيخهم ما يسلبونه هم من الاكرام الواجب له سبحانه * ثم اقول ان الادوية المناسبة لاشفا هذا الداء . هى نوعان . فبعضها تفيد لتاديب هذه الالسنة المحرومة . وبعضها تنفع لضبطها عن هذا الاثم الشيطانى . فاذا ما عدا التاديبات الاعتيادية اعنى بها الصلوات والصدقات والصيامات وتقشفات اخر جسدية . افرض على هولاء الاشقيا ان يجروا على الارض مرات كثيرةً السنتهم المجدفة . ويجثوا مرات كثيرةً ساجدين

لايقونة

بالشيطان ومبدعى مذاهب وثنية او امية نفاقية . فان نطق بهذه باعتقاد باطل فيكون التجديف مقترنًا بارتقة صورية . وان نطق هكذا بمجرد احتداد المى من دون اعتقاد باطل . فيكون التجديف حينيذ تجديفًا محضًا مقترنًا بارتقة مادية فقط * اما التجديف البسيط فهو الذى لا يتضمن ضلالاً ما فيما يخص الديانة . بل انما هو افتراء على عزة الله سبحانه . وهذا الافترا اللفظى ان كان صادرًا من حركة غضب نحو الله تعالى . فيسمّى تجديفًا بسيطًا مستقيمًا . وان كان صادرًا من حركة غضب نحو الخليقة فقط فيدعى تجديفًا بسيطًا غير مستقيم *

فترى هولاء الاشقيا فى حال غضبهم وخلقهم يجعلون اسم الله القدوس احقر ما فى العالم . وما فى جهنم ايضًا ذلك الاسم المسجود له . الذى لاجل جزيل عزته الغير المتناهية لم يكن جايزًا فى العهد القديم ان يحمله احد محررًا الا الحبر الاعظم فقط * فهذا الاسم العظيم الذى اذ ينطق به احد الملئكة ترتجف وقتيذ من ذكره عواميد السما هيبةً . يمزّقه اوليك الاشقيا بالسنتهم النفاقية . مصيرين الله تعالى ظالمًا عادم الحكمه والقدرة والعدل . مقرنين اسمه القدوس مع اسم الشيطان . بل مفضلين هذا على ذاك بقولهم الجهنمى : وحق الله : وحق الشيطان . والقرود * وترى البعض يقول : الله ما عاد يسمع ويقشع . واخر يقول : انى افعل كذا ولو عذبنى الله فى جهنم . واخر ينطق هكذا : اكون صلبوت المسيح ،

ان

انـاسٌ مبغـوضيـن مـن الله (رومـيـة ١) *

❁ الفصل الحادى عشر ❁

فى كيف يجب على معلم الاعتراف ان يتدرب مع المجدفين *

انه لو يخلق الله انسانًا متصفًا بعقل يستطيع بنور فايق على كل نور عقلٍ بشرى. ان يفهم بلحظة ودقيقة واحدة كلما يوجد من العجايب فى العالم كله. لكان هذا يندهل متحيرًا اذا راى احدًا قد تجاسر على ان يجدف مفتريًا على خالق هذه البرايا العجيب نظامها وعظمتها. ولكن لو يسمع ذلك الانسان ان الذين يجدفون عليه عز وجل ليسوا بقليلين بل كثيرون. وانهم هم الذين من اجلهم ومن اجل خيرهم خلق الله تعالى العالم كلهُ. اما كانت الغيرة لمجد باريه تحثه على طلب اشد الانتقام من اوليك المنافقين. فهذا ما نراه كل يومٍ باعين جافة من الدموع. هذا ما نسمعه كل ساعة بقلوبٍ باردة *

فلنشرعنَّ الان بمداواة هذا الدا المهلك قايلين. اعلم ان التجديف نوعان احدهما اراتيكى. والاخر بسيط. فالتجديف الاراتيكى هو اذا ما كان كلام الافترا على الله تعالى مقترنًا بضلالٍ ما فيما يخص الايمان. نظير ذاك الذى فى حال تمرمره يجعل الله ظالمًا غير عادلٍ. ذا محاباة ناقصًا فى تكوين العالم وتدبير الخلايق. او يحلف بالشيطان.

من حسن صيته القديم . فعن هذه القضية نورد هنا بعض نصايح فنقول *

اعلم ان من تم احدًا كذبًا يلتزم باصلاح عرض من تهمه اشد التزامًا مما يلتزم به من افشى خطية واحدة كانت مخفية . لان ذاك قد سلب من الرجل المتهوم حقه على حسن صيته . اما هذا فلم يسلب من الرجل المثلوب سوى التمتع بالصيت الحسن * ولا ريب انه فى ذاك المحل اى فى حين التهمة الكاذبة لا يكفى للنمام ان يمدح المتهوم. بل يلزمه ان يكذّب قوله ولو عرف انه بهذا يخسر من صيته بمقدار ما خسر القريب من صيته . بل ولو علم انه يخسر اكثر من ذلك بسيرًا . وبالنتيجة يلتزم النمام (اذا احتاج اصلاح العرض الى ذلك) بان يعترف جهارًا انه قد كذب . وان لجات الضرورة فيلتزم بان يثبت ذلك بالقسم * نعم انه فى بعض اتفاقات . قد يمكن ان يتم تكذيب هذه التهمة بواسطة انسانٍ اخر معتبر . وهذه الواسطة تسهل تكميل هذا العمل الجزيلة صعوبته . ولكن لكى يتحفظ كل من هذه الخطية . فينبغى للراعى ان يورد لرعيته فى حينه عظم قباحتها الفايق على عظمة خطية السرقة . من اجل ان النمام هو سارقٌ حقًا واشر منه . وذلك لانه اى النمام يختلس من القريب خيرًا اعظم من كل امواله حسب قول الحكيم : الصيت الصالح خيرٌ من الغنى الغزير (امثال ٢٢) . وقد احصى الرسول النمامين ما بين الذين قد اسلمهم الله لشهوتهم المرذولة . ويدعوهم اثامًا

قال القديس اغوسطينوس: انه فى اشياء كثيرة يضل الانسان لسو حظه ولضرره الجسيم. وفى اشياء اخر يكون الضرر الحاصل من جهله هو يسير. وفى غيرها لا ضرر له من جهله البتة. وفى سواها يجديه جهله نفعًا. وانما اقول هذا عمن يكون جهله معذورًا حقًا *

اما الذى عنده مال الناس. ولا يعرف اصحابه. فاعلم انه نظرًا الى ذلك يوجد راى محتمل يوضح بان الشريعة التى تلزمة بتوزيعه على الفقرا ليست هى طبيعية. بل وضعية فقط. وبالتالى يجوز لك ان تعامل من هو هكذا بتنازل ومداراة * وان كان التلميذ الموجود عنده مال الغير ليس هو فى حال الضمير السليم. فمهد له طريق الرد. واجعل صاحب المال ان يترك جزءًا من حقوقه. وان كان المبلغ قليلًا. فاطلب منه اى من صاحب المال ان يجعل هذا جزءًا من صدقاته الاعتيادية * ولنتكلمن الان عن نوع اخر من الرد اوفر اعتبارًا من الرد المقدم ايراده. اعنى به رد العرض واصلاحه الذى وان كان هو ضروريًا بضرورة كلية. الا انه يكون نادر الوجود جدًا. من اجل ان من يريد ارادة حقيقية ان يرد العرض ويصلحه فانه غالبًا لا يستطيع ان يفعل هذا بالتمام. لان الرجل النمام يشبه سحراء فرعون. فيستطيع مثلهم ان يحيل عصا الى حية. اى يقدر ان يصير فى عقول الناس عدوًا من هو محب. وزانيًا من هو عفيف. الا انه لا يقدر ان يرد الحية الى هيئة عصا برده لمن تهمه ما سلبه من

جيدًا ويعتقدونها ويعترفون بها. بل انهم يريدون ايضًا ان يكملوها. غير انهم لا يستطيعون ان يتموا ما يريدونه * فياما اصعب تمييز حقيقة هذه اللفظة وهى لست اقدر. لانه من ذا يعلم هل ان سبب قوله هذا هو ضعف القوة ام ضعف الارادة. وان فحصنا عن الامر جيدًا. فسنرى ان الذين ينفقونه فى اللعب والسكر والملاهى. وفى اشيا اخر اشر من ذلك هو كافٍ لوفاء كل دينهم. قال الحكيم: ان قلت ليس لى قدرة على هذا فان ناظر القلوب هو عالمٌ وحافظ نفسك (امثال ٢٤ ٢) . اى فاحصها كما فسر بعضٌ من المعلمين ولا يخفى عنه شى *

فلنختمنَّ الخطاب بايراد نصيحتين * النصيحة الاولى هى ان وجدت صعوبة باهظة فى امر اوليك الذين يمتلكون رزق الناس. فاجتهد فى ان تظفر بها بواسطة الصلوة. حتى فى حين حلك التلميذ الذى قد عاهدك يرد مال الغير فى الزمن المعين له منك. فانى اشور عليك. بان تفرض عليه هذا. وهو ان يتلو كل يوم صلوة ما للسيد المسيح او لوالدته المجيدة لكى يتم عهده بالكمال * النصيحة الثانية وان وجدت تلميذك فى حال ضميرٍ سليم. وذلك من جهة كونه يظن بنفسه انه ليس للناس عليه شىءٌ. او لانه يعتقد انه ليس بملزوم ان يرد سوى الجزء مما اختلسه من غيره. مع انه يكون حقًا ملتزمًا برد الكل. ففى هذه الحال ان رابت رجاء الثمرة تحت الشك فاتركه فى جهله هذا المفيد له *

قال

يحتاج الامر ان تحسن الفحص والتمييز قبلًا * انظر ما تفعل السما حينما تريد ان ترشق الصاعقة . فانها تبتدى اولًا بان تتردى بسحابات مقتمة كانها بهذا تظهر حزنها . وفى اثنى ذلك اعنى اذا ما اضطرت بان ترشق الصاعقة فتسبق دايمًا وتتوعد كثيرًا بواسطة الرعود . مظهرة بلسان الحال انها حقًا تضرب . الا انها كانت تبتهج جدًا لوم تلتزم بالضرب * فاصنع انت نظير ذلك . اى اظهر حزن قلبك قبل ان تضرب . اخر الحل لا تمسكهُ . اجعل تلميذك ان يفهم هذا الامر جيدًا . وهو ان هذا هو الدوا الانفع له . اوضح له انك تحب ان تحزنه لاجل خيره افضل من انك تضره بالتنازل والمداراة . وان المحبة هى التى تضطرك بان تعامله هكذا *

انه ينبغى لى الان ان اورد لك اخص صعوبة مداواة داء البخل فاقول . اعلم انك ستجد اناسًا بخلا . اوليك الذين يعتبرون المال افضل من اعتبارهم ضميرهم . وهولاء يشبهون السبطين الغبيين اللذين ارتضيا فى فقد حقهما على التمتع الدايم بارض الميعاد لكى يمتلكا بعض اراضى خارجًا عن بلاد البركة (اعداد ٣٢) . فهولاء لا يفهمون ما هم ملتزمون به . واذا ما فهموه فانهم يوخرون اتمامه الى ساعة وفاتهم . فكانهم الافاعى التى لاتسدى نفعًا الا بعد وفاتها *

اما القوم الاخرون من البخلا . فانهم يعقلون واجباتهم جيدًا

الشى المختلس موجودًا فى يده حالًا . وانما اشير اليك بالا تحله ابدًا قبل ان يكون رده اولًا . لانه كما ان المـاكل المضر الغير المهضوم طالما يكون موجودًا فى المعدة لقـد يمكن استفراغه سريعًا . اما اذا تركته الى ان ينهضم ويستحيل الى دم وعظم فلا سبيل لاستخراجه . هكذا يجرى الامر فى الشى المسروق . فانك اذا تماديـت منتظرًا الى ان يكون ذلك الشخص انفقه فى قيام عيشـة بيتـه . فكيف ترجو بفطنة انه يرده فيما بعدُ * وان كان التلميذ قد وعد بالرد قبلًا وبذنبه لم يتمم وعـده . فايـاك ان تحله من دون ان ترى فيه علامة ندامة نادرة الوجود . والسبب لذلك هو لان الفطنة لا تدعك ان تظن باوليك الاشخاص انهم حاصلون على استعداد واجب بعد خيانتهم المضاعفة . وفى هـذا الصدد قـال القديس اغوسطينوس هكذا : من لا يرد مال الناس مع الامكان على رده . فان ندامته ليست هى حقيقية . بل انما هى ندامةٌ مصنَّعة * ثم اقول انه وان كانوا حاصليـن عـلى استعداد واجب ويوعدون بقلب مستقيم . فمع ذلك لا يجوز لمعلم الاعتراف ان يتركهم فى خطر الخطية القريب . اعنى به خطر العود الى الخيانة بالوعد . بل يجب عليه ان يلزمهم بما ينقذهم من الخطر . اى برد مال الناس اولًا وابتداءً *

الا انى بقولى لك امسك الحل عنهم . لست اريـدك ان تدع قلبك يميل كثيرًا الى مسكه . لان هـذه ضربة لا يستطيع معلم الاعتراف ان يضرب باشد منهـا . ولهـذا يحتاج

لانه بعد الاعتراف تراه حسبما قال ايوب البار: قد عاد كزيتونٍ ينثر زهره (ايوب ١٥). لانه فى امر الرد قد يكون الحَبَل سهلاً بالكمال. الا ان الايلاد بالفعل يعسر جدًا * خبرنا الكتاب المقدس عن فرعون الملك. انه لم يكن خايفًا من تكثير اناث العبرانيات. بل كان يخشى من تكثير ذكورهنَّ. ولهذا امر قايلًا كل ذكر يولد فاطرحوه فى النهر. اما الاناث فاستبقوهنَّ (خروج ١) فهكذا يفعل الشيطان. فانه خزاه الله لايبالى من الكلمات المونثة. والمواعيد الرخية. بل ان الشى الذى يرعبه ويجتهد فيه هو ان يبيد الفعل وبلاشيه *

ولكن اذا قصدت ان تحل تلميذك مكتفيًا بجودة استعداد قلبه الظاهر. فعيّن له زمن الرد وكيفيته * قلتُ وكيفيته لانه ان كانت اصحاب المال معروفين. فلا يجوز لتلميذك ان ينفق بالصدقة او بالقداديس ما اختلسه. بل يلزمه ان يوصله هو او اخر امين بدلاً عنه الى صاحبه * واما قولى لك عيّن له زمن الرد. فلان قول تلميذك انه يرد فيما بعد ليس هو بقولٍ يوثق به. كما اذا قال انى سارد فى هذه المدة المعينة منك. والذى يحسن عزمه على الرد هو ان منعته عن تناول القربان المقدس قبل ان يرد. او قبل ان يكون اخذ من صاحب المال مهلةً للرد *

غير ان هذه التحديدات لا تخص التلميذ الذى يكون الشى

بانسانٍ وثنى متعبد للاصنام. وذلك لانظرًا الى المادة التى يسجد لها فقط. اعنى بها الذهب. بل نظرًا الى انعطاف قلبه لها ايضًا انعطافًا اشد من كل انعطافٍ اخر. ومن ثم نرى كثيرين قد صيرهم حب الفضة لا ان يباينوا والديهم فقط. بل يبغضوهم ويضطهدوهم ايضًا * لعمرى انه امرٌ عسرٌ جدًا جدًا. ان يرد الانسان للناس ما ليس له. وفى النادر جدًا يوجد من من هولاء يقتدى بزكا فيقول: ها هوذا انا ارد حالاً. لا انى سارد فيما بعدُ *

الا انى مع هذا اقدم لك وسايط تعينك على بلوغ هذا الغرض فاقول. ان التزام التلميذ بالرد اما انه واضحٌ. واما انه مشابٌ بالشك والارتياب. فان كان الالتزام مشكوكًا به. فاحذر من ان تحكم على القضية بدون افرازٍ وتمييز. بل ابق الحكم الى ان تكون فحصت عن الامر جيدًا * وان رايت التلميذ مستعدًا حقًا لتتميم ما يلتزم به. فيجوز لك حينيذ ان تحله بعد وعده لك بانه يستشير اناسًا علما خبيرين ويصنع كحسب رايهم وحكمهم *

وان كان الالتزام بالرد هو محققٌ واضحٌ. فستجد نفسك وقتيذٍ حاصلة على صعوبةٍ عظمى. لانك اذا الزمت التلميذ بالردٍ قبل ان تمنحه الحل. فلقد يتبين ان هذا ضربٌ من صرامةٍ مفرطة. وان حللته لاجل وعده لك بالرد سريعًا. فقد يتفق فى النادر جدًا ان ينتهى هذا الزهر الى ثمرته. لانه

عيونا اليك يارب (ايام ٢٠) * ثم يلزمك ايضًا ان تدعوه تعالى بعد ان تقبل الاعترافات . لكى يغفر لك ما قد زللت به فى هذه الوظيفة المقدسة . ويثبت مديمًا ما فعله سبحانه وحده من الخير ويكمله . قايلًا مع المرتل : ثبت يارب ما صنعت مع هيكلك (مزمور ٦٧) *

ثم انى انصحك اخيرًا بان تلاحظ جيدًا قبل مخ الحل . هل ان التلميذ هو حاصلٌ على الاستعداد الواجب للحل ام لا * انه لما قُدّم لبطرس الرسول فى الرويا منديلٌ مملو حيواناتٍ . سمع صوتًا نازلًا من السما هاتفًا نحوه هكذا : اذبح وكل (ابركيس ١٠) وبهذا لقد اشار الله تعالى الى الكاهن الجالس على منبر الاعتراف . بان يبتلع خطايا الشعب حسبما قيل فى سفر هوشع النبى (ص ٤) فان كانت اذًا الخطايا غير ميتةٍ بالندامة الكاملة . ولا ماينة بالندامة الغير الكاملة . فينبغى للكاهن ان يميتها قبل ان ياكلها . اى ينبغى له ان يعدّ التلميذ ويصيره ان يندم عليها قبل ان يحلهُ *

❋ الفصل العاشر ❋

فى كيف يجب على معلم الاعتراف ان يتدرب مع الذين يلتزمون برد ما اختلسوه * او اكتسبوه ظلمًا *

انه بالصواب قد شبّه الرسول الرجل البخيل المحب الفضة بانسان

وتحثه بنصايحك على فعل ندامةٍ تتضمن بغض كل خطاياه *

وان كان بعد هذا كله لا يلين قلب التلميذ الصلب فاياك والفشل . بل تمهل عليه . وان جعلته قلما يكون ان يشتهى شفاء دايه فارسم له داءهُ . فارسم له كم مرةٍ يجب عليه ان يطلب كل يوم هذه الندامة من الله تعالى . او من العذرا . واوصهِ بان يعود اليك بعد زمنٍ ما لكى يقبل الحل . اى بعد ان يغيّر ارادته . فمن هذا التغيير ستنتج قوة الصلوة * وعليك ايضاً بان تمارسها لاجل خلاص هذه النفس الشقية . لانه فى هذا الامر ينبغى لك ان تقتدى بايوب البار . اعنى ان تكسر انياب الذيب الجهنمى . وتختطف الغنيمه من جوفهِ وتخلصها (ايوب ٢٩) * وقد يجب عليك ان تلتجى الى الصلوة . لا فى هذا الاتفاق فقط . بل فى غيرهِ من الاتفاقات كافّة . لانه ينبغى ان تكون الصلوة سابقة كلما تفعله فى هذه الوظيفة . وان ترافقهُ وتتبعهُ . فيلزمك اذًا قبل ان تجلس لقبول الاعترافات ان تطلب العون الالهى ليلا تخدع وتضل قايلاً مع الحكيم هكذا : امنحنى يارب الحكمة ولتكن معى وتسعى معى (حكمة ١٤) * ويلزمك ايضاً ان تستعين بالله فى حين قبولك الاعترافات . سيما فى بعض محلات اشد صعوبة قايلاً مع يوشافاط : انه من حين اننا لانعلم ما يجب علينا ان نفعله فبقى لنا هذا الامر وحده وهو ان نرفع عيوننا

يا بيت اسرايل بل من اجل اسمى القدوس (حزقيال ٣٦) . ولذلك قد يمكن ان ينال الخاطى من الله سبحانه اكثر مما ينال الصديق منه تعالى . ان كان اتكال ذاك يكون اعظم من اتكال هذا . وذلك لانه وان كانت صلوة الانسان الحاصل على الخطية هى خاوية من الاستحقاق . الا انه لقد يمكن ان تكون فاعلة . من اجل ان الفاعلية هى صادرة من الايمان * وهذا الامر كما قال القديس باسيليوس قد اشار اليه السيد المسيح بقوله على لسان لوقا البشير : ان لم يقم يعطه من اجل انه صديقهُ لكنه من اجل لجاجتهِ يقوم ويعطيهِ (لوقا ١١) *

ولكى نجمع كل ما تكلمنا به فى هذا الفصل . ونضعهُ تجاه عينيك على نوعٍ حسى يكون اكثر ايضاحًا فنقول . انه بعد ان يكون تلميذك اورد لك خطاياه فان راينه خاليًا من الاستعداد . فاختر لك الحجج المذكورة فى ابتدا هذا الفصل ما تجده انسب له . وانفع لضرورته . واعده بها لنيل الحل موضحًا له عظمة الشر الذى صنع . ولا يكن هذا الايضاح بافراط لا على وجه العموم . ولا على وجه الخصوص * قلتُ الا يكون هذا الايضاح بافراطٍ على وجه العموم . لان التعليم المورد هكذا يكون اقل نفعًا * واما قولى الا يكون الايراد بوجه الخصوص بافراط . فلانك ان اردت ان تنصحه على كل خطية صدرت منه فردًا فردًا . فلا ريب فى انه يستثقل هذا جدًا . فالخليق بك اذًا ان تختار بعضًا من خطاياه الاكثر اعتبارًا .

وتحثه

الصفة الثالثة من الصلوة التى هى حسن الاتكال . قد يمكن ان يزلّ التلميذ زلةً باهظة جدًا . وذلك اما بوجه النقص واما بطريق الافراط . فيزل بالافراط نظير اوليك الذين لايزالون يزيدون خطيةً على خطية . لاعتمادهم واتكالهم على بعض صلوات يتلونها للعذرا المجيدة . كانهم بواسطتها ينالون منها مفتاح الملكوت . وانها من كونها شفيعة الخطاة يصيرونها شفيعة الخطية * اما اوليك الذين يزلون فى اتكالهم بوجه النقص . فانهم اكثر عددًا من الاولين . وهم الذين بعد سقوطهم فى خطيةً ما . يهملون لاجل ذلك رياضة الصلوة . محتجين بانهم طالما هم فى هذه الحال لا ينتفعون منها البتة . ومن ثم لا يلتجيون الى الله تعالى . لظنهم بانفسهم انهم لا يستحقون ان يستجيب لهم . ولقد يجب عليك ان تبذل كل جهدك فى ان تزيل عنهم هذا الضلال * فعلمهم اذًا واوضح لهم ان من قد خسر النعمة الالهية . وان كانت اعماله الصالحة لا تستحق اجرًا ما سماويًا . الا انها تفيده للارتداد الى الحيوة الروحية . ولضبط السيف المجرد والمرفوع على هامته . ولنيل المهلة الضرورية للاعتراف . وللندامة . وللاستعداد للموت * اما قولهم انهم لا يستحقون لان يستجيبهم الله تعالى . فهذه حجة باطلة يعتذر بها الكسل والتوانى . لانه لكى يستجيب الله لنا فانه تعالى انما يلاحظ جودته لا جودتنا كقوله عز وجل على لسان حزقيال نبية : انى اصنع لا لسببكم يا بيت

الخلاص ويطلب منه ذلك كما يجب . فانه حالاً ينالهُ كما قال المعلم المليكى . ومن يشك بهذه الحقيقة . فلا جرمَ انه يظن به عزوجل انه ناقص القدرة . او غير ثابت فى عهده . وهذه الواسطة اعنى بها الصلوة قد جعلها تعالى لا مناسبة فقط بل ضرورية ايضًا * ولهذا قال سوارس المعلم الجليل : انه لرأىٌ يجب له التصديق جدًا اعنى به رأى من يقول : انه بعد ان ينال الانسان النعمة الاولى . لا ينال بقية النعم الضرورية لاكتساب الخلاص . من دون ان يطلبها بالصلوة . وذلك قلما يكون على حسب تدبير العناية الالهية المألوف * وقد ذهب الكردينال بيلرمينوس والكردينال بالايسينوس . مع المعلم سوارس المذكور : الى ان الخطاة المبرقعين بالعمى الروحى الكلى . والمتصلبى القلوب . يعدمون عون النعمة الفعالة وعون النعمة الكافية ايضًا . ولا يبقى لهم سوى القوة الكافية لكى يلتجيوا الى الله تعالى بالصلوة . فاذا ما اهملوا هذه ايضًا فلابد لهم من الهلاك . انتهى) . انه ليكفى ما اوردناه الان فى ضرورة الصلوة *

فعليك اذًا ان تصلى من اجل تلميذك . وتوضح له عظم احتياجه الكلى اليها بقولك له . انه لفى يده ان ينال من الله سبحانه تغيير قلبه بواسطة الصلوة . علمه ايضًا كيفية ممارستها . اى ان يصلى بتواضع وتواتر وحسن اتكال * ولكن لاحظ هنا هذا الامر . وهو انه نظرًا الى

الصفة

من هذا الاشفاق . وشكوا فى اعترافهم وعادوا فاعترفوا جديدًا . ظانين بالكاهن انه لم يفهم عظمة خطاياهم من جهة انه لم يوبخهم عليها . لعمرى ان البرد ولو كان من حجارة لا يحدث منه ضرر للارض نظير الضرر الذى حصل لها من قبل محو السما . ذاك الذى حدث فى زمن ايليا . حينما لم يعد يوجد فى الجو سحابة ما مدة ثلث سنين وثلثة اشهر *

غير انه يتفق مرات كثيرة انه لكى تسحق الصخرة ويجرى منها ماء الندامة . لا يكفيك ان تضربها مرة واحدة . بل ينبغى لك ان تضربها مرتين كما صنع موسى النبى (اعداد ٢٠) . لانه يوجد اناسٌ ولو معما نصحتهم ووبختهم لا يتحركون ولا يظهرون لك علامة التوبة الضرورية لقبول الحل . كاوليك الذين يستصعبون القانون المفروض عليهم بالصواب . ومثلهم الذين لا يظهرون الاستعداد الواجب لرد ما اختلسوه . او كالذين يعترفون اعترافات مملوة اعتذارات وما يشبه ذلك . فحينئذٍ ينبغى لك تحسن سلوكك معهم * وها انا اقدم لك واسطة اخرى اكثر فاعلية للظفر بصلابة القلب وهى الصلوة . الا انى قبل ان اوضح لك كيفية استعمال هذا السلاح الذى هو الصلوة . ارغب اليك ان تتامل جلال قوتها وثمنها *

فاعتبر اولًا ان الله تعالى قد خصص الصلوة بفاعلية عظيمة بهذا المقدار . حتى ان من يساله تعالى ما يلايم الخلاص

(ارميا ٥) * فمع هولاء ومع من يماثلهم بغلاظة العقل والطبع الذين لا يفيدهم التاديب اللطيف . افعل ما يامر به الرسول : وبخهم توبيخًا شديدًا مرًا (طيطس ١) . الا انه عند استعمالك كلمات التوبيخ احذر من ان تنطق بها بحركة النزاقة . وحينما تظهر احتدادًا ما فى خارجك . فلا يكن باطنك مسجسًا . كما ان الشمس وان انكسفت خارجًا فانها لا تتغير باطنًا *

واقول على وجه العموم . انه من حيث ان المسير فى الطريق المتوسطة لايخلو من صعوبة . فمن ثم اذا ما الجتك الضرورة بان تميل الى احد الطرفين . فالاجدر بك ان تميل الى الملاطفة . لا الى الصرامة . وبهذه الواسطة يباشر كلامك فى قلب التلميذ افضل تاثيرًا . الا انه قد يحدث لمعلمى الاعتراف ما يحدث للكرمات التى اذا غرست ما بين الزيتون المرموز به عن الحلم والوداعة . فانها تاتى باثمر وافرة * الا انى لست اريدك ان تقتدى باوليك الذين مع اظهارهم الانس والدعة لا يقدمون لتلاميذهم دواء ما . لانه وان كان الكاهن العديم الافراز يزيد بصرامته جراحات الخاطى بدلًا من ان يشفيها . الا ان هذا الضرر لاقل من ذلك الذى يصدر من رخاوة الكاهن الابكم الذى اذا ما فتح فاه لاينطق الا بعذوبة الكلام . قايلًا لتلميذه مع عالى الكاهن : ليس بجيد ما قد صنعت . احترس من هذه الخطية بمقدار ما يمكنك . وفى اثنى ذلك يحله حالًا * وقد اتفق مرات كثيرة . ان التلاميذ انفسهم تشكو

من

التلاميذ الذين لا يحسن بك ان توبخهم * وهم اولاً التلاميذ الجزعوا الطبع * ثانياً التلاميذ المنسحقوا القلوب النادمون على خطاياهم * ثالثاً التلاميذ المتصفون بسلطةٍ وعظمةٍ * فلا توبخ التلاميذ الجزوى الطبع . ليلا يزجهم الخوف فى لجة اليأس * ولا توبخ التلاميذ التايبين النادمين . لكون من يعامل بصرامة ذاك الذى يظهر ندامة سامية غير مالوفة يشبه انساناً مجتهداً فى افتتاح مدينةٍ قدمت له مفاتيحها * ولا توبخ الانام المقتدرين . من اجل ان هذا يضاد الاكرام الواجب لدرجاتهم . ولهذا قال الرسول لاتوبخ الشيخ ولاتنتهره بل اطلب اليه كما الى الاب (تيموثاوس اولى ٥)* فنظراً الى هولاء افتديتَ بالطبيعة التى تقدم لنا ادويتها ضمن زهورها . بل ماثل السيد المسيح نفسه فى نصايحه لبعض اساقفة . تلك التى حُررت فى سفر الرويا . حيث انه تعالى قد مزج مدحةً ما فى ملاماته اياهم * فعليك اذاً بان تنصح اهل الشرف والسلطة باحترام . ولكونهم سهلى الخجل فاحذر من ان تزيد ما يتبين لك من الحياء على وجوههم . قال ابن سيراخ : لا تزد اضطرام النار فى فحم الخطاة بواسطة توبيخك اياهم (بن سيراخ ٨) * فابق اذاً صرامة التونيب للانام الوقحى الوجوه والقساة القلوب . اوليك الذين يوردون خطاياهم كحكايا باطلة . او كشىء يسديهم شرفاً . الذين عنهم هتف ارميا النبى قايلاً : قد تصلبت وجوههم اكثر من الحجر ارميا

اردیا مثله . وان كانوا يحتسبونه رجلًا قديسًا . كيف يمكنه ان يلوم فيهم ما يحبه هو ذاته . وهذا ربما يصير سببًا لضرر اخر جسيم اعنى يصير سببًا لان تشفق الكهنة على جراحات تلاميذهم اشفاقًا مهلكًا *

الا انه لا يكفى ان تنصح تلميذك فقط . بل ينبغى لك ان توبخه ايضًا : لان الذى يهمل التوبيخات هو ضال . حسب كلام الحكيم (امثال ١٥) * وفى هذا الصدد ها انا اورد لك نصيحتين معتبرتين . احديهما تخص الزمن المناسب للتوبيخ والاخرى تلاحظ الانام الذين يجب عليك ان توبخهم *

فمن جهة الزمن المناسب للتوبيخ اقول هكذا . انه ليجب عليك ان تحذر من ان توبخ التلميذ قبل فروغه من الاعتراف . لانه لمن الممكن ان يصير كلامك سببًا لان يكتم احدى خطاياه ويرد الى جوفه السم الذى كان اتصل الى حد لسانه . على انه لما رام يشوع ان يعرف من عاخان المنافق خطيته قال له هكذا : يا بنى مجد الرب اله اسرايل . اعترف واخبرنى بما صنعت لا تكتم شيًا عنى . قال يشوع هذا وفى الحال اجاب عاخان قايلًا : يقينًا انى اخطات الى الرب وهكذا صنعت . فبعد ان اعترف بالتمام شرع يشوع حينيذ يعامله بالصرامة الواجبة . فخاطبه قايلًا له : من اجل انك سجستنا ليسجسك الرب فى هذا اليوم (يشوع ٧) *

اما نظرًا الى الاشخاص فلقد توجد ثلثة انواع من التلاميذ

فعلى هذا النسق لا يفيد الخاطى كونه خرج سالمًا من فخاخ الخطية واوثاقها بعض الاحيان بقوة سر الاعتراف. لانه اذا ما ارتد اليها راجعًا يمكن ان يشتد عليه غضب الله الى هذا الحد. حتى انه يهملهُ فلا يعود يسعفه. او انه لا يوفق له فرصةً للاعتراف. وان وجدها فلا يحصل على الندامة الضرورية لها. او على القصد الواجب لتتميم السر. وهكذا يبقى ماسورًا بين ايدى اعدايه الجهنميين كمثل شمشون بين ايدى الفلسطينيين. وحينئذٍ سيقر معترفًا بجزيل ضلال من يقول انى ارتكب هذه الخطية ثم اعترف عنها كما فعل انفًا. كما كان يقول شمشون: انى ساخرج كما خرجت من ذى قبلٍ واخلص. والحال ان الامر لا يجرى هكذا بل ان الله الذى يبطو مراتٍ كثيرةً ياتى اخيرًا: فلا تقل انى قد اخطات وما الذى اصابنى من البلا. لان العلى يكافى بعد اطالة صبره (ابن سيراخ) * اننا قد اوضحنا هذه الحجج ايضاحًا مستطيلًا فى كتابنا المدعو مرشد الخاطى فى سر الاعتراف. غير انى انصحك هنا قايلًا. ان قراءة ايضاح هذه الحجج من دون ان تتعمق فى معرفتها بواسطة تاملك اياها لا تفيدك سوى فايةٍ قليلة *

ثم يجب عليك ان تطابق اعمالك مع نصايحك. لكون الطبيب العادم الصحة يكون علاجه غالبًا قليل الاعتبار * ليت شعرى كيف يستطيع ذاك الذى تحرقه باطنًا حمى الرذيلة ان ينهض بالتونيب على انسانٍ اربيا

الاخيرة المرهبة . التى هى كسيف معلق فوق هامة الخاطى بخيط رفيع لا يدرى به كقول الحكيم : الاشرار لا يفتكرون بالدينونة (امثال ٢٨) * الحجة السادسة هى ابدية العذابات المستعة للخاطى فى جهنم . حيث يعذب بالنار والكبريت ودخان عذابه يصعد الى ابد الابدين (رويا ١٤) * الحجة السابعة هى عظم شقاء حال الخاطى الذى قد حصل اسير للشيطان الذى سيعذبه بمقدار ما تلذذ فى زمن حياته . لانه هكذا قيل فى سفر الرويا بمقدار ما مجد نفسه وتنعم بمقدار ذلك كافوه عذابًا ونوحًا (رويا ١٨) *

الا انه بعد كل شىء ولكى تقطع جرى المواد الفاسدة المضرة اعنى به ما يسبب الرجوع الى الخطية . فحرر جيدًا فى عقل التلميذ هذه الحقيقة الجزيل اعتبارها . وهى انه بمقدار ما يزداد عدد الخطايا . بمقدار ذلك تزداد صعوبة الخلاص . من اجل انه بازدياد عدد الخطايا تتشدد الملكات الردية . ويزداد العقل ظلامًا . وتنقص الارادة قوة . ويتقوى ابليس جسارةً وقدرةً على التجربة . ومن ثم يحصل الخاطى قليل القوة نظرًا الى المقاومة . وبالنتيجة يصعب الخلاص الابدى جدًا جدًا على من يرجع الى الخطية متواترًا * ولهذا باطلًا كان يرجو شمشون الخلاص من الفلسطينيين بعد مجاته مرات كثيرة من اشراكهم سالمًا . لكونه اخيرًا بقى فيها ماسورًا : ولم يعرف كما يقول الكتاب المقدس ان الله قد كان اهمله (قضاة ١٦) * فعلى

(تثنية ٢٣) * الحجة الثالثة هى تفاقم افتراء الخاطى على افتداء السيد المسيح لكونه على نوع ما يجدد جراحات مخلصه واهاناته . وذلك بافتعاله الأمر الذى بسببه صُلب ومات ابن الله . اعنى به الخطية حسب كلام الرسول القايل : صالبين ابن الله ثانيةً لانفسهم ومحتقرينه (عبرانيين ٦) *

اما النوع الاخر من الحجج التى تحث الخاطى وتحرضه على الندامة . فهو ما يخص الضرر الواصل له من قبل الخطية * فالحجة الاولى هى جلال ثمن ما قد خسره بفقده النعمة الالهية تلك التى درجة واحدة منها . كما قال القديس اغوسطينوس والمعلم المليكى هى افضل ثمنًا من كل ما يوجد فى العالم . وهى ايضًا التى اشار اليها الحكيم بقوله : ان كل الذهب تجاهها هو يسيرٌ من الرمل (حكمة ٧) * الحجة الثانية هى فقد ملكوت السما الذى يفضّل عليه الخاطى لذات وقتية قبيحة . مستخفًا بالوطن السماوى ومزدريًا به كاوليك الاغبيا الذين رذلوا الارض الشهية (مزمور ١٠٥) * الحجة الثالثة هى قصر الحيوة التى تعبر وتنتهى سريعًا لانها تشبه كما قال يعقوب الرسول : بخارًا يرى قليلاً ثم يضمحل (يعقوب ٤) * الحجة الرابعة هى جهل الانسان ساعة موته . الذى قد يمكن ان يوافيه فى كل وقت حسبما انبانا تعالى قايلاً : انظروا واسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متى يكون الزمن (مرقص ١٣) * الحجة الخامسة هى الدينونة

اعتبر انه وان كانت الصلابة تستقر فى القلب . الا انها تتخذ صدورها من الفم . حسبما هتف ارميا النبى قايلاً : انى صغيت وسمعت انه لا يتوب احدٌ عن خطيته لانه لم يقل ما الذى فعلت (ارميا ٨) . وقد اشار النبى بذلك . الى ان السبب الذى لاجله لا يتوب الخاطى . هو انه لا يفتكر فيما صنعه . لانه لو يعتبر جيدًا ما الذى صنع حينما اخطا . لكان اجتهد حالاً فى هدمه واستيصاله * فالجدير بك اذًا ان تداوى الفم اولاً . وذلك بايرادك لتلميذك بعد فروغه من الاعتراف حججًا ودلايلاً من شانها ان تصيّر العقل ان يفهم عظم شر الخطية الغير الموصوف . وهذه الحجج هى نوعان . بعضها تلاحظ الله تقدست اسماؤه . والاخرى تلاليم الخاطى *

فلنوردنَّ اولاً النوع الاول من الحجج فنقول * الحجة الاولى هى افتراء الانسان على الله ربه حينما يشاء رغمًا عن عزته الغير المتناهية . ان يفعل ما قد نهى عنه تعالى بوصية صارمة . لان الخاطى كما قال الرسول بتعديه الناموس يحتقر الله (رومية ٢) * الحجة الثانية هى عدم معروف الانسان وخيانته الله سبحانه . بعد ان حاز من كرمه حسنات فايقة غير متعددة . كانه لم يكن فى قدرة هذا الرب الضابط الكل ان يزجه بغتةً فى هاوية جهنم . وليورد فى خطابه ما سطره موسى النبى بقوله : آهذا الجزا الذى تجازى به الرب يا ايها الشعب الجاهل الغبى

بهذا المقدار. حتى انه بتمادى الزمن اضمحل فلم ينتبهوا عليه فى حين فحص ضميرهم. ففى مثل هذا الاتفاق من حين انهم لم ينتبهوا على انهم ملتزمون بالاعتراف عن هذه الخطايا. فلا يحتاج ان تلزمهم بتكرير اعترافاتهم السالفة كانها غير صحيحة باطلة *

❁ الفصل التاسع ❁

فيما يجب على الكاهن فعله لكى يداوى * صلابة القلوب *

انه لقد استطاع موسى الكليم ان يزيل الظلمات من عينى فرعون الشرير. غير انه لم يستطع ان ينزع الصلابة من قلبه. فربما ان الامر يتفق لك هكذا مع تلميذك. اى انه بعد ان تكون ازلت من عقله ظلام الجهل. تعجز عن تليين قلبه وازالة القساوة من ارادته. لانه قد يحدث ما قاله ايوب البار وهو: ان قلب الخاطى يتصلب مثل الحجر (ايوب ٤١م). فحينئذٍ تلتزم بان تبذل المجهود فى سحقه وتليينه. ولا ريب فى ان هذا هو الذى ينبغى ان يتجه اليه كل اهتمام الطبيب الروحى * فاذًا يجب عليك عند مداواتك هولاء المرضى ان تصدر فى قلوبهم توجعًا عظيمًا. وقصدًا متينًا على الفرار مما يميت نفوسهم. وهنذا اقدم لك الوسايط الموصلة بك الى هذا المقصود فاقول *

له سببًا لان يعثر باوفر سهولة واعظم خطية . فينبغى لك اذًا حينئذ ان تحسن الحذر والاحتراس جدًا جدًا *

اقول اخيرًا على وجه العموم . انه متى ما كان جهل التلميذ جهلاً ملاحظًا الوصايا الطبيعية . فيمكنك ان تتدرب معه باوفر حرية وسذاجة مما يمكنك ذلك اذا كان الجهل ملايمًا الوصايا الوضعية . اى الموضوعة من اصحاب الشرايع . والسبب فى ذلك هو لان الجهل الاول يكون نادر الوجود جدًا . واذا ما وُجد فى شخص ما فانه نادر جدًا ان يكون ناجيًا من الخطية . وان نجى منها فانه فى النادر جدًا يستقيم على هذه الحال مدة مدية من الزمن . من اجل ان صوت الشريعة الحية المرسومة فى قلب الانسان ينبهه ويونبه على ذلك * فلا تصدق اذًا الصبيان والشبان بسهولة حينما يقولون عن نفوسهم انهم لما سقطوا فى بعض خطايا دنسة لم يكونوا عارفين بانها خطايا . وانهم لاجل هذا ما ذكروها فى اعترافاتهم . لان الاكثرين منهم كانوا قل ما يكون يشكون بذلك وتغافلوا عن ازالة شكهم . وبالنتيجة كان جهلهم هذا جهلاً مقصودًا اختياريًا *

غير انه قد يمكن ان يتفق هذا الامر . وهو ان هذا الجهل وان كان غير معذور نظرًا الى ارتكاب الخطية الدنسة . الا انه يكون معذورًا نظرًا الى الصمت عنها فى الاعتراف . وذلك من اجل ان ذكر الشر الذى اطلع عليه اوليك فى حين فعلهم الخطية الدنسة كان خفيفًا بهذا

ايضاحه . فتكون وقتيذٍ لا كالانسان الذى يسمح بالضلال فقط . بل كمن يثبته ايضًا . وفى هذا الاتفاق نفسه احسن الخروجيدًا . فلا توضح الحق الا قليلاً قليلاً . ولا تقل اكثر مما يُطلب منك : لا تسبق السوال بل انتظره . لاترد جوابًا قبل ان تسمع (ابن سيراخ ١١) * فلنفترض مثلاً ان تلميذك تزوج زيجةً غير جايزة . كمن يتزوج مع كونه مرتبطًا بنذر العفة . فهذا اذا سالك هل ان زيجته صحيحةٌ ام لا فقل له نعم . ولا توضح له انه مع هذا ملتزمٌ بالا يطلب وفاء حق الزيجة * وان استتلى كلامهُ قايلاً لك : فاذًا يجوز لى ان افى حق الزيجة . فقل له نعم يجوز لك هذا لا محالة . ولكن احذر من ان تستتلى كلامك فتقول له : انه لا يجوز له طلب حق الزيجة . واخيرًا اقول انه ليجب عليك الا تسرع فى هذا الامر . بل اختبر عمق النهر قبل ان تجتازه . ولقد اعتادت الانام المفرزون ان يعاملوا هكذا من قد استقام مدةً فى سجنٍ مدلهم . اى انهم يرونه النور شيئًا فشيئًا . وذلك ليلا تنبهر عيناه ويتبدد نظره * والسيد المسيح نفسه لم يبرى العميان على نوعٍ واحد . لانه تعالى اشفى بعضًا منهم بهنيهةٍ من الزمن . واخرين ابراهم رويدًا رويدًا . مشيرًا بذلك الى انه ينبغى لمعلمى الاعتراف ان يختبروا حال العمى . فان راوه مضرًا . فليزيلوه حالاً * اما اذا كان ذلك العمى نافعًا فليبروه قليلاً قليلاً . لان حصول الانسان على النظر بغتةً بسرعةٍ . لمن الممكن ان يصير له

الذى يعلم الجمهور جهاراً ان يوضح الحق . ولو وجد فى المحفل بعض انفار لاينتفعون منه . بل ينضرون ويزدادون شراً . مقتدياً بالرسول القايل لتلميذه تيموثاوس فى رسالته الثانية : علم ووبّخ فى وقتٍ مناسبٍ وفى غير وقتٍ (اصحاح ٤) * الا انه مع ذلك لا يحسن بمعلم الاعتراف ان يفعل هكذا . فان رايت اذاً تلميذك ولو نصحته على شرهٍ فليس هو بمحقق انه يستعمل حالاً الدوا الواجب عليه . فابقِ نصيحتك الى وقتٍ اخر يكون اوفر مناسبة * قال الحكيم ابن سيراخ فى الاصحاح العشرين : انه قد يوجد من يسكت لاجل كونه لم يفهم الكلام . وهذا نقيصةٌ . وقد يوجد من يسكت . وهو عارفٌ الزمن المناسب للكلام . وهذا امرٌ حميدٌ * فاذا ما ارتاب عقلك وشك . فتامل من احدى الجهات رجا الفايدة . ولاحظ من الجهة الاخرى ما يخشى من الضرر الممكن وروده . فان رايت الرجا راجحاً اكثر من الخوف . فاصنع هكذا . اى انتظر الى ان يكون التلميذ اقتبل الحل وحينيذٍ انصحهُ . لانه اذا اتفق ما يضاد رجاك . اى اذا اتفق ان يابى التلميذ عن فعل ما يلتزم به . فان هذه المخالفة تمنعك عن ان تحله . لانه وقتيذٍ لا يكون فى حال ضميرٍ سليمٍ وجهلٍ معذورٍ *

غير انه اذا شك التلميذ فى امره قبلاً . وشاء ان يعرف الحق منك . فتلتزم حينيذٍ ان توضحه له مع علمك بانه لا يقبله . وينضر من ايضاحه . لانك ان ابيت عن ايضاحه .

بخطايا كارلوس . لا بخطايا قيصر . ولايضاح ذلك لنضربنَّ مثلًا فى شخص كاهنٍ يرعى الشعب المسيحى . فترى هذا ينكر فى اعترافهِ احتدادًا ما خفيفًا فرط منه بنزاقة فى تدبير اهل منزلهِ . او تمرمرًا ما طفيفًا صدر منهِ فى مخاطباته مع اصدقايه وهلم جرا * فهذا نعم انه قد اورد خطايا كارلوس . ولكن لم يورد خطايا قيصر لانه فى اعترافهِ لم ينكر انه قدس الاسرار الالهية بسرعةٍ وبحركاتٍ مضادة الاحتشام . لم ينكر انه ربما ما فتح ابدًا فمه لكى يعلم رعيته واجبات خلاصهم . لم ينكر انه اهمل التفتيش عن خرافهِ الضالة . حتى لا اقول انه لم يقبل تلك النعجة التى كانت تروم ان ترجع اليه . وابي عن قبول اعترافات الناس وما شاكل ذلك مما يخص درجته * فالذى قلناه عن خطايا الكاهن تلك التى تصدر من الاهمال . طابقهُ مع ما تهمله المعلمون . والوالدون . وارباب البيوت . والحكام . وغيرهم من واجبات دعواتهم ووظايفهم . وهم غير معتبرين هذا الاهمال . بل متغاضون عنه بالكلية . كانّ الله تعالى فى الدينونة الاخيرة عتيدٌ ان يحاسب عبيده عما يبدرقونه من الوزنات فقط لا عما يهملونه منها ايضًا *

والنتيجة انه ينبغى لك ان تجتهد فى ابادة هذه الشرور . بايرادك لتلاميذك ما يخص خطايا الاهمال . الا انه نظرًا الى هذا الامر . اى حينما تنصحهم على ذلك . لاحظ على الدوام خيرهم . لانه وان كان يجب على الواعظ الذى

(امثال ٣٠) * والحال انك لملتزم لا بان تنضح التلميذ على هذه الندامة فقط. بل ان تحثه ايضًا على ممارستها حينما يستعد لسر الاعتراف. موردًا له انه بدون هذه الندامة الفعالة يعود الاعتراف كجسدٍ خالٍ من نفسٍ. وانه بالتالى يلتزم فيما بعد بان يهتم فى ان يندم على خطاياه اكثر من اهتمامه فى الفحص عنها *

الا ان الامر الذى تجده اصعب مما تقدم ايراده. هو الاطلاع على النوع الثالث من الجهل ومداواته. الجهل الذى يشبه سبات الفالج. اعنى به جهل التلميذ ما ارتكب من الخطايا بالاعمال * لقد ذُكر عن كارلوس الخامس ملك ايسبانيا المظفر. انه اعترف يومًا عند كاهنٍ ما. وكان الكاهن خوريًا لاحدى القرى غير معروفٍ منه. فلما فرغ من ايراد خطاياه بروح عبادته المالوفة قال للخورى هكذا: هذا ما فرط منى. ولست اعرف شيًا اخر. اما ذاك الكاهن الذى كان اوفر علمًا وفطنة مما كان يظهر بالخارج. قال للملك هكذا: ما هذا ايها الملك. انك حتى الان لم تورد سوى خطايا كارلوس. فلم لاتعترف ايضًا عن خطايا قيصر. مشيرًا بذلك الى ان من كان مثله ملكًا معظمًا لا يكفيه ان يفحص ضميره كما يصنع رجلٌ مرؤس. بل ينبغى له ان يبحث عن خطايا متعددة صادرة من اهمال بعض واجباتٍ متعلقة بدرجته الملوكية *

فعلى هذا النسق نرى كثيرين يفعلون: اى يعترفون بخطايا

الذين كان يستهزى بهم النبى بقوله : يا ايها الراعى بل يا ايها الوثن (زخريا ١١) : اعنى رعاة من خشب لهم افواه ولا يتكلمون (مزمور ١١٣) . فامر حينئذٍ اوليك التلاميذ الغشما بان يسالوا فى مدار السنة وفى كل عيد شريف عن السبب الذى من اجله تعيد الكنيسة تلك الاعياد . فانهم بهذه الواسطة يتعلمون السر . او قل ما يكون يقمون ما هم ملتزمون به من التفتيش على الحق . ولو لم يبلغوا اليه *

النوع الثانى من الجهل هو جهل المومن ضرورة الندامة . والقصد الثابت على عدم الرجوع الى الخطية . هذين الامرين اللذين لابد عنهما فى سر الاعتراف . على ان كثيرين من الخطاة يحالون متصورين الاعتراف كانه جزية مرسومة من السيد المسيح على الخطية * فكما انه لا باس على احد اذا ادخل الى البلاد بضاعةً غريبة بشرط ان يادى ماها المرسوم من الملك . هكذا اوليك يتوهمون انه لا باس على من يرتكب خطايا جديدةً اذا ما ارتضى بوفاء ما فرض لاجلها . اى الاقرار بها للكاهن * فهولاء حينما يعدّون انفسهم للاعتراف . يوجهون كل جهدهم الى هذا فقط . وهو ان يعرفوا عدد ذنوبهم . اما الندامة فلا يعتبرونها البتة . ومن ثم هذا السر الذى هو معمودية ثانية . يعود لكثيرين حميمًا مضرًا او باطلًا * هولاء هم الذين قد سمّاهم الحكيم : الجيل الذى يظن بنفسه انه متطهّر نقى ولم يتنقّ من نجاسته

ولعينى معين دموع لابكى ليلاً ونهاراً على قتلى بنت شعبى (ارميا ٩) : اعنى على هلاك نفوسٍ لا يحصى عددها . التى قد دفنت فى جهل كلى اعنى به جهل هذه الاسرار الالهية . اوليك الذين لا يعرفون شيًا اخر سوى هذا الامر فقط . وهو انهم لا يعرفون شيا اصلاً *

الا انه من حيث ان الدموع وحدها لا تفيد لانقاذ من يهلك . فمن ثمه تلزمك الضرورة بان تحسن الصبر حينما يتقدم اليك مثل هولاء . اى ينبغى لك ان تعلمهم متانيًا قبل ان تعلم . لانهم قبل ان يمارسوا قلما يكون فعل الايمان بهذه الحقيقة المذكورة . ليسوا بقابلين لنيل النعمة *

وان تمسكت بالراى الثانى فستجد نفسك كانها حاصلة فيمابين الاشواك . من اجل ان جهل اوليك المساكين يكون اوقاتًا كثيرة غير ناجٍ من الذنب . وبالتالى ليس هو جهلاً معذورًا . مع أنه اعنى هذا الجهل هو على الدوام جزيل الضرر* والحال انه لقد يتفق مراتٍ كثيرةً . انه من احدى الجهات لا يدعك غشمهم وضيقة الزمن ان تعلمهم كما يجب . ومن الجهة الاخرى لا يسوغ لك من دون ضرورةٍ ان تطلق مثل هولاء المساكين المهملين . فماذا الذى تفعله اذًا فى ذلك الوقت . فليس لك ان تفعل سوى هذا الامر . وهو ان تامرهم بالذهاب الى الكنيسة حيث يوضح هذا التعليم الكلى الضرورة * ولكن ان كان راعى تلك الكنيسة من جملة الذين

يكون شكه كما قال المعلمون شكًا غير معذور* واحيانًا ترى هذا التلميذ ليس انه لا يهمل الاستفحاص فقط . بل انه وان كان الحق نجاة عينيه فيغضهما ليلا يبصره . وعلى هذا النحو يكون جهله جهلًا مقصودًا * والحال انه فى مثل هذا الاتفاق يجب على معلم الاعتراف ان يزيل الجهل . لكونه جهلًا يستطيع تلميذه ان ينتصر عليه . وبالنتيجة جهلًا يصيّر صاحبه مذنبًا . غير قابل لنيل النعمة ما دام هو فى هذه الحال *

ولكى نورد الامور مفصلة . ويعود التعليم اوفر نفعًا فاعلم . انه يجب عليك ان تنزع عن تلميذك ثلثة انواع من الجهل * فالنوع الاول هو جهل الاسرار الملتزم كل مسيحى بالايمان بها وفى هذا الصدد لقد ذهب المعلمون اللاهوتيون الى رايين . فبعض منهم يذهبون الى ان الاعتقاد المفصّل بالثالوث الاقدس وبالتجسد الالهى هو ضرورى للخلاص . ضرورة الواسطة . ويثبتون ذلك بكلام السيد المسيح القايل : هذه هى حيوة الابد ان يعرفوك انت اله الحق وحدك والذى ارسلته يسوع المسيح (يوحنا ١٧) * اما اخرون من المعلمين فانهم يقولون ان هذا الاعتقاد المفصل هو ضرورى ضرورة الوصية فقط . وبالتالى من يهمل اكتساب هذه المعرفة اهمالًا ناجيًا من الذنب . لمن الممكن ان يفوز بالخلاص* فان استحسنت الراى الاول . فيسوع لك وقتيذ ان ترثى باكيًا قايلًا مع ارميا النبى : من يعطى لراسى ماء ولعينى

نموذجًا تقتدى به بما يصنعه الطبيب بالمريض الحاصل على حال السبات . فانه ان راى ذلك السبات هو راحة تصلح فيه الارواح والاعضا . فلا يزيلهُ عنه . بل يربيه . وبعكس ذلك ان راى السبات ناتجًا عن داء الفالج . فانه يبذل كل جهده فى ازالته . ويستعمل فى هذا الادوية الاشد صعوبةً والامًا * فعلى هذا النسق افعل انت ايضًا . اى ان اتاك تلميذٌ بعيونٍ مغضوضة . اعنى بعقلٍ معتمٍ بجهلٍ يفيد نفسه . مثلًا كرجلٍ فى حال زجةٍ باطلة غير محكة وهو لا يدرى بالمنع الذى يصيّر زجتهُ باطلة . فدعه فى حال هذا العمى البرى من الذنب . لانك اذا اريته الداء . ولم تكن هيات الدوا لشفايه . نعم انك تفتح عينيه . الا انك تفتحهما كما ان الخطية فتحت عينى ادم لضررهِ لا لنفعه . من اجل ان ذلك التلميذ بعد ان يطلع على المنع ربما انه لا يفارق المراة . ولا يمتنع عنها . فالخليق اذًا بك ان تسعى له سرًا فى حل ذلك المنع . وقبل ان تخبره به اورد له ضرورة هذا الحل . لكى يعلم عمق الهاوية حينما يكون قد بادر على خطر السقوط فيها *

وبخلاف ذلك اذا تقدم اليك تلميذٌ معتمٍ بجهلٍ يشبه سبات الفالج . الدال على اقتراب الموت . فانك وقتيذٍ تلتزم بان تعتنى فى ان توقظهُ . ليلا يميته ذلك الداء . لانه ربما ان يشك فى التزام ما يخص امورًا باهظة . ومع هذا يتغاضى عن ازالة شكهِ تغاضيًا معتبرًا . ومن ثم يكون

الجهل . ثم نقدم دواءً لشفا صلابة القلب . واخيرًا نتكلم عن اجتذاب الارادة المتمردة . وفي اثنا ذلك نشرح رذيلتين مستقرتين في جزء النفس الاعلى اعني بهما التجديف والبخل * ثم نوضح شرين اخرين موجودين في قواها السفلية . اعني بهما شر الانتقام الناتج من القوة الغضبية . وشر الزنا الصادر من القوة الشهوانية . ونختتم التعليم بتقدمة دواء للنفوس الموسوسة *

❁ الفصل الثامن ❁

فيما يجب على الكاهن ان يفعلهُ لكي يشفي جهل تلميذه *

انه في هذا الامر يحتاج الكاهن الى فطنةٍ جزيلة . لانه وان كان الجهل على نوعٍ ما هو سم العقل . الا ان ضعفنا يفتقر اليه احيانًا . كما ان السم يكون في بعض الاوقات دواءً لسم اخر حسبما قالت الاطبا . فمن كانت اذًا ارادته ضعيفةً على العمل . فيفيده الا يعقل بعض اشياء الا قليلاً . لكي يمكن ان يعذر عن تعدية بعض واجباتٍ يجهلها . تلك التي قد كان يتعداها لو يعقلها ويفهمها *

غير انه يجب عليك ان تمعن النظر جيدًا في جهل التلميذ وتميزه حسنًا . لكون الجهل نوعين . فاحدهما معذور . والاخر غير معذور . وفي هذين الحالين من الجهل ينبغي لك ان تتدرب بحسب نوعين مختلفين * فاتخذ لك نموذجًا

اقبلوهم بسرور اسمعوهم بصبر. احتملوا مزاياهم الكثيفة. لا تضجروا من غشمهم وعدم تبوتهم. لا تبرحوا مجتهدين فى مساعدتهم. وافتداء نفوسهم. نعم انها نفوسٌ كثيفة تشبه اللآلى الملطخة بالحماة. الا انها لا تنقص قيمةً واعتباراً لاجل ذلك. وان رحضتها بدم الحمل النقى فتتلالا فى السما افضل من النجوم *

فاذ قد اوضحنا الصفات الثلث التى يحتاجها كل طبيب يعالج النفوس. اعنى به كاهن الاعتراف. فلنوردنَّ الان الامراض التى يلتزم بالاعتنا فى اشفايها. ولكن من يستطيع ان يصفها كلها فردًا فردًا. لكون امراض النفس ليست هى اقل عددًا من امراض الجسد. والحال ان امراض العين وحدها كما قال جالينوس الطبيب. هى بالعدد ماية وعشرة. فلنميز اذًا من امراض النفس تلك التى هى اكثر عمومية وجسامة بحسب الترتيب الاتى ذكره فنقول: انه لمن الواضح ان الانسان بواسطة الخطية الاصلية قد حصل جريحًا بكليته. لانه قد الجرح وانضر فى فهمه بالجهل. وفى الارادة بالحب الذاتى المنحرف. وفى جزء نفسه الاعلى والادنى على حدٍ سوى بتضاد امارتهما * والذى هو اشر من ذلك هو اننا نزيد كل يومٍ على هذه الجراحات كلومًا جديدة بالخطايا الفعلية. حتى انه يسوغ للنفس المسكينة ان تهتف مع ايوب البار قايلةً: جرحونى جرحًا فوق جرح (ايوب ١٦) * فمن اجل ذلك نورد واسطةً لاشفا الفهم بازالة الجهل

القريب . ويرغب خلاص النفوس رغبةً مضطرمة * انه لمن المحقق ان الطبيعة قد افاضت فى قلوب الامهات المحبة لكى يستخففن بتعب تربية بنيهنَّ . هكذا النعمة فانها تفيض المحبة فى قلوب الكهنة لكى يخف على كل منهم تعب وظيفته . على انه بدون هذه المحبة لمن المستحيل ان يباشرها جيدًا زمنًا مديدًا * وقد ذُكر عن راهبٍ ما كان قديس من رهبنة مارى فرنسيس . انه قال يومًا هكذا : لو اننى اكون قد وضعت قدمى الواحدة فى ملكوت السما . ثم التفت الى وراى فرايت واحدًا محتاجًا الى الاعتراف . لجذبت قدمى حالاً من الفردوس ومضيت فعزيت ذاك الشخص بقبول اعترافه *

وليكن قياس محبتك هذه نظير ذاك الذى قد عينه بولس الرسول : اعنى عريضًا طويلاً عاليًا عميقًا (افسس ٣) * فليصيرك اذًا عرض محبتك للقريب ان تقبل جميع الخطاة اغنيا وفقرا . شرفا وحقيرين . وليجعلك طولها الا تضجر عند قبولك اعترافاتهم . وليحثك علوها على ان ترفعهم من على الارض وترقيهم الى الله . اخيرًا ليصيرك عمقها ان تتنازل الى ضعفهم . فلا تريهم ضجرًا ما عند مداواتك جراحاتهم * فيا لحسن ما قاله القديس فرنسيس سالاسيوس فى هذا الصدد . مخاطبًا الكهنة هكذا : تاملوا كيف ان تلاميذكم فى ابتداء اعترافاتهم يدعونكم اباء . فلتكن اذًا قلوبكم نحوهم قلوبًا ابوية . اقبلوهم

موثرة . وبوجهٍ مضطرم . وبغيرةٍ متقدة صوّر له عظم الشك المسبب منه . والعار الواصل اليه ولاقربايه . ثم استتلى قولهُ بقوله : الا ان الذى هو اعظم من ذلك هو الغضب الالهى . لانه ماذا يكون حظ الانسان الذى يريد ان يستمر مستغرقًا فى حماة كريهة كوحش دنس . سوى ان العدل الالهى سيحكم عليه بان يموت بغتةً فى هذه الحال . تذكّر كم مرةٍ قد كان يستطيع ان يزجك فى جهنم ولم يفعل ذلك . افليس الاحرى بك ان تسكّن غضبه تعالى بمفارقتك هذه الابنة الحقيرة الاصل . وتتزوج بحسب الناموس البيعى باخرى نظيرك فى الشرف * اعلم ان كلما اقولهُ لك الان انما اقولهُ لاجل خيرك لاغير . واقر امامك بان كل ما فعلته معك انما فعلته لكى اعدَّك لاقتبال النعمة الالهية . ولاجل هذا عاملتك بحيلةٍ مقدسة . فطلبت منك ان تتباعد من الخطية مدة وجيزةٍ من الايام . فياليتنى كنت استطيع ان اريك قلبى لكنت بلاشك تعلم كم مقدار ما ارغب خلاص نفسك * فلما سمع ذلك الرجل هذه الحجج الموردة من فم الكاهن بالفاظ لطيفة . اثرت فى قلبه تاثيرًا هذا حده . حتى انه بنعمة الله تعالى الساعية مع فطنة الكاهن وغيرته ارتد عن الشر بتوبةٍ حقيقية . وافترق من تلك الابنة الشقية . ثم تزوج بعد زمن يسير زيجةً شريفةً مباركة . فانظر الان كم ينتفع التلميذ من معلم اعترافه *

ثالثًا واخيرًا ينبغى لمعلم الاعتراف ان يكون محبًا لخير القريب .

من انه يظهر على نفسه بانه قد اطلق لشهوته العنان بهذا المقدار. حتى انه لا يقدر ان يسلم ذلك العنان لعقله النطقى مدة يسيرة من الزمن. فقال له الكاهن: قم اذًا واذهب خارجًا من المدينة وامكث هناك. ولتستقم الابنة فى منزلها * ففعل التلميذ حسبما امره. وبعد انتهاء الزمن المعين. عاد الى الكاهن لكى يعترف كانه بامتناعه هذه المدة الوجيزة عن فعل الدنس كان قد اكتسب اكليل البتولية * فقال له مرشده انى ارى الان انك قد استطعت ان تقاوم هواك الردى. وقد كنت انا احلك مع سماحى لك بان تسكن البنت فى منزلك. الا ان الشر هو مشتهر. ولهذا ان حللتك الان فاخشى من انى لا اجد حجة استطيع بها ان ابرر نفسى عند الناس من قبل ان امتحنك ثانيةً. فاطعنى اذًا هذه المرة ايضًا لكى يمكنى ان احلك باوفر امانٍ. وذلك بتغييرك المنزل نصف شهر اخر. ولكن لتخرج الابنة من المدينة وامكث انت فى منزلك. (وقد جعل الكاهن هذا كجزءٍ من قانونٍ متقدم الحل) واذهب الى الكنيسة كل يومٍ مرتين واطلب من مريم المجيدة ان تمدك بشعاعاتها. واعطى كل يوم صدقةً ما لاحد المساكين. ولم يخاطبه ابدًا عن وجوب ترك سبب الخطية القريب * ولكن حينما انتهى الشر وحصل عليل الروح على قليل من القوة. فطفق وقتيذٍ الكاهن يغير الدواء. لكونه انفرد بالتلميذ يومًا وشرع يخاطبه بالفاظٍ موثرة.

اى زمنٍ ابتداء يسلك هذا السلوك . وقد تجعلك هذه الفطنة ايضًا ان تقدم له نصايح ووسايط مناسبة لحاله * خبرٌ. انه كان فى مدينة ما من بلاد ايطاليا رجلٌ ما شريف الحسب والنسب . فهذا كان يشين شرف اصله بتردده الدنس مع بنتٍ حقيرة الاصل . وقد تعب فى مداواة هذا الدا القبيح معلموا اعتراف كثيرون مئةٌ مدينةٌ من الزمن . وكان يذهب تعبهم باطلاً . من اجل ان العليل لم يكن يقبل من الادوية سوى تلك التى تضره . اعنى بها النصايح اللينة السهلة . وحينما كانت يد الطبيب تمس قليلًا جرتومة الداء واصله . اي يلزمهُ الكاهن بالانفصال من تلك الشقية . فكان المريض يصرخ حالاً قايلًا : انه غير ممكن ان افعل هكذا * الا انه قد اتفق اخيرًا باحسانٍ جليلٍ من العناية الالهية الراغبة خلاصه . انه اتجه الى ذلك المكان كاهنٌ حاذقٌ خبير فى علاج النفوس . فهذا راى حالاً انه لمن الممتنع عليه ان يستعمل الحديد مع مثل هذا الجريح اللطيف المزاج قبل ان يلقيه فى حال السبات والنوم . فشرع وقتيذٍ يظهر له روح الاشفاق والحنو على ما فعل به الكهنة الصارمون . وذلك بقوله له : انهم حقًا شدوا عليك بقليلٍ من الصرامة اوليك الذين مسكوا عنك الحل . اما انا فانى اسير اليوم معك بطريقٍ اخرى . فهل تعاهدنى يا ابنى عهد رجلٍ شريفٍ بانك تبتعد من هذه الابنة مئة نصف شهر فقط * فلما سمع الرجل هذا الكلام تنهد غير انه ارتضى اخيرًا لخجله

من

عظيم . لكى يجدوا ادوية تفيد لاطالة حيوة انسانٍ عليل . والحال ان كل ذى لحم حشيش . الذى من شانهِ ان يفنى اليوم او غدا . وهاهوذا معلموا الاعتراف يستصعبون ان يتلوا كتابًا روحيًا لكى يتخذوا منه نصايح مفيدة لخلاص النفوس . مع انها عتيدةٌ ان تحيى حيوة موبدة . او تموت موتًا سرمديًا . انتهى كلام القديس * والحال ان الجامع المقدسة تامر كل كاهنٍ بذلك . كما يوجد فى القوانين الكنايسية محررًا هكذا : ليكن الكاهن فطنًا وحريصًا . وليقتدِ بالطبيب الماهر الذى يسكب الخمر والزيت على الجراحات . وليفحص باجتهادٍ عن اعراض الخاطى وخطاياه . لكى يعلم بنور الفطنة ايتما مشورة يجب عليه ان يقدمها له . وايما دواء ينبغى له ان يستعمله فى علاجهِ . وليجتهد فى اشفاء المريض بوسايط مختلفة . انتهى . لعمرى ان هذه الكلمات توضح جليًا توانى اوليك الكهنة الذين فى حال الاعتراف لا يفتحون افواههم الا لكى يضعوا القانون ويتلوا الحل * ثم ان هذه الفطنة تصيرك ان تفحص باحتراسٍ عن امارات التلميذ وطباعه . اى هل هو متصف بعقلٍ عنيد فى رايه . او بقلبٍ جزوع . او جسورٍ . او سريع التغيير والانقلاب فى مقاصدهِ * ثم انها تجعلك ايضًا ان تفحص عن الطبع الثانى الجزيلة صعوبة اصلاحه . اعنى به الملكة الرديئة . فتنظر كم مقدار ما هى متاصلة فيه . ولقد يمكنك ان تطلع على هذا وتعلمه اذا ما سالت التلميذ بحسن الرصانة من

اى

نصحه تعالى وامره بان يحذر ليلا يُصاد هو ويهلك عند اجتهاده فى صيد النفوس . لانه سبحانه هكذا هتف نحو نبيه قايلاً : انه ينبغى ان يرتدوا اليك بالتوبة ولا يستحبوك الى شرورهم *

اما الفطنة فلمن الحق الواضح ان راعى النفوس يحتاج اليها احتياجاً كليًا . وان سالنى احدٌ عن سبب ذلك فاجيبه قايلاً : ان السبب الذى من اجله يحتاج النوتى ريس السفينة الى عينين باصرتين . هو نفسه السبب الذى من اجله يحتاج الراعى الروحى الى هذه الفطنة . لانه من شان هذه الفضيلة ان ترشد افعال التلميذ الى غايتها * فالناتج اذًا من ذلك . ان الفطنة التى نحن الان فى صددها . هى تلك التى تتردد فى السما اكثر مما تتردد على الارض . وفى ارشادها النفوس تتدرب بحسب عادة الذين يسافرون فى برارى بلاد الاعراب . اوليك الذين ينظرون الى النجوم اكثر مما يلاحظون الطرق التى لا يثبت فيها الرسم . لكونها من رمل تديره الرياح *

غير ان الواسطة الموصلة بك الى اكتساب هذه الفطنة هى اولاً ان تلتمسها من الله سبحانه . لانها هى شعاعٌ بارزٌ من وجهه تعالى المنير * ثانيًا ان تطلبها بالانعكاف على درس الكتاب المقدسة درسًا متصلاً . وهنا يهتف القديس توما اللاهوتى قايلاً : يا للعجب من كوننا نرى الاطبا دارسين كتب صناعتهم بجهدٍ وعنا عظيم .

ان يفيض منها على الاخرين * كما ان المرضعات يفتقرن الى ماكل مضاعف . لكى يمكنهن ان يحفظن صحتهن . او يعلن اطفالهن . ومن ثم يكون معلم الاعتراف مفتقرًا الى روح اليشع النبى المضاعف . (ملوك رابع ٢) . لكى يحصل على الحال التى قد كان القديس ديونيسيوس يشتهى ان تكون حال جميع الكهنة . اعنى بها حال اناس كاملين ومكملين * وان استبان لك اننى اطلب منك كمالاً متزايدًا فايقًا على قوة انسان مجبول من طين . فاسالك ان تلاحظ متانيًا الامر المستودع لك . لكى تستطيع فى غضون ذلك ان تحكم صوابًا * لعمرى انك ان فعلت هكذا . فسترى حينئذ انه ينبغى لك ان تلج مثل الشمس الحماة والاوساخ الاشد نتانة وفسادًا . من غير ان يعتريك شىء من النتانة والدنس . وستجد ايضًا انه ينبغى لك وانت فيها بين جثث منتنة . ان ترتقى فوقها متطايرًا مثل حمامة نوح . ولا تدع رجليك ان تستقرا ابدًا . اى انك ستبصر مناظر خطرة كثيرة . وتسمع مخاطبات دنسة متصلة . ومع هذا كله يلزمك ان تكون نظير لوط الذى قد قال عنه هامة الرسل : انه كان نقى العينين والاذنين بارًا نظرًا الى النظر والسمع (بطرس ثانية ٢) . فما هو رايك الان بمثل هذا الامر الذى تلتزم به . اليس انه يقتضى منك صلاحًا ما * انه لا شك ولا ريب فى ان ارميا النبى كان رجلاً قديسًا لما ارسله الله سبحانه لكى يتردد مع الخطاة . ومع ذلك فقد نصحه

اثمت . ولست باهلٍ ان ادعى لك ابنًا . ولا توجد لجّةٌ عميقة استطيع ان اختفى فيها لافراط خجلى من اسيتى اليك . لينتى استطيع ان اقدم لك ولو دمى مسفوكًا بدلاً مما اختلسته من الاكرام الواجب لعزتك . الا اننى عاجزٌ عن ذلك بالكلية . فافعل اذًا انت يارب هذا ومجد ذاتك * فان اهلكت يا الهى رجلاً خاطيًا فاى مجدٍ يحصل لك من ذلك . لانك بهذا انما تظهر ما لك من القدرة على ورقة تدريها الريح . بل ان مجدك العظيم انما يقوم فى هذا . وهو ان تبيد الخطية وتغير قلبه . وتصيره ان يحبك بمقدار ما احتقرك * فاسالك اللهمَّ بحق مراحمك ان تظهر فىَّ هذه القدرة العجيبة . لانى الان قد بغضت خطاياى فوق كل شىءٍ . وذلك حبًا لك . ولانها مبغوضةٌ منك . ولكونها افتراءً عليك * ثم ارغب اليك بكل اشواق قلبى ان تنزع عنى حياتى . ان كنت لا احيى فيها بعد حيوة لايقة بدرجتى الكهنوتية *

فبهذه العواطف المقدسة وما ضاهاها حرّض نفسك على الندامة الكاملة . وطهرها قبل ان تنحدر الى بركة الابروباتيكى كملك العهد العتيق . لكى تحرك مياهها لخلاص الخطاة *

لانه لا يليق بالكاهن ان يكتفى بهذه الفضيلة المذكورة . التى لا تفيده سوى هذا الامر فقط . وهو انه لا يكون رجلاً نفاقيًا . بل يجب عليه ان يتقدم الى ما قدام فيرج من الفضيلة مقدارًا وافرًا * لكى يستطيع ان

الامر . وذلك كحمل انسان جريح قارب الموت *
فما عدا هذه الاتفاقات النادرة الوجود . ان رايت نفسك حاصلة على حال خطية باهظة . فينبغى لك ان تشفيها اولاً . وذلك اما بالاعتراف او بالندامة الكاملة . ليلا يمكنك الديان بقوله لك : ايها الطبيب اشف نفسك (لوقا ٤) * ولكى اخفف عليك هذا التعب . فاسمح لى بان اهيى لك الدواء الذى هو صورة فعل الندامة الكاملة . واقبله منى بالروح الذى يسوقنى الى تقدمته لك . اعنى به روح المحبة *

* صورة فعل الندامة الكاملة *

ايها الرب الهى يابَ المراحم . حقًا انه لينبغى لك ان تشكو قايلًا : انى ربيت بنين وهم استهانونى (اشعيا ١) . فمن هو هذا الابن الغير المستحق شرف هذه التسمية سواى انا الشقى * اى نعم انا انا ذاك الابن المنكود حظه . الذى اهان عزتك وجودتك بعد ان اعلنته بجسدك النقى فى القداس الالهى . ووهبته سلطانًا على حل الخطايا فى سر الاعتراف * انه لو يحتقرك احد العامة بما اهنتك انا به . لكان ذلك منه اثمًا غير محتمل . فماذا اذًا يكون اثمى انا الكاهن الذى هو احد اهل مقدسك . وماذا يمكننى ان اقول الان يا الهى وخيرى الاعظم وخالقى وحافظى ومخلصى الصالح الراوف . سوى هذه الكلمة فقط : اخطات يارب . وحقًا اننى اثمت .

يباشروا وظيفتهم جيدًا . واما ان يعتزلوا عنها *

❁ الفصل السابع ❁

فى ان وظيفة معلم الاعتراف هى وظيفة طبيب روحى وفى الصفات الواجبة له لكى * يباشرها حسنًا *

اعلم ان سر التوبة له غايتان . احداهما ابادة الخطايا السالفة . والاخرى صد الانسان عن الخطايا المستقبلة * فنظرًا الى الغاية الاولى . فان سعى الكاهن يتم بواسطة وظيفته الاولى . اعنى بها وظيفه القاضى كما تقدم ايراد ذلك * اما نظرًا الى الغاية الثانية . فان سعيه يكون بواسطة وظيفته الاخرى . اى وظيفة الطبيب . وهذا هو الذى يجب علينا ان نوضحه الان فنقول *

انه لكى يكون الواحد طبيبًا جيدًا . فيحتاج الى تلك الصفات الثلث التى قد قال عنها الفيلسوف . انه يفتقر اليها الانسان لكى يكون مشيرًا جيدًا وهى هذه : اى ان يكون ذلك الانسان صالحًا فطنًا وراغبًا خير من يشور عليه . فينبغى اذًا للكاهن ان يكون اولاً رجلاً صالحًا * اما درجة الصلاح الاولى . فانها تتوقف على ان لا يكون الكاهن فى حين مباشرته وظيفته متدنسًا بخطية ما مميتة . حين انه لضربٌ ما من النفاق ان توزع النعمة الالهية بايدى نجسة . ما عدا فى الاتفاق الذى يحدث بغتةً . حينما تلزم الضرورة بان لا يهمل الامر .

والحال انه من جراه اى من جرى هذا الحل نفسه يدان الكاهن عينه . فهم حقًا يباركون . اما انت يارب فستلعن * فياما احسن وافضل وانفع للتلميذ ان يحسن استعداده بصلوات متواترة . ويتمم ما يلتزم به . ثم يعود اليك بعد اصلاح دعوته ولا ان ينقلها الى محكمة اخرى . (وعلى ذلك يجب عليك ان تحثه) ولكن ان رايته يختار ان ينتقل الى محكمة اخرى . ويفضل ذلك على اهتمامه فى اصلاح دعوته . فدعه يذهب فهو يموت فى اثمه (حزقيال ٣) . اما انت فتكون قد نجيت نفسك *

انه غير خفى عنى انك باستعمالك هذا التدبير مع تلاميذك العديمى الاستعداد تجد صعوبةً ذات مرارةٍ . الا انه لا بد عنها * قال الحكيم : لا تكن قاضيًا ان لم تكن قادرًا على ان تقاوم الشر وتبيده (ابن سيراخ ٧) . على انه لمن الممكن ان يتضيق اوليك التلاميذ ويتحبون وينظاهرون بانهم ايسون قاطعون الرجا * فاحتمل هذا صابرًا متذكرًا ما امر به تعالى فى سفر الخروج بقوله : لاتعامل المسكين باشفاقٍ فى حين القضا (خروج ٢٣) . فان كان اذًا لايجوز لك ان تحيد عن العدل والبر شفقةً على مسكين يبكى وينوح . فهل يجوز لك ان تحيد عن هذه الطريقة خوفًا من تلميذ شقى ينتهرك : تمم بعدلٍ ما يلزمك به العدل (تثنية ١٦) . معتبرًا ان الكهنة ليسوا ارباب اسرار الله . بل انما هم خزنتها وخدامها كما قال الرسول (قرنتيه اولى ٤) . فمن ثم يلزمهم اذًا اما ان

دعنى الان اخرج ما فى قلبى بايراد ما يوم نفسى ويوعبها حزنًا فاقول : مَن من الكهنة يستفيد من كل ما الفهُ المعلمون اللاهوتيون من القياسات والنصايح والتعليم بتعب عظيم * ما اكثر اوليك الذين من دون فحص وتمييز واختبار يحلون كل يوم اناسًا حاصلين على حال خطر الخطية القريب والبعيد على حد سوى . ظانين بانه يكفيهم لحل التلميذ ان يقول لهم : انى سافتكر فى اصلاح سيرتى . وان امكنى فلا اعود الى الخطية . وبعد نطقه بمثل هذه الالفاظ من قلب بارد . يرفع الكاهن يده حالًا . ومع قوله له امض وافعل كما قلت يحله سريعًا . مثقلًا بذلك الوقر ومضاعفًا الاغلال . لا على نفس التلميذ الغير المستعد للحل فقط . بل على نفسه هو ايضًا . اعنى به المرشد العديم التمييز والتدبير * فهل نعجب بعد ذلك ان كان الزنا كطوفان نار جهنمية قد تعالى مرتفعًا لا على ساحل الشعب العامى فقط . بل على جبال ارمينية اعنى بها جماعة الاكليريكيين . لعمرى ان مثل هولاء الكهنة الذين يحلون بسهولة كل من تقدم اليهم . وبها يرخون العنان للشهوات الدنسة . هم الذين بسببهم ازدادت الارض شرورًا *

نعم ان ذاك الذى تطلقه من دون حل سيجد سريعًا كاهنًا اخر يفعل خلاف ما فعل اسحق الشيخ . اى انه يبارك يعقوب المختار وعيسو المرذول ببركة واحدة غير مختلفة . ولكن ماذا يفيد هذا الحل لذلك الرجل الاثيم . والحال

وهذه الصرامة يجب ان تستعملها باولى حجة مع الخطاة المشتهرين . من اجل انهم يزيدون على اثمهم الشك الذى يسببونه للقريب . فمثل هولاء ينبغى لك ان تمنعهم عن الاسرار الالهية . ولكن لا بمسكك الحل عنهم من قبل ان تكون اختبرت جيدًا حقيقة توبتهم فقط . بل بمنعك اياهم عن تناول القربان المقدس ان يجاسروا وتقدموا لتناوله . لانه ينبغى ان تكون توبتهم مشتهرة . كما ان خطيتهم هى ايضًا مشتهرة * ويحتاج ان تختبر حقيقتها بتمادى الزمن . لانه لا يوجد واسطة للاطلاع على الحق افضل من هذه الواسطة . وبدون ذلك سيغتاظ الشعب بالصواب حينما يرون كاهنًا يقدم خبز البنين للكلاب . ولا يجعل فرقًا مابين دينا ودليلا . اى ما بين من يخطى اغتصابًا . وبين من يخطى اختياريًا . وانه رغمًا عن بولص الرسول يقبل على مايدة السيد المسيح اناس يتكون غالب ايامهم على مايدة ساطانايل . كانهم لا يلتزمون بما صوت به هذا البوق الرسولى قايلاً : لاتقدرون ان تشتركوا فى مايدة الرب ومايدة الشياطين (قرنتية اولى ١٠) *

ولكن من حين انه قد يمكن ان نجد بعضًا من هولاء حاصلين على استعداد عجيب . اى على ندامة بليغة . تصيرهم ان يبتعدوا بالكلية عن خطر الخطية . فتدرب معهم هكذا . اعنى حلهم عن خطاياهم وامنعهم عن تناول القربان المقدس . قلما يكون فى المكان الذى يُعرفون

لا سلطان لك ان تحله ايضًا . والسبب فى ذلك هو لكون التلميذ ليس هو بحاصلٍ على الاستعداد الواجب لقبول الحل . من حيث انه بغير ضرورةٍ باهظة يلقى نفسه فى خطر الا يبعد عنه الشخص المعشوق منه بعد انْ يكون اعترف ايضًا . لانه امرٌ اسهل لديه ان يخرج ذلك الشخص المعشوق قبل الاعتراف مما يخرجه بعده *

اقول اخيرًا انه اذا ما رايت فى حين الاعتراف بان كلام تلميذك يستحق الاعتبار والتصديق اكثر من افعاله السالفة . ومن ثم حكمت بانه لمستعدٌ للحل استعدادًا كافيًا . فدعنى اخاطبك خلوًا من كل غشٍ فاقول : انك بمكنك الحل لهذا الشخص . لم تتدرب كما يجب على معلم الاعتراف . وان سلمنا انك بصنيعك هذا فعلت ما يقتضيه كونك حاكمًا . الا انك لم تقم ما تلتزم به من قبل كونك طبيب النفوس * والحال ان وظيفتك تلزمك الزامًا بليغًا بان تكون طبيبًا ايضًا لنفوس تلاميذك كما سياتى ذكر ذلك وبرهانه . على انه وان كان تلميذك نادمًا كما يتبين لك . فمع ذلك لا يجوز لك ان تهمل فى فم التنين من تراه حيًا . لاسيما حينما يمكنك ان تنقذه من مثل هذا الخطر العظيم . خطر الارتداد الى الخطية . وذلك بواسطة هذا الدواء الذى لا يوجد سواه لهذا الداء . وهو ان تلزمه بان يفعل ما هو مطلوب منه . وتاخر عليه الحل الى ان يكون اكمل ذلك *

وهذه

ثم ان هولاء التلاميذ يخدعونك مراتٍ كثيرةً على نوعٍ اخر. وذلك بعهدهم لك انهم يهربون من سبب الخطية. ويكون عهدهم باطلاً غالبًا. لانهم بعد اعترافهم وتبيانهم ربيعًا مفعمًا من زهور مواعيد حسنة تجدهم فى حال خريفٍ خالٍ من ثمرة اتمام الوعد. وقد نصحتك قبلاً الا تصدقهم. ولا تحلهم قبل ازالة حجر الشك وسبب الخطية. الا فى بعض اتفاقات نادرة الوجود. دعهم ينصلون اولاً السهم المسموم الواصل اليهم. ثم اشرع فى مداواة الجرح. الزمهم بان يعطوك عربونًا قبل ان تختم الصلح. امرهم بان ينزعوا الرجسات من الهيكل قبل ان تقدم فيه ذبيحةً للرب *

نعم ان بعضًا من المعلمين يزعمون انه يجوزلك ان تحل التلميذ المرة الاولى بعد وعده المذكور بانه يكمل سريعًا ما يلتزم به. اعنى ترك المعاشرة الردية. الا انى باذن هولاء المعلمين واجازتهم اكرر عليك كلامى الاول قايلاً. لا تفعل هذا ابدًا. الا فى اتفاقاتٍ نادرة الوجود جدًا. لان الاختبار يوضح لى جليًا ان هولاء التلاميذ بعد اخذهم الحل على هذا المنوال بزمنٍ يسيرٍ. لا يفتكرون فى الخروج من الشبكة. بل يخترعون حججًا متنوعة لكى يثبتوا فى حال مخاطر الخطية. ثم يفتشون على كاهنٍ اخر ساذجٍ فيحلهم كمثل الكاهن الاول *

فان كان التلميذ قد خان بالوعد مراتٍ كثيرةً. فانى انادى عليك لا بانه لا يجوزلك ان تحله فقط. بل انه

حجر العثرة . اعنى به سبب الخطية . فيجب عليك ان تعلم ان تعلق قلوب اوليك الاشقيا بلذاتهم القبيحة يظهر لهم هذه الصعوبة اعظم مما هى حقًا . نظير القذا التى نراها اتيةً الى اعيننا فانها تستبين لنا كمثل الحربة * ثم اعلم انه نظرا الى هذا الامر يكون خوف الانسان بمقدار محبته . فمن يحب حبًا متجاوزًا عن الحد . ويخاف ايضًا خوفًا متجاوزًا عن المعقول . حتى انه يشبه بخوفه الكسلان الذى قد قال عنه الحكيم : انه يخاف الاسود لا فى الفيافى حيث يستوطنون فقط بل فى وسط الشوارع حيث لايوجدون (امثال ٢٢) * نعم انى اسلم انه لمن الممكن ان تكون الصعوبة عظيمة . غير انه لمن المحقق انه لو لم توجد صعوبةٌ معتبرة فى امر الخلاص الابدى . لما كان قال السيد المسيح : ان ملكوت السما يُغصب (متى ١١) . ولم يكن ايضًا ضروريًا لاجل ازالة سبب الخطر وحجر العثرة والشك ان تقطع اليد وتقلع العين كما امر ابن الله بذلك (متى ٥) * ليت شعرى ما اسهل ما كانت مفارقة ذلك الشخص الصاير سببًا للعثرة لو يتعلق بمفارقته اكتساب وراثة جزيلة وافرة . لعمرى انه لقد كان يكفى لترك سبب الخطية ان يضحى ذلك الشخص شنع المنظر مستكرهًا . وحينيذٍ قد كان يتضح بطلان قول التلميذ عن ترك سبب الخطية انه لديه ضرب من الممتنع ويستبين ان معنى قوله انما هو هذا . اى انه لا يريد ان يترك الخطية *

عن الخطية . ولوكانوا حاصلين فى حال خطرها . ويصورون فى هذه الاشيا تصويرًا حيًا بهذا المقدار. حتى ان من لايكون حسن الحذر ويصدقهم سريعًا فيحلم باطلاً * فمثل هولاء ان كنت لا تصدقهم قبل ان تفحص عن الامر وتعلم حقيقته : فاعلم انك لا تكون عاملتهم بظلم . لانه قد يوجد فيما يوردونه من الحجج شئ كثير من الزغل يقدمونه كدراهم خالصة * تامل ماهى الشكوك التى يخافون من حدوثها اذا باينوا ذلك السبب . فانك تجد ذلك التلميذ الذى امرته بترك معاشرة من هو لديه حجر عثرة . يتصور هذا فى عقله عارًا لا يحتمل * ولكن خاطبه هكذا : يا ابنى اما ان الناس قد اطلعوا على معاشرتك هذه الردية ام لا . فان كانوا ما اطلعوا عليها . فما الذى تخافه اذا تركتها . وان كانوا اطلعوا عليها . فانك لا تشين صيتك بتركك اياها . بل تحسنه * اما من جهة ما يعدك به مثل هولاء بخصوص اصلاح السيرة . فلا تصدقهم به قبل ان يزيلوا سبب الخطية . لكون الشريعة تقول : ان من حصل شريرًا مرةً واحدة . يُظن به بالصواب انه شريرٌ على الدوام فى نوع شره الاول . مادام سبب ذلك الشر موجودًا . انتهى . فهل تظن ان صدى الملكات الردية يباد حالاً عند انتهاء الحل . لا لعمرى . بل اعتقد ان هولاء يستمرون لحميين كما كانوا من ذى قبل . وانهم انيةٌ خزفية تتكسر وتنعطب من اول حجر تجربة تصدمها *

ونظرًا الى ما يوردونه عن عظمة الصعوبة فى ازالة

واحـــد تبيـــد عددًا مـــن الخطايا لا يحصى *

انه اذ قد انتهى خطابنا عن سبب الخطية الغير الاختيارى . فلنوجهنَّ الان الخطاب نحو ما يخص اوليك الاسارى الاشقيا . الذين يجبون اغلالهم فنقول : انه لمن المحقق ان التلميذ الذى يقدر ان يباين سبب الخطية القريب من دون ضررٍ جسيم يلتزم ضرورةً بمباينته * وان كان لا يباينه فلنا ان نستدل على انه لا يبغض الخطية ولا يفعل كل ما يلزمه به الناموس * قلت اولاً انه لا يبغض الخطية . لان من يحب شيًا متعلقًا بالخطية بضرورةٍ ادبية . فلمن الواضح انه يحب الخطية ايضًا * قلتُ ثانيًا انه لا يفعل كل ما يلزمه به الناموس . لان الوصية التى بها ينهى الناموس عن الخطية . بها عينها ينهى عن سبب الخطية القريب * فانتج اذًا من كلامنا هذا . انه يجب عليك احيانًا ان تمنع تلميذك عن بعض افعال مجردة ذاتًا من الشر والخير . لانه قد يتفق ان تعود تلك الافعال نفسها غير جايزة لاجل اعراضٍ كثيرة . اعنى حينما تصير ذات خطرٍ . مثلاً كبعض زيارات وجمعيات بها يجد التلميذ شخصًا ما معشوقًا منه *

امعن الان النظر فى نوعين من التلاميذ الضالين . فترى بعضهم اذا ما امرتهم بترك سبب الخطية . فيتصورون فى عقولهم ويصورون لك فى الاعتراف شكوكًا عظيمة . يظنون انها تحدث اذا ما باينوا ذلك السبب . وان صعوبة تلك الاسباب هى اعظم من صعوبة الامتناع

عن

انفًا لا تعتقه من ذلك كل صعوبة. بل هذه الصعوبة فقط. وهى التى فيها قايمٌ المستحيل الادبي * ثم نقول ان جمهور المعلمين يسلمون هذا الامر لفطنة معلم الاعتراف بعد استفحاصه الجزيل عن الاعراض. وعن الضرر العتيد ان يلمَّ بالتلميذ نظرًا الى حياته او شانه او امواله. وقد يتبين انه نظرًا الى العمل قد يكون هذا التفلسف هو الافضل فنقول * ان الوصية فى الفرار من خطر الخطية انما وضعها الناموس الطبيعى لكى يقلَّ عدد الخطايا لا لكى يزداد. والحال انه حينما تكون صعوبة ازالة هذا الخطر هى اعظم نظرًا الى العمل من صعوبة حفظ الانسان نفسه من الخطية وهو حاصل على خطرها. فحينيذٍ اى فى هذا الاتفاق. لا يمكن ان يوجد هناك التزامٌ فى ازالة الخطر. والَّا سيزداد خطر تكثير الخطية بالوسايط الموضوعة من الناموس الطبيعى لازالتها *

الا انه مع جميع هذه القياسات والتفلسفات. فالاجدر بك حينما تجد نفسك حاصلة فى هذه الضيقة ان ترفع لحاظك نحو الله تعالى. واطلب منه بتواضعٍ بليغٍ ان يهبك من الحكمة المستقرة معه على منبره. لكى لا تزلّ فى مثل هذا الامر العظيم بافراط الصرامة. ولا بافراط التنازل. وفى حين ارتياب عقلك. تمسّك على الدوام بالراى الاكثر صرامة. من اجل انه هو الراى الافيد للتلميذ حسبما تقدمنا فقلنا. متذكرًا انك بقطع راس اليفانا وحده تكتسب انتصارًا كليًا. اى انك بجسم امرٍ واحد

الا انه يجب عليك ان تعتبر هنا امرًا باهظًا وهو انه بدلاً من الهرب من هذه الحال . الذى هو نظرًا الى الاعراض ضربٌ ما من المحال . فيلتزم الاشخاص المذكورون ان يستعملوا بعض وسايط مفيدة لحفظ انفسهم من الخطية . من اجل ان حال من يكون حاصلاً على سبب الخطية القريب . يشبه حال من قد انكسرت سفينته فسقط فى البحر . ومن ثم وان القته الضرورة فى هذه الحال . فلا يمكنه ان يقم ما تلزمه به وصية المحبة نحو نفسه . ان لم يجتهد على مقدار امكانه فى انه ينجى ذاته . وذلك بتمسكه بدفة يتعلق بها حينما لا يجد قاربًا * فيجب عليك اذًا ايها الكاهن ان تورد لهم هذا الالتزام وتعين لهم بعضًا من الوسايط المعينة على بلوغ هذا المقصود . مثلاً افرض على ذاك الشخص مقدارًا ما من الصلوات والصدقات والصيامات والاعترافات . وان لا يغيّر معلم اعترافه . وان يجدد قصده على الفرار من الخطية . وامنعه عن مكالمة الشخص الفلانى بالانفراد وعن مشاهدته بتعمدٍ وبروح التفتيش . فلا جرم انه بدون هذا الاجتهاد يعود الخطر اختياريًا . وبالنتيجة يعود خطية مميتة *

غير ان الامر الذى هو اكثر صعوبةً هنا . هو تعيين قياسٍ وطيد امين . به يعلم معلم الاعتراف الى ايما حدٍ ينبغى ان تتصل الصعوبة التى تعتق التلميذ من الالتزام بالفرار عن سبب الخطية القريب . لانه كما قلنا انفًا

لقد يمكن ان تجد تلميذك متعرقلاً فى هذه الاشراك على نوعين . لانه قد يمكن ان يكون فى حال سبب الخطية القريب كشبه اسيرٍ فى سفينة * ولقد يمكن ثانيًا ان يكون فى الحالة المذكورة . كمثل اسيرٍ راضٍ فى حال اسره . وقد سلم ذاته اختياريًا ليرتبط بهذه الاغلال . مع ان له استطاعةً واختيارًا فى ان ينجو منها * وانما اشير بهذه كلها الى هذا الامر. وهو انه قد يمكن ان يكون سبب الخطية القريب اختياريًا . وغير اختيارى . فان كان التلميذ حاصلاً فى هذا السبب باغتصاب ضرورةٍ ما ادبية . فلا يجوز لك ان تلزمه بالفرار منه . غير انه يسوغ لك ان تشور عليه فى ان يبذل جهده على نوعٍ لا يضاد الصواب لكى ينجو من الخطر * نعم ان الكتاب المقدس قد قال : من يحب الخطر يهلك فيه (ابن سيراخ ٣). الا انه لم يقل من يوجد فى الخطر يهلك فيه . مشيرًا بذلك الى ان الله تعالى لا يرذل الذين يتضيقون من حالهم . اعنى بها حال خطر الخطية . بل انما يبغض سبحانه من يحب كونه حاصلاً على هذه الحال . ولهذا نحنو باشفاقٍ على البنين المضطرين بالسكنى مع والديهم ولوكانوا حاصلين هناك على سبب الخطية القريب * وقل هكذا عن الاقربا الذين تلزمهم قرابة الدم بالسكنى معهم فى منزلٍ واحد . مع انهم بهذا يكونون حاصلين على هذا الخطر. والسبب لذلك . هو ان هذا الخطر ليس هو لديهم خطرًا مرومًا ومرغوبًا منهم * الا

المنزل الفلانى يسقط بالخطية مع امراةٍ هناك * فان لاحظت هذا العدد على سبيل الاطلاق . فانك لاتحتسب كافيًا لان يجعل سبب هذه الخطية او خطرها قريبًا * غير انك اذا لاحظتهُ نظرًا الى الاعراض . فلاريب فى انك تحكم عليه انه سببٌ قريب . لانك سترى حينيذ ان السبب الذى من اجله يخطى هذا الشقى نادرًا انما هو هذا فقط . وهو لانه نادرًا ايضًا يدخل هذا المنزل *

اعتبر ايضًا انه لكى يصح الكلام عن بطرس انه حاصل على سبب الخطية القريب . فلا يحتاج ان يسكن مع موضوع عشقه الردى فى منزلٍ واحد . واذا ما اسكن شريكته فى الخطية فى دارهِ . فلا يحتاج ان يكون اسكنها هناك لاجل هذا القصد الفاسد . وان اخطاء فلا يحتاج ان تكون الخطية فعلية . بل يكفى ان تكون فكرية فقط . وكذلك لايحتاج ان تكون الخطية مكملة بالفعل . بل يكفى ان تكون ابتدايية لا غير * فلاحظ اذًا على الدوام تعريف سبب الخطية القريب المتقدم ايراده . فان فحصت باجتهادٍ عن اصول الخطية فترى لامحالة ان مثل هذه المعاشرة . او مثل هذه الفرصة السهلة لفعل الشر . تسوق الانسان ايضًا مراتٍ كثيرةً الى فعلهِ . وتحكم على الدوام حكمًا حقيقيا ان هذا لكافى لان يجعل سبب الخطية قريبًا *

اننا اذ قد اوضحنا ماهية هذا السبب . فمن ثم ينبغى لنا الان ان نورد الالتزام الناتج منه فاقول * انه لقد

ولج بحر القلزم . بعد ان افتتح الله بقدرته الضابطة الكل
فى وسطه سبيلاً جديدًا . بل قد تجاسر ايضًا المصريون
على الولوج فيه . وهذا لسوء حظهم . لانهم وجدوا هناك
موتًا * فعلى هذا النسق يتم بالذين يرومون ان يجوزوا
طريق سر الاعتراف . لانه لا يتقدم اليه المومنون الحسنوا
الاستعداد فقط . اعنى بهم الذين وان كانوا غير ناجين
بالكلية من اسر الخطية . الا انهم قلما يكون يهربون منها
مبتعدين . بل يتقدم اليه ايضًا اناسٌ مرتبطوا القلوب
بعد باغلال اسر الخطية . ولهذا يجدون الموت فى معين
الحيوة * فمن ثم يجب على معلم الاعتراف ان يقتدى
بموسى النبى . وبالسلطان المعطى له الذى به يفتح
سبيل الخلاص للتلاميذ الحسنى الاستعداد . وبهذا السلطان
نفسه يغلقه تجاه التلاميذ القساة القلوب . اعنى فليحل
من يستحق الحل . ويمسكه عمن لا يستحقه . ومن حيث
ان كثيرين هم الذين لايستحقونه لاجل تعلق قلوبهم
بسببٍ ردى محبوب منهم . فلذلك نورد الان بعض نصايح
جزيلة الضرورة والاعتبار فى هذا الامر . الذى ربما هو
اصعب كل الامور التى تورَد فى محكمة الاعتراف *

انه ليس يخفى عنك ان خطر الخطية القريب هو ذلك
الذى يورّط غالبًا فى الخطية * الا انه يجب ان نلاحظ
تكاثر السقوط لا على وجه الاطلاق . بل نظرًا الى الاعراض *
ولايضاح هذا المشكل فها انا افترض ان بطرس يسافر كل
سنة خمس مراتٍ . اوست مرات . وكل مرة يبيت فى
المنزل

استعداده على نوع يزيل شكك فى حقيقة ندامته . وتستطيع انت ان تحوز اوفر نورًا بواسطة الصلوة واعتبارك حالهُ * ولعمرى ان تاخير الحل يفيد احيانًا اوليك الذين يرجعون الى الخطية . مع انك تجدهم مستعدين بالكفاية لاقتباله . لان هذا التاخير لمن شانه ان يكون كجمر ملتهب يوقظهم من حال سباتهم الذى كان قريبًا ان لا ينتهى الا بالموت . لانه اعنى تاخير الحل يكسب التلميذ خجلاً ويصيّرة ان ينتبه على شره . وان كان نادمًا حقًا فيزداد قلبه انسحاقًا . وهكذا ايضًا تتشدد ندامته التى كانت ضعيفةً قبلاً . وكانت عتيدة ان تنغلب لتجربة خفيفة . وتتقوى وتظفر بالتجارب الصعبة *

ثم انى اخيرًا اشور عليك بهذا الامر . وهو ان كلما اخرت الحل عن التلميذ . فعين له بعض رياضات روحية يستطيع ان يحسن بها ندامته ويثبتها . فان فعلت هكذا . فستعاين فيما بعد كم مقدار من الناس الذين يحسنون سيرتهم بواسطة هذا الدواء المقدم لهم فى المحل الواجب *

❁ الفصل السادس ❁

فى ايراد صعوبة ما خصوصية تتفق للكاهن حينما يقتبل اعترافات تلاميذ حاصلين على سبب * ما قريب للسقوط فى الخطية *

انه لمن المعلوم ان ليس الشعب الاسرايلى وحده قد ولج

وان قلت ان كل صعوبة المشكل تتوقف على هذا اعنى على ان يوجد قياسٌ امين . به يستطيع معلم الاعتراف ان يعلم يقينًا متى يجب عليه ان يصدّق شهادة التلميذ ووعده * فنجيب قايلين انه اذا ما رايت التلميذ قد اظهر فى اعترافه ندامةً غير اعتيادية . او اذا تبين لك انه قد اتاك لينالَ منك علاجًا لخطية التى تسجسهُ . او اذا وجدت اصطلاحًا ما فى سيرته . او قلما يكون اجتهادًا ما فى ذلك . او رايته يقتبل نصايحك جيدًا ويقصد استعمال الادوية الروحية المقدمة له منك لاصلاح سيرته . ففى جميع هذه الاتفاقات يجب عليك ان تصدقهُ وتحلهُ *

وبخلاف ذلك ان كنت لا تجد فى التلميذ شيئًا مما ذكرناه . بل عاينت انه قد ازداد شرًا . ولا يستثقل كثرة خطاياه وجسامتها . فكيف تدعك الفطنة حينئذٍ ان تحكم عليه انه نادمٌ عليها . او كيف تعتقد ان ارادته فى ترك الخطية هى فعالة . اذا كان لا يستعمل واسطةً ما لبلوغ مقصوده *

وان رايت ان الدلايل مشابة بالشك والارتياب . ولايمكنك ان تقف على رايٍ ما بالتمام . فما الذى يلزمك ان تفعلهُ . اجبتك انه يسوغ لك حينيذٍ ان تتخذ لك مهلةً ما لكى تستطيع ان تثبت رايك وعزمك . الا انه ينبغى لك ان تاخّر الحل عن التلميذ لا ان تمسكه عنه . واوصه بان يعود اليك بعد زمنٍ ما الى ان يحسن استعداده

الى الخطية * والثانية هى حال حصول التلميذ بعد على خطر الخطية القريب * والثالثة هى حال اشتهار الخاطى بخطيته *

فلنوردنَّ اولاً ما يخص القضية الاولى فنقول . ان اتاك احد هولاء الذين يعودون الى الخطية سريعًا . وبعد الفحص عنه بفطنة وجدته نادمًا وقاصدًا اصلاح سيرته . فيجوز لك حينئذٍ ان تحله ولو خشيت من انه يعود راجعًا الى حاله الاولى . حتى ولو عرفت انه قبلاً ارتجع مراتٍ كثيرةً ككلبٍ مقرَّح الى قيئهِ * والسبب فى هذا الامر . هو ان مادة السر هى قصده الحاضر فى اصلاح سيرته . لا اصلاحه اياها العتيد الذى قد يمكن ان يكمله مع العون الالهى من ليس هو ثابتًا فى قصده . لان الله حسب كلام الرسول : قادر على ان يثبته (رومية ١٤) * وبعكس ذلك اذا استبان لك ان التلميذ لا يبغض اثمه كما ينبغى . وانه خاضعٌ بعد لاهويته الردية . تلك التى تحص روح الزنا . وبغض القريب . وحب المال . فلا يجوز لك وقتئذٍ ان تحله ولو مهما قال لك انه تايب ونادم . وذلك من حيث انك فى هذه المحكمة مباشر وظيفة الحاكم . ومن ثم يخصك ان تميز وتحكم على حال استعداد التلميذ وعدمها * ولا يجوز لك ان تسلم للمذنب ان يحكم على هذا الامر . نعم ان التلميذ هو الشاهد . ويجب تصديق شهادته . الا انه لا يجوز ان تُقبل حينما يستبين منه ما يضاد كلامه وينافى حقيقته *

وان

فعلى هذا النسق يجرى الامر فى معلمى الاعتراف الذين هم كنجوم فى سماء البيعة المقدسة . لانهم وان كانوا فى ارتسامهم يقتبلون من السيد المسيح سلطانًا تامًا على حل الخطايا . الا انهم لا يستطيعون ان يتصرفوا به كحسب مرامهم مع كل شعب . ولا مع كل شخص . بل كحسب حركات محركى هذه السما الرمزية . اعنى روسا الكهنة *

اعتبر ايضًا انه لامرٌ محققٌ اكيدٌ . ان التلميذ بعد اعترافه السرى عن ذنوبه . واظهاره ندامة حقيقية عليها . فله حقٌ على الحل . ولا يجوز لك ان تمكسهُ عنه * غير ان الصعوبة هنا قايمة فى هذا الامر . اى فى ان تعلم حقيقة ندامته . لان الندامة الحقيقية . والندامة الكاذبة . تستبينان مراتٍ كثيرةً بشكلٍ وصورةٍ واحدة . كما استبان مثل ذلك فى توبة داود الحقيقية . وتوبة شاول الكاذبة . على ان كلاً منهما قد قال اخطات *

فهذا هو الذى لاجله يتضيق الكاهن جدًا . لانه من احدى الجهات . يرى انه يجب عليه ان يحذر من ان يصيّره عدم الصبر ان يقطع ويحرق الجرح . ومن الجهة الاخرى . يخشى من ان يصير هو للتلميذ بافراط تنازله ومداراته سببًا لان يزداد جرحهُ . وذلك بحكمه عليه انه قد شُفى * فان اردت ايها الاب ان تعلم متى يجب عليك ان تحل التلميذ . ومتى ينبغى لك ان تمسك عنه الحل . فلاحظ فيه ثلث حالات . تلك التى منها على الخصوص يصدر الشك فى حقيقة الندامة * فالحالة الاولى هى حال العَود الى

مقبولاً من التلميذ : هو عذوبة خطاب المرشد معه . فسلهُ اذًا هل يقبله برضىً . هل يقمه بغير صعوبة . لكي تستطيع ان تخفف عليه الحمل اذا ما رايته يستثقله . وان رايت هذا التخفيف غير واجب . فلا تلزم تلميذك بتقيمه تحت خطيةٍ باهظة *

❁ الفصل الخامس ❁

فيما يجب على معلم الاعتراف ان يفعله نظرًا الى
* الحل ومسكه *

لنوضحنَّ الان الفعل الاخير الصادر من سلطان محكمة الاعتراف اعني به الحل . الذي بواسطته يمحو فم الكاهن الخيوة . كما كان احشورش الملك يمحوها بوضع صولجانه الملوكي على الناس . وهذا الامر يقتضي احتراسًا بليغًا . من حيث ان القضا الاخير قايمٌ فيه * فاعتبر هنا سلطانين . احدهما سلطان الارتسام والاخر سلطان التراس . لان هذين السلطانين ضروريان جدًا لصحة الحل * لاحظ النجوم فتراها كلها قد اتخذت من الله في حين تكوينها قوةً لان تفيض تاثيراتها على الارض . ومع ذلك فانها لاتاثر على حدٍ سوى . ولا يتصل تاثيرها الى كل اقليم . وكل شخص . بل انها تاثر اكثر او اقل بحسب ما ينظمها محركها الاول . ويرتبها على انواعٍ مختلفة . اى نظرًا الى اقاليم متنوعة *

فعل

ذلك ان تلاحظ المقصود . فتفرض افعالاً مفيده لاصلاح السيرة اكثر مما تفيد للوفا عن الخطية * فافرض مثلاً على التلميذ ان يقرأ كتابًا روحيًا مدةً ما من الزمن . او يحضر الوعظ . او يتناول الاسرار المقدسة فى ايام معينة منك. وان يفحص ضميره كل يوم مساءً . او يتجنب معاشرة بعض انفارٍ. او يدخل اخوية ما مقدسة . وما شاكل ذلك من الافعال . التى هى نظرًا الى احدى الجهات . لا تصعب جدًا ممارستها ونظرًا الى الجهة الاخرى فانها تفيد كثيرًا للصدّ من الخطية *

اعتبر هنا انه وان كان وفاء القانون فى حال الخطية هو خطية ما جديدة . كما قال المعلم سوارس . ومن ثم يستبين انه افضل ان يفترض الكاهن قانونًا يكمل سريعًا . الا انى امدح من يفرض قانونًا مستطيلاً يسيرًا . وذلك لاجل حجتين * احداهما لان افعال التقوى المضاعفة المكررة تبيد باوفر سهولةٍ الملكات الرديئة . وهكذا ايضًا توزيع مبلغ صدقة مفروضة بدفعاتٍ كثيرة . هو انفع من توزيعها مرة واحدة * الحجة الثانية لان ممارسة هذه الافعال بتكاثرٍ توكد وتثبت فى التائب بغض الخطايا المفعولة منه . التى يمكن ان يتغاضى عنها بسهولةٍ بعد الحل . ان سمعان الابرص بعد ان ابراه السيد المسيح من برصه . حفظ اسم علته . لكى يستمر ذاكرًا اياها *

اقول اخيرًا ان الامر الذى يسهّل القانون ويصيّره مقبولاً

القانون . فالاجدر بك (يقول الذهبى فمه) ان تحاسب من جرى الرحمة . لا من اجل الصرامة والقساوة * ومن ثم فالقياس الافضل لك فى هذا الامر . وهو ان تقتدى بمن يجتنى المن . لانه يتخذ منه بمقدار ما يمكنه . من غير ان يضر الشجرة . فاتخذ اذًا من التلميذ بقدر الامكان . واحترس لئلا ينفر منك . او يتباعد من السر فيخالف ما اوصيته به *

ولكى نوضح الامر ايضاحًا صريحًا فنقول . انه لقد يمكنك ان تفرض قانونًا خفيفًا لمن تجده اشد انسحاقًا وندامةً . من اجل انه يكون قد قلَّ ما يلتزم بالوفاء عنه . وكذلك يجوز ان تفرض قانونًا اقل ثقلًا . على من يكون ذا مزاج او نشاط اوفر ضعفًا . حتى انه لقد يحسن بك احيانًا أن تفرض قانونًا خفيفًا جدًا . لاجل جرايم باهظة جزيلة الجسامة * غير انه يجب عليك وقتئذٍ ان تنصح التلميذ . وتبين له بان الدين الذى لا يفى عنه الان بافعال التوبة . لعتيد ان يفى عنه اضطرارًا بصرامة بليغة فى سجن مضطرم . اعنى فى المطهر . فاذا ما نصحته هكذا فانك بذلك تمنع الاضرار الناتجة من هذا التنازل * ثم انه لبلوغ هذا الغرض . يفيدك ايضًا ان تجعل قانونًا على التلميذ افعالًا يلتزم بممارستها من جهة اخرى . مثلًا حضور القداس فى ايام الاعياد . وصومًا كنايسيًا كصوم الاربعين * او ان يمارس ما رسمته الكنيسة لاكتساب الغفرانات * وسيفيدك اكثر من ذلك

ذكره من حسن افعال المسيحيين الاقدمين . لكى نلتحف نحن بشعار الخزى والخجل عند مشاهدتنا ان ايماننا وان لم يكن جوهره قد تغير. الا ان لونه الحسن قد تغير (مراثى ٤) *

ومن حيث ان الكنيسة المقدسة قد اهملت الان هذه القوانين . فيجب عليك ان تتمسك بقياسٍ ما لتعيين قانون سر الاعتراف . لانه وان كان تعيينه قد تُرك وسُلّم لارادتك . الا انك لاتزال ملتزمًا بان تتدرب بالصواب. نعم انك حاكمٌ . الا انك حاكم تحت سلطة الله ورياسته . ولذلك تذنب لامحالة حينما تفرض لاجل خطايا عظيمة خلوًا من سببٍ واجبٍ قانونًا خفيفًا . وقد قال المجمع التريدنتى المقدس : ان من يضع قوانين خفيفة لاجل خطايا ثقيلة . فانه يشترك فى خطايا الغير *

انه لقد كان يقتضى الصواب ان تكون الاعمال المتعبة الوفايية المفروضة من معلم الاعتراف كافية لان تفى للعدل الالهى عن العذاب الزمنى الباقى بعد الحل عن الاسية . الا انه من حيث ان هذا المقدار الكافى الموازى هو شىء مجهولٌ من معلم الاعتراف . ومن اجل ان هذا المقدار وان كان معروفًا . الا انه هو فايقٌ على ضعف التلميذ * فمن اجل ذلك يجب عليك فى تعيينك القانون ان تلاحظ ثلثة اشياء . وهى الخطية . والخاطى . وغاية وضع القانون . وعلى الخصوص ينبغى لك ان تلاحظ الخاطى اكثر من ملاحظتك الخطية . من حيث انه ان زللت انت بوضعك القانون .

غير اهلٍ لان يدعى كاهنا . كما سُطر فى كتاب البيعة المقدسة . فلنوردنَّ من هذه القوانين شيًا يسيرًا لكى نخجل به فتور عبادتنا فنقول *

اعلم ان البيعة المقدسة قد فرضت قديمًا على كل من كان ينطق بالتجديف هذا القانون . وهو ان يمارس افعال التوبة القشفة الاتى ذكرها مدة ست سنين . وكذلك على من كان يسقط فى خطية الزنا * ولا تظن ان هذه الافعال كانت متوقفة على بعض مطانيات . بل انها كانت ملازمة الصوم الصارم على الخبز والماء لا غير . لايومًا واحدًا فقط بل شهورًا متصلة . والاختلاء الكلى . ولبس المسح . وجلد الجسد . وزيارة الاماكن المقدسة الشاقة . وتلاوة المزامير . وغير ذلك من الاتعاب المضنية . واذا كان الزانى كاهنًا . فكانت مدة توبته عشر سنين * اما السارق . فكانت مدة توبته خمس سنين على المنوال المذكور . هذا اذا كان الشى المسروق معتبرًا . واما اذا كان حقيقًا دنيًا . فكانت مدة ممارسة افعال التوبة المستصعبة سنة واحدة * ومن كان يقتل احدًا بتعمد . فكان قانونه ان يداوم على التوبة ست سنين . ومن هذه السنين الست . فكان ينبغى له ان يصوم ثلث سنين على الخبز والما فقط * اما الان فمن يورد فى اعترافه خطايا مثل هذه واعظم منها . فانه يظن بنفسه بانه قد اوفى عنها بالكفاية . اذا ما تلا سبعة مزامير التوبة . لو مارس بعض افعال خفيفة * وانما اوردت ما تقدم ذكره

كما يتفق ان تكون التلميذة حدثة السن . واهلها ناظرون اليها . ففى مثل هذا الاتفاق سلها بمقدار ما يمكنك فى حال ضيقة الزمان والامكان . عن اثقل ما فرط منها من الخطايا المميتة . وحلها بعد ذلك بغير ارتياب واضطراب . ولكن بهذا الشرط . وهو ان تورد فى اعترافٍ اخر ما تبقى عليها من الخطايا . واصنع هكذا باولى حجةٍ حينما تفتقد شخصًا مريضًا لكى تناوله القربان المقدس . وترى انه يلتزم بتكرير اعترافات كثيرة . ولا يمكن ذلك حذرًا من ان يزداد المرض . او يحدث عليه شكٌ *

❁ الفصل الرابع ❁

فيما يجب على الكاهن ان يفعلهُ عند وضعه
* القوانين بعد الاعتراف *

حقًا انه لقد كان دهرنا سعيدًا جدًا . لو ان المومنين يتمسكون بالطقوس والعوايد الحميدة التى كانت جاريةً قديمًا فى الكنيسة . ولكن من هو الذى فى هذا العصر يعلم القوانين المرسومة من الاباء فى المجامع المقدسة . تلك القوانين التى كان الخاطى يرد بها لله تعالى ما كان سلبه منه من الاكرام بالخطية . تلك القوانين الموضوعة على المومنين عموميًا . القوانين التى قد كان يجب على كل كاهنٍ ان يعلمها . ومن كان يجهلها فكانت الكنيسة تحتسبه غير

مما كان يمكنهم ان يفعلوه لو اصرفوا فى هذا الفحص شهرًا واحدًا . كما قلنا انفًا * هذا ما عدا انه قد تحقق بالتجربة ان مثل هولاء الذين يطلقهم الكاهن لكى يحسنوا الفحص عن خطاياهم . نادرًا يعودون الى الكاهن . كما ان الوحش اذا اصيب من الصياد وامكنه الفرار من بين يديه . فانه يهرب منه باشد اجتهاد وسرعة *

غير انه يوجد هنا مشكلٌ باهظٌ . يستطيع ان يورده السايل قايلاً . ما الذى يفعله معلم الاعتراف حينما تزدحم عليه الانام الطالبوا الاعتراف . ويجد من احدى الجهات ان الزمن ضيق جدًا . ومن الجهة الاخرى . يجد ان التلميذ يحتاج احتياجًا بليغًا الى السوال * فعن هذا المشكل نجيب ونقول اولاً . ان كثرة الناس المحدقين بمنبر محكمة الكاهن . ليست هى سببًا يجوز له من جراه ان يعكس الحكم *

لعمرى انه خيرٌ له ان يشفى قليلين . مما انه يداوى كثيرين ولا يشفى واحدًا منهم . الا انه من حيث ان الفطنة فى بعض الاوقات لا تدعهُ ان يستعمل هذه الاطالة . فليلاحظ وقتيذٍ هل يلتزم ذاك التلميذ بتناول القربان المقدس فى ذلك اليوم ام لا . اى هل يمكنه ان يوخرّ تناول السر الى زمنٍ اخر . فان كان يمكنه ذلك . فاوضح له بلطافةٍ ان امره يقتضى كثرةً من الزمن . لكى ينتهى على نوعٍ يفيد نفسه ويعزيها * ثم عيّن له زمنًا اخر لقبول اعترافهِ . واذا رايت فى هذا الامر خطر الشك . كما

له . انك قد سمعت اعظم منها جدًا . وحينما تساله عن عدد سقطاته . فاذكر له عددًا وافرًا جدًا . وعند استماعك اقراره بهذه الخطايا . فاحذر من انك تظهر اشارة ما من التعجب والتحيّر او التحسّر . بل بخلاف ذلك شجعهُ فى كل دقيقة . لان مثل هولاء وان كانوا قد اشرفوا على الولادة كما قال النبى . الا انهم متعذبون منتحبون واوقاتًا كثيرةً لايقدرون على الطلق (اشعيا ٢٦) * فاوضح لهم جزيل فرح مليكة السما من قبل توبة انسانٍ خاطى . وانهم بعد اعترافهم يعودون الى منازلهم مستريحين متعزين مبتهجين من القاء هذا الوقر الثقيل . وقر خطاياهم من على مناكبهم . وانه بدون هذا ليس لهم سبيلٌ للخلاص . لان الذى حبل بالاثم واقتبلهُ فى قلبهِ لابد له من احد هذين الامرين . اى اما انه يلد ذاك الاثم . واما انه يموت *

ثم انى اخيرًا انصحك قايلًا احذر من انك تطلق هولاء التلاميذ وتاخر اعترافاتهم بحجة انهم يلتزمون بفحصٍ مستطيل . لكى يجددوا اعترافاتهم السالفة . لكون اوليك الذين يصدهم الاستحيا عن الاقرار بخطاياهم . هم غالبًا اناسٌ غشما او احداث جهال قليلوا الخبرة . ومن ثم تكون سيرتهم سيرة اناس غير متشبكين بامورٍ عسرة * حتى وان كانت حالهم تقتضى تجديد اعترافات كثيرة . فمع ذلك ليس هو بامرٍ عسر على الكاهن الصابر والخبير ان يفحصهم بقليلٍ من الزمن . فحصًا افضل مما

الاتفاقات . والخبرة التى تزداد كمالًا بممارسة العمل يسعفانه . لكى يسير فى الطريق الملوكية . اعنى بها المتوسطة الامينة . ويظهران له كيف يجب ان يبتدى السوالات مما هو بعيدٌ . ويقترب رويدًا رويدًا * وقد اتفق مرات كثيرةً ان انكر الصغار سقوطهم فى خطية ما دنسة . وحينما ساطهم الكاهن فيما بعد عن كمية سقوطهم فيها . ومن كم سنةٍ ابتداوا ان يرتكبوها ويكتموها فى الاعتراف فاوضحوا حينيذٍ الحق . وعلى هذا النسق اخرج منهم السم الذى لم يكونوا يريدوا ان يستفرغوه . وفى هذا المعنى قال القديس اغوسطينوس هكذا : ان الكاهن الحكيم والحاذق يسال التلميذ بفطنةٍ ودربة عما كان هو اى التلميذ غير مطلعٍ عليه . او عما كان الاستحيا يصده عن الاقرار به * ولقد يفيد جدًا ان تسال التلميذ على نوعٍ يصيّره الا يقدر ان يجيبك سوى هكذا : نعم يا ابانا : لا يا ابانا * ما اكثر ما تعزت المراة السامرية حينما استطاعت ان تقول : انى قد وجدت انسانًا انبانى بكلما فعلتُ (يوحنا ٤) . وانى لاظن انه لو يدعها السيد المسيح ان تورد بفمها سيرتها الفظيعة . لما كانت اوردت شيًا منها . غير انها لما سمعت مرشدها الالهى يوردها لها بملاطفة . فحينيذٍ سهل عليها ان تقر بها قايلةً له تعالى هذه الكلمات فقط : انك نبى * واياك فى مثل هذه الاعترافات المستصعبة ان تظهر للتلميذ قبل انتهاء اعترافاته انك تستعظم خطيته . بل الاجدر بك ان تقول له .

حال هولاء اشقى من حال اوليك . وهم البكم والصم . وقبول اعتراف مثل هولاء يقتضى دربةً جزيلة . فمن ثم ينبغى لك ان تفعل معهم ما قد فعل جزقيال النبى . حينما اراد ان يطلع على الرجسات المخفية ضمن الهيكل المقدس . فهذا النبى لما وجد فى الحايط ثقبًا صغيرًا سمع صوتًا هاتفًا من السما يخاطبه قايلًا : وسّع ثقب الحايط . فلما فعل هكذا راى الباب . فدخل النبى وتطلع حينيذٍ على رجسات المكان (حزقيال ٨) * فهذا الثقب الصغير يشير الى زلةٍ خفيفة قد اوردها التلميذ برضاه واختياره . فيجب عليك ان توسع هذا المدخل ليمكنك ان تلج قلب التلميذ فتطلع على كلما فيه من الرجسات . مثلًا اذا اعترف عندك شخص حدث السن . وقال انه نظر نظرًا منحرفًا شهوانيًا ونطق بالفاظٍ سفيهة دنسة . وصمت عن الباقى . فامهله الى ان يتم اعترافه كله . ثم ابتدى بلطافة ان تساله عن تلك الافكار الردية . وعن الارتضاء بها . وعن العمل الردى اما فى ذاته اما مع غيره * الا انه لكى لايزلّ الكاهن ولا يتجاوز الحد الواجب . فيحتاج الى احتراسٍ عظيم . لانه من احدى الجهات ينبغى له ان يخرج كلما يوجد من القبح ضمن هذه الجراحات المخفية . ومن جهة اخرى ينبغى له ان يحذر ليلا يعدى ما هو صحيح ناجٍ من الداء . اى ليلا يعلم تلميذه ما كان يجهله من الخباثة * غير ان النور الالهى الذى يجب عليه ان يطلبه فى هذه الاتفاقات .

اوضح نوعٍ وافضل تدقيقٍ . من اجل ان تلك الخطايا الموردة على هذا النوع الغير الواضح هى محلولة من الكاهن حلًا مستقيمًا . ومن ثم لا يحتاج ان يوردها ثانيةً *

ثم انى اريد منك فوق كل شئ . ان تكون قليل السوال والفحص فيما يخص خطية الزنا . ليلا يحدث لك ما حدث لرجل ما مصور . ذاك الذى حينما كان مجتهدًا فى تصوير امراة جميلة على نوعٍ حيٍّ تام . فاضرم فى قلبه نار حبها * فابذل اذًا الجهد الكلى فى ان تستعمل الالفاظ الافضل احتشامًا واذا ما اهملت احيانًا عرضًا ما ضروريًا لصحة مادة الاعتراف . فلا تبالى من ذلك . لانه يوجد هنا خيرٌ اعظم من ذاك . لكون هذه البالوعة هى متنتنة . واستنشاق رايحتها خطرٌ بهذا المقدار . حتى انه يفيد الكاهن وتلميذه الا تتحرك كثيرًا * فاكتفِ اذًا فى ان تسال عن نوع هذه الخطية القبيحة لا عن كيفيتها . واذا شرع التلميذ الغشيم او القليل الاستحيا ان يشرحها لك . فانصحه بمحبة موضحًا له عدم ضرورة ايرادها * انه نظرًا الى هذا الامر لقد كان يحسن بمعلم الاعتراف ان يقتدى باحد الفلاسفه . ذاك الذى حذرًا من انه يدنس فمه بايراد هذه الاشيا . حررها بفحمٍ *

انه اذ قد انتهى بنا الخطاب عن اولئك الذين لايوردون خطاياهم كما يجب لسبب جهلهم . وهم البكم العميان . فلنوجهنَّ اذًا الان الخطاب نحو الذين لايوردون خطاياهم . لانهم لا يريدون ذلك . ولعمرى ان حال

لو كانوا فحصوا عنها فحصًا بليغًا * ولكون الشئ الذى يعسر غالبًا على معلم الاعتراف هو الاطلاع على عدد خطايا التلميذ . فمن ثم اقدم لك هذه المشورة لتقتدى بها فاقول . ان الناس غالبًا يرتكبون الاثم كانهم يشربون الماء . فلا يبالون من مقدار عدد الكووس التى يشربونها منه . فاحذر الا تضجر مما لا يمكنك ان تفعل اكثر منه . وحينما ترى انك لا تستطيع ان تعلم العدد بالتمام . فاسال تلميذك عن مقدار دوامه فى الشر . وكم مرة اخطاء فى كل شهر . او فى كل سبتة . غير انه يجب عليك نظرًا الى بعض افعال باطنة كتلك التى تخص البغضة والفساد . الا تسال مدققًا عن العدد . وذلك انه لايمكن غالب الاوقات ان يورد ذلك من دون خطر النقص . او المبالغة . فالاجدر بك ان تسال عن اطالة الزمن فقط . مثلاً كم مقدار من الزمن استقام التلميذ فى حال البغضة . او عاشر شخصًا معاشرة نجسة *

واحذر من ان تفحص عن الاعترافات السالفة فحصًا مفرطًا . وتلزم تلميذك بتجديدها . الا اذا وجدت حجة ضرورية . مثلاً ان رايت ان الذى اعترف عنده لم يكن له اذن فى ذلك . او ان ذاك التلميذ نفسه لم يكن ينعم على خطاياه . ولا يقصد ترك الخطية * وان اتفق انك عاينت احد التلاميذ لاجل جهله وعدم معرفته . لم يورد فى اعترافاته السالفة عدد خطاياه على نوع واضح صريح كعادة اهل الغشم . فلا يحتاج ان تلزمه بتكريرها على

التدقيق . لانك بالتوانى تضر نفسك . وبافراط التدقيق تتعب ضمير التلميذ باطلًا . وتصيّر السر لديه لا مستصعبًا فقط . بل مبغوضًا ايضًا * فان اردت فى هذا الامر قياسًا تستطيع ان تعتمد عليه وتتدرب بحسبه . فاعتبر ان سيدنا يسوع المسيح . لم يامر المومنين بان يعترفوا بجميع الخطايا التى ارتكبوها . بل انما يامرهم بالاعتراف بكلما ينتبهون عليه من الاثم بعد الفحص الواجب عنه . ولهذا من يتمم واجبات هذا الفحص . فلا يلتزم باكثر من ذلك . وباولى حجة يلتزم به معلم الاعتراف . فمن هذا المبدا اتخذ لك نصيحتين جزيلتى النفع * النصيحة الاولى هى انه اذا ما تقدم اليك تلميذٌ ما قد عرفت انه معتنى فى الفحص عن خطاياه والاعتراف عنها . فاطمان ولا تتعب عقله بسوالات ذات تدقيق . بل اصرف الزمن فى ايرادك له نصايح مفيدة * واذا تقدم اليك تلميذٌ متراخٍ فى فحص ضميره . فاعلم انك لا تلتزم بان تفحص عن ضميره باجتهادٍ اعظم من ذلك الاجتهاد الذى يلتزم به تلميذك عند فحصه ضميره . وبالتالى لا تلتزم بان تساله عمّا هو لم يكن سال ضميره عنه فى حين الفحص على حسب طاقته الطبيعية * فان اتاك فلاحون غليظوا العقول . غير مستعدين فاياك من ان تضطرب . بل افحص ضمايرهم بالسوالات فحصًا موافقًا حالهم . فانك بهذا تصيّرهم ان يوضحوا لك خطاياهم . نظرًا الى عددها وماهيتها واعراضها . اكثر مما كانوا اوضحوها

لو

اجتهادهم فى فحص ضمايرهم . وفى ابراز الندامة الواجبة على خطاياهم . والقصد على مباينتها . يلزم احيانًا كثيرة معلم الاعتراف بما قد كان يجب ان يكون معتوقًا منه . وبالنتيجة ان رمت ان تحكم فى هذه المحكمة حكمًا مستقيمًا . يلزمك بان تنوب عن الشخص المذنب . الذى يلتزم بان يكون هو المشتكى على نفسه كما قلنا انفًا *

اما هذه السوالات فينبغى ان تستعملها مع نوعين من الانام المرموز عنهم بالنوعين من المجانين الذين ابراهم السيد المسيح . فترى بعضًا من الناس لايوردون الحق لاجل جهلهم . وهم بكمٌ وعميان . غير ان سبب عماهم الاعظم . انما هو اختيارهم ورضاهم فيه . لكونهم لا يبذلون الاجتهاد الواجب فى ان يطلعوا على الحق * واخرون يكتمون الحق بتعمد خبيث وهولاء هم بكمٌ صمٌ . لانهم لايريدون ان يصغوا لتبكيت الضمير الذى يحرضهم على اظهار الحق . فلنفحص قبلًا عن الاولين فنقول *

انه لقد يوجد اناسٌ وان كان ضميرهم ليس هو شريرًا . ولا انه متشبكٌ . فلا يريدون ان يحسنوا الفحص . ومثل هولاء يشبهون رجلًا له امراة شرسة الاخلاق . ومن ثم ينفر عن ولوج منزله . لكون الحكيم يقول : ان السكنى فى ارض مقفرة . خير من السكنى مع امراة خصومة غضوبة (امثال ٢١) * فمع مثل هولاء يجب عليك ان تسير فى السبيل المتوسط . اى احترس من شايبة التوانى . ومن شايبة افراط التدقيق .

وبه سببت له سباتًا على شط هاوية الهلاك * واياك ثم اياك ان تعتقد او تعلم احدًا . انه فى اللذات الجسمية تقلّ الخطية بقلّة مادتها . كما يتفق فى الخطايا الاخر . لانه من ذا يحتسب تلك النار التى قد اتقدت فى معدن كبريت انها خفيفة . لعمرى ان شرارةً واحدة منها . ولو مهما كانت صغيرة . فانها تكفى لاضرام نار تحرق المدينة كلها * واذ قد انتهى الخطاب عن هذا الامر . فلنتكلمنَّ الان عن النوع الاخر من العلم الضرورى لمعلم الاعتراف

❁ الفصل الثالث ❁

فى كيف يجب على الكاهن ان يسال تلاميذه فى سر * الاعتراف *

انه حقًا لا يخص وظيفة معلم الاعتراف ان يسال تلاميذه . بل انما يخصه ان ينصت لهم . من اجل انه فى هذه المحكمة يجرى الامر بخلاف ما يتم فى بقية المحاكم . على انه فى محكمة الاعتراف من يقر بائمه ينل مغفرته . ومن يكتمه يدن . ومن ثم الذى يسوقه على ايضاح الحق انما هو نفعه وخيره الذاتى . فاذًا لا حاجة للكاهن فى ان يجتهد فى استظهار الحق بواسطة كثرة السوالات . بل يكفيه ان ينتظره صابرًا الى ان ياتيه هو . اعنى به الحق ويسلم له ذاته بذاته * ولقد كان ينبغى ان يتم الامر هكذا على الدوام . الا ان غلط عقول التلاميذ . وضعف اجتهادهم

يصوم صوم الاربعين على النوع الصارم المعيّن من بعض المعلمين . فامرته بالا يتناول من الغذا فى الاكلة الصغيرة اكثر من اربعين درهمًا . فاعتقد انك بهذا لا تجتذبه نحو الصوم * اما اذا خاطبته قايلًا . اعلم ان تعيين مقدار الماكل فى هذه الاكلة الصغيرة ليس هو واحدًا . بل مختلف كحسب اختلاف الامزجة والطباع . وانه يكفى الانسان الا يتجاوز الجزء الرابع من ماكله الاعتيادى . فانك بهذا تشجع قلبه وتعده لحفظ الوصية *

وبعكس ذلك ان وجدت تلميذًا معتادًا على اللذات الجسمية . وقد عزم على ترك الخطية الدنسة . غير انه لا يريد ان يخرج من بيته الشخص المعشوق منه . ولايرتضى بان يباينه فرضيت انت بذلك . من اجل انه مثلًا اذا اخرج هذا الشخص اوباينه . يخسرماية غرش قد اقرضها لذاك الشخص . فتكون حينيذ خففت النير على تلميذك تخفيفًا يضر نفسهُ جدًا . لانه اعنى التلميذ سيرجع الى الشخص المعشوق منه ويخوض معه بالمذاكرة . ومن ثمه بزمن يسير يرتد الى الخطية التى قد كان ينجو منها بسهولة لو يبتعد من الخطر * ثم انى اقول قولًا مختصرًا عن اراء المعلمين السهلة ذات اللطافة . انه يسوغ لك ان تمسك بها كل مرة تجدها تحثّ التلميذ . وتحرضهُ على حفظ الناموس . وبالعكس اى انه يجب عليك ان ترذلها حينما تراها تصيّر حفظ الناموس اوفر صعوبةً . والا فتكون بهذه الملاطفة المنحرفة اسقيت تلميذك افيونًا .

يلتزم التلميذ بتجنبه * سادسًا يلزمه ان يعلم الاستعداد الضرورى وجوده فى التلميذ لنيل نعمة السر * سابعًا ينبغى له ان يعرف صورة الحل . والادوية الروحية الواجب استعمالها لمداواة الخطايا . قل ما يكون الخطايا الاكثر عمومًا *

وان سالتنى مستفهمًا هل يسوغ لمعلم الاعتراف ان يحكم على التلميذ كحسب الاراء الاكثر سهولة وتنازلاً . ام كحسب الاراء الاشد صرامةً . فاجيبك قايلاً . ان هذا سوال من يريد ان يُورَد له بكلمةٍ واحدة كلما يخص الحكمة * غير انى اقول هنا شيًا مفيدًا لبلوغ المقصود . وهو انه لقد يمكنها ان تخفف السفينة المشرفة على الغرق . على نوعين . وذلك اولًا اذا نزعنا عنها ثقل البضاعة . لانه بهذه الواسطة يسهل عليها المسير والوصول الى الميناء بسلام * ثانيًا اذا نزعنا عنها ثقل الصبورة . الا ان هذا لمن شانه ان يزيدها خطرًا * فعلى حسب هذين النوعين تستطيع ان تخفف فى سر الاعتراف تخفيفًا مفيدًا . او مضرًا * فيكون تخفيفك مفيدًا اذا ما صيرت الناموس سهلاً هينًا لدى التلميذ . على نوعٍ يجعله ان يحب الطاعة له اى للناموس . ويكون تخفيفك مضرًا . اذا وسعت له الناموس توسيعًا من شانه ان يعدّه ويميل به الى ان يلقى نيره عنه *

ولكى تفهم ذلك جيدًا . فلنفترضنَّ وجود تلميذٍ معتاد على الشراهة . فمثل هذا ان قصدت ان تلزمه بان يصوم

مع ان الكتاب المقدس يدعوه نبعًا مفتوحًا لبيت داود لغسل الخاطى (زخريا ١٣) * غير انى لست ادرى هل تستطيع هذه الحجج كلها تبرر جسارة البعض من الكهنة . الذين مع اتصافهم بقليل من هذا العلم الضرورى . يتقدمون لان يحكموا على ضماير الناس . لممارسة الوظيفة التى قد تكلم عنها القديس ايرونيموس قايلًا : ان صناعة الصنايع هى تدبير النفوس *

اما العلم الضرورى لمعلم الاعتراف . فهو نوعان . احدهما عمومى . والاخر خصوصى * فالعلم الاول يقتضى معرفة سبعة اشيا * لانه ينبغى له اى لمعلم الاعتراف اولًا ان يعلم حدود تراسه . لانه ما من احد يحل انسانًا ليس هو تحت حكمه . حسب كلام الحكيم القايل : القاضى يحكم على شعبه (ابن سيراخ ١٠) . اى على الذين تحت رياسته فقط . ومن ثم يجب على معلم الاعتراف ان يعرف الخطايا المحفوظ حلها لمن هو اعلى سلطانًا منه * ثانيًا ينبغى له ان يعرف ما قد كان امر به الله تعالى كهنة العهد العتيق . وهو ان يعرفوا يميزوا برصًا من برص . هذا الامر المرموز به عن التمييز ما بين الخطية المميتة . والخطية العرضية * ثالثًا يلزمه ان يعلم اعراض الخطية الاكثر اعتبارًا . تلك التى تغير نوعها * رابعًا يجب عليه ان يعرف ما يلتزم به التلميذ نظرًا الى اصلاح الضرر فيما يخص الشان والمال * خامسًا ينبغى له ان يعرف ما يصيّر سبب الخطية قريبًا . ومتى

لا يمنعك النظر ان كنت انت اعمى * وقولى هذا يلاحظ من قد تحقق عنده انه غير قابل لمباشرة هذه الوظيفة . على انه ان كنت مشككًا فى ذلك فقط . فيجوز لك ان تقنع فى راى من صرفك . الا انه يلزمك ان تجتهد فى تحصيل ما تحتاجه من العلم لكى تمارس وظيفتك جيدًا *

نعم ان العلم الضرورى لمعلم الاعتراف قد يكفى ان يكون كحسب مقتضى حال النفوس المدبرة منه . لكون من يقبل الاعتراف فى القرى . لا يحتاج من العلم ما يحتاجه من يقبل الاعتراف فى المدن . على انه يوجد فرق فيما بين من يحكم على فلاحين مساكين . وبين من يحكم على اغنيا العالم وعظمايه * ثم ان الخبرة تغنى ايضًا عن العلم . وعنها قد قال الحكيم هكذا . العديم الخبرة يعرف قليلاً (ابن سيراخ ٣٣) * وما عدا ذلك . فقد تغنى عن العلم حكمة ما طبيعة . تلك التى تميل بالانسان الى ان يشك فى حل المشكلات الغير المالوفة . فيسال عنها ذوى العلم . ولهذا يشير المجمع الترينتى على الكاهن . بان يطلب مشورات الحكما . حينما يحدث له فى حال الاعتراف امرٌ موهم عسر الفهم . ولكن بشرط الا يظهر خطايا التلاميذ اصلاً *

ولعمرى انه لو يجوز للمعلمين اللاهوتيين الماهرين فقط ان يجلسوا على منبر سر الاعتراف . لما كان ممكنًا ان يتقدم اليهم الشعب فى كل يوم . بل ولا فى كل سنة مرة . ولكان اضحى هذا السر الجزيل نفعه للكل ينبوعًا مسدودًا .

مع

يستعظم وظيفته . وبالنتيجة كم مقدار ما يلتزم بالاجتهاد فى ان يتصف بالعلم الواجب لمباشرة هذه الوظيفة الفايقة . وليعتبر ما نطق به القديس ايرونيموس قايلًا : ان حكم الكاهن فى محكمة سر الاعتراف اذا ما اصدره جيدًا . فيكون مثبوتًا فى السما * ليت شعرى ما اكثر ما ينبغى للكاهن ان يحسن الحذر والاستفحاص قبل ان يبرز الحكم الذى سيُفحص عنه فى المحكمة الالهية . وربما يُرذل من اجل انه قد خرج من فم الكاهن بدون العلم الضرورى لذلك . او من دون الفحص الواجب له * وقد ذهب ايمة المعلمين اللاهوتيين . الى ان من يقيم لقبول الاعتراف كاهنًا قد عرف انه غير ملايم لمباشرة هذه الوظيفة كما يجب . يرتكب بهذا خطية باهظة هو ومن اقامهُ * ولعمرى ان هذا ما اشار اليه هوشع النبى بقوله : من اجل انك رذلت العلم فانى ارذلك ليلا تكهن لى (هوشع ٤) . فلاحظ كيف انه تعالى لم يقل ليلا تكون لى كاهنًا . بل قال ليلا تكهن لى . ان ليلا تباشر فى كنيستى وظيفة الكهنوت . وذلك لانه وان كان الله عزوجل لا يعزل الكاهن عن الوظيفة المسلمة له لاجل جهله . الا انه تعالى لايريد ان يباشرها . لاجل الاكرام والاحترام الواجب لاسراره * وليس للكاهن ان يعتذر بقوله . ان اسقفه قد منحه اذنًا بذلك . لكون هذا الاذن لا يمنح العلم الواجب لهذا السر . بل يستفرض وجوده فى من ياخذ هذا الاذن . كما ان الذى يختارك قايدًا للناس .

لا

الكاهن المتصف بسلطان الاعتراف . لكونك قد خصلت حاكمًا فى دعوة تخص ذاتًا المحكمة الالهية فقط . حسبما سُطر فى الانجيل المقدس . من يقدر ان يحل الخطايا الاّ الله (مرقص ٣) . والحال ان الكاهن يحلها حقًا . اى انه يحل الانسان عن وفاء ما لا تقدر كل قوة مخلوقة ان تفى عنه * ليت شعرى ايما قاضٍ او حاكم قد اُعطى سلطانًا لان يصيّر بارًا من كان مذنبًا . على اننا نرى السلطان البشرى الاعظم لا يتصل الى اكثر من هذا . وهو ان يحكم على الانسان انه برى مما اُشتكى عليه كذبًا . بل لمن من الملئكة قال الله قط من غفرتم له خطاياه غُفرت له . ومن امسكتموها عليه مُسكت (يوحنا ٢٠) *

انه لمن المستحيل ان يدرك احدٌ كم مقدار ما يبغض الله تعالى الخطية المميتة . ولاثبات قولنا هذا يكفينا ان نقول ان السيد المسيح لاجلها اى لاجل ابادة الخطية بذل حياته عينها . كما ان شمشون بذل نفسهُ لاجل هدم بنا الفلسطينيين وابادتهم . فهذا العمل الجزيل الصعوبة اعنى ابادة الخطية . التى لاجلها هرأق ابن الله دمهُ الزكى كلهُ . يكمله الكاهن كل يوم بسهولة اى بمجرد رفع يده وقوله : انا احلك . ولاجرمَ انه عند نطقه بهذه الكلمات تتساقط على الارض كل اسوار اريحا . بل انها تعود ترابًا وتتلاشى . ويتم ما قاله المرتل تلتمس خطيته فلا توجد (مزمور ١٠) *

فلينظر اذًا معلم الاعتراف كم مقدار ما يجب عليه ان يستعظم

جيدة لذيذة * فسنورد التعليم على اجلى نوعٍ مما يمكن لكى يستطيع كل كاهنٍ ان يفهمهُ . وان كنت اعلم انه لا ينتفع من تعليمى هذا سوى كاهنٍ واحدٍ فقط . لحصلت من ذلك فى شيخوختى على تعزيةٍ عظيمة . من حيث ان الذى يصيّر بتعليمهِ كاهنًا واحدًا ماهرًا فى قبول سر الاعتراف . يكون بعملهِ هذا نظير من خلص خطاة كثيرين . ولهذا قالت حنه عن نفسها بابتهاج انها مع كونها عاقرًا ولدت كثيرين (ملوك اول ٢) . وذلك من اجل انها وان كانت لم تلد سوى صمويل الا انها كانت ولدت من كان عتيدًا ان يخلص كثيرين *

❁ الفصل الثانى ❁

فى انه يجب على معلم الاعتراف ان يكون * متصفًا بالعلم *

انه لقد يسوغ لى ان اخص الكهنة بما تكلم به الله تعالى على لسان نبيهِ قايلًا : انى قلت انكم الهة (مزمور ٨١) . لكون الكهنة حاصلين على حال المتوسطين فيما بين الله تعالى وبين البشر . فهم نظرًا اليه عز وجل بشرٌ . اما نظرًا الى البشر فانهم الهة كما ان قوس قزح نظرًا الى الشمس ليس هو سوى سحابة . اما نظرًا الى الارض . فانه هو شمسٌ * فان كان هذا الامر يصح فى كل كاهنٍ . فكم بالحرى يصح فيك ايها الكاهن

الكاهن الجالس على منبر سر اعتراف . الا ان خطر وظيفته يوازى مقدار عظم رتبته . وذلك نظرًا الى نفسه ونفوس رعيته . ان زلّ فى مباشرة هذه الوظيفة . على ان عصا النبى التى كانت تحيى الماينتين فى يد اليشع هى نفسها كانت فى يد جحزى تثبت وتمكن الموتى فى حال الموت . ومن ثمه يسوغ لنا ان نقول عن الكاهن معلم الاعتراف ما قاله الحكيم على غير معنى : ان الموت والحيوة فى لسانه (امثال ١٨) . لكون خلاص النفوس فى حركة لسانه . اذا ما استعمل سلطانه حسنًا . وفى حركته ايضًا هلاك النفوس . اذا ما تعدى واجبات هذا السلطان *

فلكى نوصد الباب دون هذه الشرور المهلكة . فقد اجتهدنا وجمعنا من تعاليم المعلمين والآبا القديسين . والكتب الالهية بعض نصايح عملية مفيدة لمناولة سر التوبة . وقدمناها لكل كاهن يعدّ نفسهُ لقبول اعترافات المسيحيين . ويرغب ان يعقل جيدًا ما يلتزم به . وما يساعده على اتقان مباشرته هذه الوظيفة المقدسة * ولنلاحظ فى الكاهن اولًا كونه قاضيًا . وسنورد ما تقتضيه هذه الوظيفة من العلم . ثم نلاحظ فيه كونه طبيبًا قد اقيم من الكنيسة لمداواة امراض النفوس وشفايها وصدها عن الارتداد الى الخطية * ونقدم له ايضًا ما يعينه لبلوغ هذا الغرض . ولكن من اجل ان كل انسان يستصعب اجتناء الاثمار من بين الاشواك . ولو مهما كانت الاثمار جيدة

احدٍ يسعى على نوعٍ اوفر قربًا منهم فى فيض النعمة التى بها تبلغ النفس اخيرًا الى الخلاص * اما الاخرون المقدم ذكرهم فانهم انما يعدون النفوس لهذا الخير بواسطة التعاليم والنصايح والمشورات . ويفعلون مثل حزقيال النبى اى انهم يجمعون العظام اليابسة الميتة المبددة على وجه الارض . ويقربون كل واحدٍ منها الى مفصله . الا انهم لايحيونها (احاح ٣٧). اما الكهنة معلموا الاعتراف فهم وحدهم الذين ينفخون نسمة الحيوة (تكوين ٢). على انه وان كان فيض النعمة يخص الله تعالى وحده حقًا . الا ان معلمى الاعتراف يسعون معه فى هذا العمل باوفر قربٍ . وذلك حينما يتلون صورة الحل . وبها يكسرون الابواب الجهنمية التى تمنع رب القوات عن الدخول فى قلب البشر . ولاجرَم ان وظيفة معلم الاعتراف هى وظيفةٌ مختصة بكليتها للعهد الجديد . لانه فى العهد القديم انما كان للكهنة هذا السلطان فقط . وهو ان يحكموا على الرجل بانه ابرص ام انه خالٍ من البرص . ولم يكن لهم سلطان على اشفاء البرص . غير انه تعالى قد خصص هذا السلطان لكهنة كنيسته . حتى انه قد يجوز ان يقال لكلٍ منهم ما قيل للسيد المسيح : ان شئت فانك تستطيع ان تطهرنى . وهو وحده اعنى الكاهن المسيحى . يقدر ان يجيب مثله تعالى قايلاً : انى قد شئتُ فاطهر (متى ٨) *

ومن هنا قد اتضح عظم شرف الوظيفة التى يباشرها الكاهن

❁ الجزء الثانى ❁

فى واجبات معلم الاعتراف ويشتمل على
* اربعة عشر فصلاً *

❁ الفصل الاولُ ❁

* فى ايضاح مضمون هذا الجزء *

ان الله جلت ربوبيته وعزت قدرته . قد شاء ان يسعى هو وحده فى تكوين الانسان . اما فى اصلاحه فقد احب ان يسعى معه اخر غيره . وليس انه تعالى يريد ان يشترك معه فى هذا الامر واحدٌ فقط . بل انه يدعو كثيرين الى هذا العمل بقوله لجملة اناسٍ : امضوا الى كرمى (متى ٢٠) . غير انه سبحانه قد خصص هذه الوظيفة الشريفة بالكهنة * ثم لكى يعلم الجميع كم يجب عليهم ان يكرموهم فدعاهم تعالى على لسان الرسول انصاره (قرنتيه اولى ٣) . اى اناسًا يسعون معه عز وجل فى تقديس النفوس وخلاصها . نعم ان هذه التسمية الفايق سمو شرفها تخص على حدٍ سوى جميع الكهنة الذين يعتنون فى خلاص النفوس . لكونها تخص مفسرى الكتب المقدسة . والاساقفة . والواعظين . الا انها تخص على نوعٍ اكمل اولئك الذين يمنحون المومنين سر التوبة . لاننا اذا ما لحظنا الامر جيدًا . فسنرى انه ما من احد

تحريرًا عميقًا . سيما فى عقول بعض خطاة قساة القلوب . اوليك الذين يحتاجون الى الصلوة اكثر من الابرار. كما ان من قد سقط فى بير يحتاج الى العون اكثر مما يحتاج اليه من هو على خطر السقوط فيها فقط . على انه من حيث ان كثيرين يجهلون ضرورة هذا العون . او يهملون طلبه . فمن ثمه يلتحق الهلاك بكثيرين * وقد يجب عليك ان تصلى من اجل هولاء الخطاه خاصة فى حين تقدمتك الذبيحة الالهية . لان هذا هو الوقت المناسب لنيل مراحم الله حسب وعده تعالى على لسان موسى النبى قايلًا : ان صلى من اجلهم الكاهن فيغفر لهم الرب (احبار ٤) * فان كان الله تقدس اسمه مخ الكاهن حقًا على الدنو من ينبوع كل خير. فكيف اذا لا يدعهُ ان يستقى منه بمقدار ما تشتهى نفسه . لانه قد قيل فى الشريعة : ان من له حق على الذهاب الى عين ما . له حقٌ ايضًا على الاستسقا منها *

ولكى تكون صلاتك فاعلة معطفة اذان الرب الى ان يسمعها ويستجيبها . فيلزم ان تكون متصفة بالتذلل وحرارة الشوق الصادر عن المحبة وحسن الاتكال . لان الصلوة المتصفة بهاتين الصفتين . هى صراخٌ عظيمٌ فى اذان الرب . واذا كانت خاليةً منهما . فتكون صوتًا ضعيفًا جدًا لا تنفذ السحاب ولا تُسمع فى * السما *

***

صلوة : لانه ان كنا محتاجين الى عونٍ الهى جديد فى كل يومٍ . فكيف ندع يومًا واحدًا يمضى بلا صلوة *

فعليك اذًا ايها الكاهن ان تتدرع بهذه الاسلحة على الدوام لاجل خير نفسك . وخير نفوس رعيتك . لان هذا هو الذى يامرك به المجمع التريدنتى المقدس . وهذا هو الذى يحرّضك عليه كتاب قوانين الكنيسة الذى قد تحرر فيه هكذا : لاجل هذا قد ارتسمت الكهنة وهو لكى يستمجكوا بصلواتهم للجميع بركات الله الكلى الجود والصلاح . فاحتسب اذًا كل يومٍ تهمل فيه الصلوة لاجل رعيتك انك اذنبت فيه ذنبًا معتبرًا * قال صمويل النبى لرعيته العزيزة : حاشاى ان اخطى للرب فاكف من ان اصلى لاجلكم (ملوك اول ١٢) . لاحظ كيف ان النبى لم يقل : حاشاى الا اصلى . بل قال . حاشاى ان اكف من ان اصلى . لانه كان يصلى من اجلهم بلا ملل . لعلمه بان الشعب الاسرايلى كان ينتصر على اعدايه طالما كان موسى راعيهم يرفع يديه ويصلى من اجلهم . وانه حينما كان يكف من الصلوة لاجلهم كانت الاعداء تظفر بهم . فحسنًا اذًا تامر البيعة المقدسة كلاً من الكهنة اذ تقول فى قوانينها هكذا : ليضرع اذًا كاهن الكنيسة على الدوام . لكى يستطيع الشعب المروس منه ان يغلب اعداءه الغير المنظورين اعنى الشياطين *

ثم يجب على الكاهن ان يوضح لرعيته التزامهم البليغ بممارسه الصلوة . ويحرر فى طرس عقولهم هذا التعليم تحريرًا

الا بجداول مرسومة منه عز وجل . والحال انه كما ان الله تعالى قد رسم ان يفيض علينا النعمة الملكية بواسطة الاسرار فقط . هكذا رسم ايضًا ان لا يفيض النعمة الفعلية الا بواسطة التضرع لا غير . ولهذا قال الرسول : ان الرب هو غنيٌّ لجميع الذين يستغيثون به (روميه ١٠)* فاذًا كما انه لكى تتقدس نفوسنا لابد لنا من تناول الاسرار . لكونها جداول هذا التقديس . هكذا الثبوت فى هذا التقديس . وحفظه تجاه الاعدا الذين يحاربوننا خارجًا وباطنًا . يقتضى ضرورةً الالتجا الى الصلوة . لكونها الواسطة المرسومة منه عز وجل لفيض عونه الاقدس . ولهذا ينصح كُلاًّ منا على لسان ارميا النبى قايلًا : اصرخ الىَّ فاستجيبك (ارميا ٣٣)*

فتصوراذًا النعمة المبررة فى نفسنا كمدينة لا تستطيع ان تقاوم الاعدا المحيطين بها . ولا ان تحفظ ذاتها زمنًا مديدًا بدون من ياتى لاعانتها . والحال انه لمن المحال ان تنال هذا العون من دون ان تطلبه . لكون القديس اغوسطينوس يقول هكذا : ان هذا هو اعتقادنا . وهو انه لا يستحق العون الا من يطلبه * فاذًا بمقدار ما يكون العون الالهى ضروريًا لفعل الخير . بمقدار ذلك تكون الطلبة ضرورية لنيله . وذلك قل ما يكون على حسب مجرى تدبير العناية الالهية المالوف . فلم يبالغ اذًا ترتوليانوس بقوله هكذا : انه لامرٌ يرعب النفس المومنة . وهو مرور يوم قد جاز بغير صلوة :

قد هلكت فى مذلتى (مزمور ١١٨) *

فان كان كل انسانٍ يحتاج الى هذا التامل لكى يسير مستقيمًا الى غايته. فكم بالحرى يحتاج اليه الكاهن راعى النفوس. الذى تلزمه وظيفته بان يقود الاخرين فى هذه الطريقة * لعمرى ان الكاهن بدون الصلوة العقليه هو قايدٌ ضعيف النظر. واضعف من ذلك قوةً. وانى لاعجب من ذاك الذى لايتفكر فى الاشيا الخلاصية بتانّ. كيف يقدر ان يوردها جيدًا للشعب. فينبغى اذًا للكاهن ان يعيّن لنفسه قل ما يكون نصف ساعة. يصرفها فى كل يومٍ بالتردد مع الله تعالى باكرًا. واذا سلك هكذا. فستكون حينيذ صلاته العقلية كندا يسبق الصبح * غير ان البعض من الكهنة يعتذرون قايلين. انهم عاجزون عن ممارسة هذه الصلوة العقلية. لاجل عدم الفضوة * الا انى اجيب عن ذلك قايلًا: ان من قد خصص زمانه كله لخدمة الجسد. فحقًا انه لا يجد زمانًا يصرفهُ فى خدمة الروح. لعمرى لويقطع الكاهن المخاطبات والزيارات والاشغال الباطلة. بل المضادة احيانًا لياقة دعوته المقدسة. لكان يجد وقتيذ زمنًا كافيًا لتامل حقايق الايمان المقدس *

ثم ان القسم الثانى من الصلوة العقلية اعنى به الطلبة. فانه يحتاج اليه الكاهن ايضًا لاجل غاية نفسه ونفوس رعيته. نعم ان الله تعالى غنىٌ للجميع حسب كلام الرسول. الا انه سبحانه هو نبعٌ لا يفيض مياههُ الا

بعقله اشياء جيدةً بغير تانٍ . فان تفرسهُ هذا لا يدعى تاملاً * اما البعوضة نعم انها تستقر على الزهور مستمدةً منها القوت . الا انها تستمد منها قوتًا مالوفًا فقط . كما يفعل الانسان الذى يتفرس بعقله اشياء جيدة متانيًا . الا انه لا يقصد فى ذلك شيئًا اخر سوى الدرس . وهذا ايضًا لا يدعى تاملاً . اوقلما يكون ليس هو تاملاً يفيد النفس * فاذًا كما ان النحلة تقصد ان تستخرج من الزهور الزوم الالطف والاعذب . الذى منه يتكون العسل . هكذا يجب على الانسان الا يقصد فى التامل الذى نحن الان فى صدده سوى ما يفيد للعبادة . نعم ان هذا التامل هو درسٌ . الا انه درسٌ مستعذب . من اجل انه فيه تسعى الارادة مع العقل *

والحال ان التامل اى الصلوة العقلية . هى الواسطة الافضل والانفع لاكتساب النعمة الفعلية . لانها اى الصلوة العقلية تعد النفس على نوعٍ عجيب للمفعولين العظيمين المختصين بها اى بهذه النعمة . التى من شانها ان تصيّر واضحًا جليًا . ما كان محجوبًا مخفيًا . وتجعل محبوبًا شهيًا . ما كان مستصعبًا مبغوضًا . حسب تعليم القديس اغوسطينوس . فليس اذًا بعجبٍ ان الملك والنبى داود نسب لهذا التامل ارتدادهُ عن الشر . وتباته فى الخير قايلاً : تفكرت فى طرقى ورددت قدمى الى شواهدك (مزمور ١١٨) * اما ثباته فى الخير فقد قال عنه هكذا : لولم تكن شريعتك تلاوتى لكنت حينيذٍ

قد

❁ الفصل الثالث والعشرون ❁

* فى التزام الراعى بالصلوة *

قال القديس برنردوس موردًا واجبات راعى النفوس . انه يلتزم الراعى بثلثة اشياء وهى : الكلام . والمثال . والصلوة . غير ان افضل هذه الثلثة الاشيا هى الصلوة . لانه وان كان التعليم والمثال هما ضروريان . الا ان الصلوة هى التى تمنحهما قوةً وفاعليةً * ولكى تتضح هذه الضرورة جيدًا . فينبغى ان نميز هنا اى فى الصلوة الجزئين الاخص . والافضل . وهما التامل والتضرع فنقول *

انه ما من احد ينكر حقيقة ما قاله القديس اغوسطينوس وهو : انه من الاستفهام الجلى يصدر الانعطاف سريعًا * على انه كما ان النور من طبعه ان يسبق الحرارة . هكذا الفهم يتقدم دايمًا على المحبة . ما عدا ان هذا الفعل اعنى به الفهم . لا يكمل فى الانسان كما فى الملك . اعنى فى دقيقة واحدة * لان الملك يدرك الحق حالاً . اما الانسان فليس كذلك . لان عقله لا يطير كعقل الملك . واذا طار فانه يطير مثل النحلة التى تنتقل من زهرةٍ الى زهرة . اى من حقيقةٍ اوفر قربًا الى حقيقةٍ اخرى اكثر بعدًا . وذلك حينما يستنتج من شىءٍ قد عرفه شيًا اخر لم يكن يعلمهُ قبلاً * وانما قلتُ مثل النحلة . لا مثل الدبانة والبعوضة . لان الدبانة تنتقل من زهرةٍ الى زهرةٍ ولا تستقر عليها ثابتة . كما يفعل الانسان الذى يتفرس بعقله

المريض من تجاريب الشيطان . وهذا الامر يقتضى منه ان يلاحظ متاملاً طبع المريض . وميله وعوايده . لانه من شان ابليس خزاه الله ان يحارب النفس من الجهة الاكثر ضعفًا ومن ثم فلينصح المريض بان يكشف له قلبه كل مرة تضغطه التجارب *

وفى اثنا ذلك . اى بعد ان يكون الكاهن حفظ المريض من الشر . فينبغى له ان يسوقه نحو الخير . وذلك بحثه اياه على ممارسة افعال الفضايل الاكثر ضرورة فى تلك الساعة . اعنى بها افعال الايمان . والرجا . والمحبة . والندامة . ومطابقة الارادة الالهية . لان هذه الافعال هى جزيلة الضرورة لاكتساب نعمة الثبوت فى هذا الوقت الاخير *

اخيرًا فلينبّه ذاك المريض لكى يربح كل الغفرانات التى يستطيع ان يكتسبها فى تلك الساعة . وليحثهُ على تكرير الندامة على خطاياه . وطلب الحل عنها من الكاهن مرات كثيرة . وبالنتيجة اقول : انه ينبغى للكاهن ان يلاحظ تلميذه المريض الى النفس الاخير . كملاحظته جنديًا قايمًا بعد فى ميدان الحرب الذى قد يمكن الى وقت خروجه منه ان يغلب او ينغلب . ولهذا فليتلو عليه الصلوات الكنايسية المرتبة لاجل مساعدة المنازعين . لان الامر المهتم فيه يقتضى اهتمامًا بليغًا . من اجل انه متعلق بدقيقة بها قد تعلق ابدية عذاب او اجر غير متناه *

ينتقل اليها . وتارةً ما يميل بالقلب الى محبة عناية الله تعالى . الذى قد كان يقدر ان يميتنا بعد فعل الخطية الاولى . ومع ذلك احيانًا يأخر موتنا . لكى نفوز بالخلاص * ثمن يوضح له انه لمن المستحيل ان يهمل الله تعالى اهل بيت ذاك الذى يقبل الموت طاعةً لعزته الالهية . وخضوعًا لتدبيره . وانه عزوجل ينظر بعين الرضى ويسر جدًا بمن ينطق عند اقتراب موته بما نطق به السيد المسيح فى تلك الساعة قايلاً : لكى يعلم العالم انى احب الاب وكما اوصانى الاب كذلك افعل فقوموا ننطلق من ههنا (يوحنا عر) *

اننا قد تقدمنا فقلنا انه يلزم الكاهن عند مساعدته المريض فى ساعة حياته الاخيرة . ان يهتم فى ازالة موانع الموتة الصالحة . اى ان كان ذاك المريض لم يحرر وصيته الاخيرة . نظرًا الى ارزاقه واملاكه . فلينصحه الكاهن على ذلك . وليبصّره ان يتمم هذا الامر بكل سرعة . لكى يستريح من هذه الهموم التى من جراها يضيع المرضى مرات كثيرة اثمن ما فى حياتهم من الزمن . اعنى بها دقايقها الاخيرة * ثم يجب عليه ايضًا ان يحث المريض على الصدقة بعد وفاء دينه . وليحذر من ان تكون ابنا ذاك المريض حاضرين فى ذلك الوقت . لانه لمن الممكن ان مشاهدته اياهم تليّن قلبه . وتعمى عقلهُ . وتعكس امره *

وبعد ذلك فليوجّه الكاهن اجتهادهُ الى ان يصون المريض

السفينة حسنًا فيما بين العواصف * ثالثًا يحتاج الى ان يقدم للمريض كل عون ضرورى له فى هذه المرحلة الاخيرة الخطرة . كما ان النوتى الخبير اللبيب يفرغ كل ما عنده من الخبرة والقدرة لكى يبلغ السفينة الى الميناء سالمةً *

فاذًا قبل كل شىءٍ ينبغى ان يخبّر المريض باقتراب الموت . لاحظ هنا انى لا امنعك عن ان تدع الطبيب يخبر المريض بذلك . لان شهادته هى اقوى من شهادتك . غير انه اذا كان الطبيب غايبًا . او لا يريد هو ان يخبر المريض بالخطر الحاصل عليه . فتلتزم حينيذٍ بان تورد له الامر بكلام واضح جلى قايلًا له مع اشعيا النبى : انك ستموت (أشعيا ٣٨) * الا انه لما كانت محبة الانسان الغريزية لحفظ حياته عظيمة بهذا المقدار . حتى انهُ بعد دخول الموت الى منزلهِ واقترابه من فراشه . لا يعتقد انه وصل بعد الى باب المنزل . فلذلك لا يكفى قولك له انك ستموت . بل يحسن بك ان تخاطبه بتمام اية اشعيا المتقدم ذكرها . فتقول له ايضًا : ولاتعيش بعد . اى انه يجب عليك ان تكرر على المريض هذه النصيحة على انواعٍ شتى الى ان يفهمها جيدًا *

وان رايت المريض مستعدًا للموت . فاخبره ايضًا بذلك . لياَلا يخسر استحقاق نفسٍ تقدّم حياتها ذبيحةً ** غير انه يجب على الكاهن ان يخفف على المريض مرارة هذه الكاس . وذلك بايراده له تارةً اتعاب هذه الحيوة الشقية التى يفارقها . وجزيل سعادة تلك الحيوة التى

النسق يحصل بعض منازعين على حال السكون . لان الحر يكون قد تقوّى فيهم على البرد . اى لانهم عاشوا عيشة صالحه زمنًا مديدًا . ومن ثم ظفرت فيهم النعمة الالهية بما يضادها * واخرون بعكس ذلك . يحصلون على حال الهدو وعدم الاضطراب . من اجل ان البرد يكون قد تقوى فيهم على الحر . اى من اجل انهم اعتادوا على التغاضى عن امر الخلاص فى حين صحتهم . ولهذا لا يضطربون من هذا القبيل عند انتها حياتهم . على انهم احبوا غالب حياتهم اغلال رذايلهم فمن ثمه لايفتكرون فى تلك الساعة الاخيرة فى القايها . لكون حال ايمانهم كحال جسدهم المايت بنصفه . فمثل هولاء يحتاجون الى نعمة خاصة . ومتى ظهرت من احدهم علامة قساوة قلب غير تايب فينبغى للكاهن الا يفارقه . اويصطحب معه كاهنا اخر . ليساعد المريض ويكرر عليه ما يحثه على التوبة *

فاذ قد اوردنا جزيل التزام الكاهن بمساعة المرضى المشرفين على الموت . فلذلك يجب علينا الان ان نوضح كيفية هذا العمل فنقول . انه ينبغى للكاهن ان يقتدى بمثال نوتى حزوم فطن قد راى سفينته حاصلة على خطر الغرق من قبل العواصف * فيجب اذًا عليه . اى على الكاهن . اولاً ان يخفف السفينة اى يبعد وينزع عن المريض كل موانع الخلاص * ثانيًا يلزمه ان يصون المريض من مصادمة الشياطين . وعلى هذا النحو يقود

السفينة

فلا يناولونهم الاسرار الالهية . ولا يقتبلون اعترافاتهم : لظنهم بهم انهم كملايكة بريين من الخطا . والحال انه لمن المحقق ان الخباثة احيانًا تسبق فيهم العمر . كما ان بعض نباتات تخرج ثمارها قبل زمانها * وقد خبرنا القديس غريغوريوس عن صبى هلك هلاكًا ابديًا لاجل خطية التجديف . مع انه لم يكن بلغ من العمر سوى خمس سنين * وهكذا اخبرت ايضًا بتولٌ مشرَّفة من الله برويا . انها ابصرت فى نيران المطهر صبيًا كان بلغ من العمر ست سنين فقط . وكان له مدةٌ مستطيلة من الزمن يتعذب هناك . من اجل ان والديه الظانين انه مات فى حال البرّ . لم يكونا يقدما لاجله قداديس ولا صلوات ولا صدقات * فليس اذًا يحتاج الكاهن جدًا الى ان يقبل اعترافات اولئك الصغار باحتراسٍ وافراز . وان يناولهم سر المسحة الاخيرة . وسر القربان المقدس * ثانيًا ولقد يتفق ايضًا ان يهمل الكاهن اخرين فى ساعتهم الاخيرة . كانهم غير محتاجين الى مساعدته . وهم الذين يتبينون هادين غير مسجسين . والحال ان فى هذه الحال يجب عليه ان يحسن الحذر . من اجل ان هذه السكينة لاتصدر على الدوام فى المنازعين من سببٍ جيد * قال اريسطوتاليس . ان الهوا يوجد ساكنًا هاديًا فى زمنين . احدهما وقت الظهيرة . من اجل انه فى ذلك الحين يكون الحر قد تغلّب على البرد * ثانيهما نصف الليل . وذلك من حين ان البرد يكون وقتيذٍ قد تقوّى على الحر * فعلى هذا

اعترانهم حذرًا من انه يخيفهم او يخيف اقرباءهم . ومن ثم قد يتفق مراتٍ كثيرة ان يتناول المرضى الاسرار الاخيرة بغير استعدادٍ . وذلك حينما يشتد المرض . ويدنو المريض من الموت * ويزل الكاهن بوجه الزيادة والافراط . حينما يناول المرضى كل الاسرار معًا فى اول افتقاده ايام . وذلك حذرًا من ان يلتزم بالرجوع اليهم . على ان ادوية النفس كادوية الجسد . وكلٌ منها تقتضى زمانها لابراز مفعولاتها *

اما المنازعون . فمن اجل انهم حاصلون على اعظم ضرورةٍ وخطر . فمن ثمه يلتزم الراعى بمساعدتهم اشد التزامًا . قال السيد المسيح للقديسة مريم المجدلية البازية : اعلمى انه ليجب ان يكون لكِ عيونٌ بمقدار عدد النفوس التى قد اؤتمنتِ لحفظها . فلو يخص الكاهن نفسه بهذه النصيحة الالهية . لما كان يفتقر الى من يحرّضه على اعانة المنازعين . بل انه كان يفرغ كل جهده فى ذلك لمعرفته انه اذا ما زلَّ فى هذه الساعة لايقدر ان يصلح زلته فيما بعد * ثم ليعلم الكاهن ان الانسان فى حال المنازعة يحتاج الى مساعة عظمى . من اجل ان قوته تكون قد خارت . واحدق به الشيطان . الذى هو كاسد زاير يجتهد فى اختلاس الغنيمة *

انه من جملة الذين لانعتبر الكهنة امرهم فى تلك الساعة الاخيرة . هم اولًا وعلى الخصوص الصبيان . الذين وان كانوا قد بلغوا من العمر نحو ست سنين او اكثر .

فلا

لا يوجد فى قلبه اضطرام الغيرة لخلاص النفوس *

ولقد يجب على الكاهن عند افتقاده المرضى ان يعزيهم ويشجعهم . وهذا سيتممُه اذا اورد حججًا من شانها ان تميل بهم الى ان يقتبلوا بالصبر ما قد اتاهم من قبل الله تعالى . وعند ايراده لهم هذا الامر . فليظهر نفسه متالمًا معهم . وحزينًا على حالهم . ولا يقتدِ باوليك الذين يوبخون المريض قايلين له : انه بشرورهِ اجتلب على هامته نقمة الله . والزمهُ تعالى بانه يضربه بهذا المرض . كما فعل اصدقا ايوب الذين لما افتقدوه فى بليتهِ . فعوضًا عن انهم يعزونه . خاطبوه بما من شانهِ ان يزيده المًا ومرارة . لان فحوى مخاطبتهم معه كله كان متجهًا الى هذا المقصد . وهو انه اعنى ايوب كان مستحقًا تلك الحال الشقية المرتى لها * قال القديس غريغوريوس : هل الضربة اتت من الله تعالى لاجل تطهير الانسان . ام لاجل تاديبه . فهذا امرٌ لايعرفه احدٌ سوى الله سبحانه وتعالى . ولهذا لا يجب علينا نحن الكهنة ان نزيد المريض ضربةً على ضربته * ثم انه لكى يستطيع الكاهن ان يشجع المرضى . فيجب عليه ان يعلمهم كيف يمكنهم ان يقدموا اوجاعهم لله تعالى وفاءً عن خطاياهم *

الا ان الشى الذى يلتزم الكاهن بالاهتمام فيه دون كل شىء . هو ان يناول المرضى الاسرار فى الوقت المليم . لانه نظرًا الى هذا الامر لقد يمكن ان يزل الكاهن . اما بالنقص او بالافراط . فيزل بالنقص . اذا اخر قبول

ولا ان يهملوهنَّ فى ضرورتهنَّ . ولا ان يبدرقوا فى اللعب والسكر والملاهى القوت الضرورى لعيالتهم . وكرر عليهم التعليم الملايم التزامهم بالاعتنا فى حسن تربية اولادهم *

❁ الفصل الثانى والعشرون ❁

فى كيف ينبغى للكاهن ان يتدرب مع المرضى * والمنازعين والموتى *

انه من شان الاب الا يزال معتنيًا فى بنيه الاصحا . غير انه يعتنى ببنيه المرضى اعتناءً خصوصيًا . ومن ثم سيُعرف الكاهن هل هو ابٌ روحىٌ ام لا . اذا ما اعتنى فى رعيته فى زمن مرضهم . لانه ان كانت الرحمة تميل بالانسان الى حيث يكون الشقا اعظم . كميل الشى الى مركزه . وتسرع عاجلًا الى اعانته . فلا ريب فى ان احشا الكاهن تكون حديدية ان كان يحتاج الى من يحثه على مساعدة هولاء المساكين * فماذا نقول اذًا عن الكاهن الذى لا تؤثر فيه هذه الكلمات الكلية المحبة : هوذا الذى تحبه مريض (يوحنا ١١) . كيف لا ينهض ولا يتحرك بعد ان يكون دُعى مرات كثيرةً . وذلك اما لاجل فقر حال المريض . او لدناءته . او لاجل بُعد منزله وصعوبة الطريق . او الطقس . او لاجل خوفٍ خيالى يصوّر فى عقله انه اذا ما اشتم رائحة مرضه يستنشق معها الموت . فعن مثل هذا الكاهن يسوغ لنا ان نقول انه لا

ارتسم من الله لكى نعلم به اتحاد اللاهوت مع ناسوت سيدنا يسوع المسيح. واتحاده تعالى مع كنيسته. ومع كل نفسٍ بارة * فان رمت ان تكون راعيًا صالحًا. فعلم المومنين باية نية يجب عليهم ان يتزوجوا. ولتكن نيتهم هذه. وهى ان يسعوا فى تكثير عدد المختارين. ويربوا حسنًا بنين يستطيعون ان يرثوا الملكوت السماوى. لان هذه هى الغاية الاولى التى لاجلها رسم الله تعالى سر الزيجة قبل خطية ادم * اما الغاية الثانية. فهى لكى يلج الانسان طريقًا اوفر سهولةً لخلاص النفس. ومن ثم يجب عليك ايها الكاهن ان توضح للمتزوجين كم مقدار ما يلتزمون بان يقتبلوا هذا السر المقدس فى حال النعمة. لكى يجتنوا اثماره التى يحتاجونها. لاسيما تلك الانعام التى تحفظ بينهم المحبة المترددة. وتصير عيشتهم مقدسة. وذريتهم مباركة * اذ هم سوء حظ الذين يقتبلون سر الزيجة فى حال الخطية. موضحًا لهم انه لا يمكن ان تخرج اثمار جيدة من شجرة مسمومة الاصل. وبالنتيجة اقول انه ليجب ان تفرغ الجهود فى ان يعتبر الناس جدًا جلال هذا السر المسمَّى من الرسول سرًا عظيمًا (افسس ٥) * ثم اورد لهم تفاقم خطية من يخون بوعد الامانة المختص بهذا السر. ولان بعضًا من المتزوجين يعاملون نساءهم معاملة شرسة قاسية بربرية. فاوضح لهم ان الله سبحانه صيرهنَّ رفيقات لهم لا جاريات. وبالنتيجة انه لا يجوز لهم ان يشتموهنَّ. ولا ان يضربوهنَّ

❁ الفصل الحادى والعشرون ❁

فيما يجب على الكاهن نظراً الى الذين يرغبون * سر الزيجة *

انه من حيث ان الزيجة هى اشراكٌ وسر. فيجب على الكاهن ان يعلم ويعلم ما هو الذى يجعل هذا الاشتراك باطلاً. لاسيما القرابة ما بين الخطيب وقرينته. وليفحص جيدًا عن رضى الفريقين فى هذا الاشتراك. من اجل انه قد يتفق ان الوالدين يغتصبان البنت بمن لا ميل لها فيه ولا ارادة * ثم ليستخبر عن اشياء اخر. فاولاً عن عمر الفريقين. ونظراً الى هذا الامر. لابد ان يكون الخطيب بلغ قل ما يكون اربع عشرة سنة كاملة. اما الخطيبة فيكفى ان تكون بلغت اثنتى عشرة سنة كاملة * ثانيًا ليسال هل ان احدهما ارتبط مع شخص اخر بوعده له بالزيجة *

الا انه ينبغى للكاهن ان يبذل اخص اجتهاده. فى ان يعقل الفريقان جيدًا جلال هذا السر العظيم وغايته المقدسة. لانه ماذا يفيد كون السيد المسيح احال باكسير سماوى الى ذهب ابريز سرًا كان كتراب بسيط او معدن كثيف. ان كان المسيحيون لا يعرفون ثمنه * ان النية الكثيفة التى تحرك الاكثرين الى الزيجة. تزجم فى خطايا متعددة ترتبط النفس بها قبل ارتباط الاجساد برباط هذا السر الاقدس. ويجهلون بالكلية ان هذا السر قد

الحساب عن هذا الضرر الاك ايها المرشد *

ولقد يجب عليك ايضًا ان تحسن الصبر عند اقتبالك اعترافات اناس غير حاصلين على الاستعداد الواجب . (وهولاء هم الذين تلتزم فى الاعتراف بان تمسك عليهم الحل) وذلك لئلا يُظن بك انك مسكت الحل عنهم من جرى ضجرك منهم . وهذه الواسطة اى مسك الحل يفيد تلاميذك جدًا . فاخّر اذًا عليهم الحل الى زمنٍ ما . وعيّن لهم وسايط مختلفة تعينهم على اتقان الاستعداد * اما عادة بعض الكهنة المفرطين بالصرامة اوليك الذين يصرفون التلميذ من بعد ان يكون قال بعض كلمات . فهذا الفعل غالبًا لا يجدى نفعًا *

ثم ان الفطنة تقتضى من الكاهن الا يقبل اعترافات الخطاة المشتهرين . اوليك الذين لا يرجى اصلاحهم الا يسيرًا . بل الخليق به والافضل بنا ان نقول . انه يلتزم من قبل وظيفته بان يخبر بهم الاسقف . ولانه اعنى الكاهن لا يستطيع بسلطانه ان يزيل الشك الوارد من قبلهم . فمن ثمه ينبغى للاسقف ان يهتم فى ازالته * قال القديس اغوسطينوس . ان هاتين اللفظتين . اعنى بهما انسانًا خاطيًا لا تقالان باطلًا . فلاجل كونه خاطيًا ادبّه . ولاجل كونه انسانًا ارحمه .

غير انك لاتقدر تخلص الانسان ان لم

* تحارب فيه خطاءه *

***

المداراة والملاطفة * وان راءه يقبل التوبيخ بتواضع فليكف عنه . وليشرع فى تطمينه وتقويته . لان الذى يخجل من كان خجلانـًا . يشبه طبيبًا يفصد مريضًا عند فناء قوته *

فعلى الكاهن اذًا ان يبقى الصرامة لبعض انفار خطاة وقحين مستخفين بفجورهم . وان املاء وجوههم من الخزى فيكون قد قدم لها دواءً شافيًا بايضاحه لهم عظمة شر الخطية . وجزيل خطر حال من تعتق فيها * الا انه ينبغى لك ان تظهر قلبك متالمًا حزينًا . اكثر مما تظهره محتدًا على سو حالهم * فليكن اذًا هذا الروح روح من يقصد ان يداوى ويشفى . لا من يوم ويجرح . ولا ريب فى ان فعلك حينيذ يكون فعل الرحمة على القريب *

اعتبر الان القضيه الثالثة والاخيرة . وهى التزامك باحتمال ما ينالك من الصعوبة من قبل التلاميذ . وربما ان هذا هو اصعب ما تجده عند قبولك اعترافاتهم * غير ان الذى يفر هاربًا من هذه الصعوبة . فانه بذلك يظهر نفسه انه غير قابل لمباشرة هذه الوظيفة . لان الذى يخاف من لذع النحل حينما يمد يده الى شهدها . لايقدر ان يخرج منه كثيرًا من العسل . ومن يهرّب الرعية فتقع بعد ذلك فى ايدى اللصوص . يلتزم كما امرت الشريعة بوفا الضرر * فلنفترض ان التلميذ الذى هربته يرتكب خطية النفاق فى سر الاعتراف . باخفايه خطية باهظة او اعراضها المثقلة . فمن هو الذى يلتزم برد الحساب

لا يذكر السفر الالهى ان ادم وبخ قايين على قتله هابيل . من اجل انه اعنى ادم كان بخطيته قتل الجنس البشرى كله . وعلى هذا المنوال كيف يستطيع الكاهن ان ينهض بالغيرة ويوبخ رجلًا عاميًا على خطية الفساد . اذا كان هو ذا سيرة فاسقة اكثر منه *

الا انه ليجب على الكاهن الا يتجاوز الحد من جهة اخرى . اى لا يوبخ التلميذ بعدم التمييز او بصوت عالٍ . او باحتداد النزاقة . لان هذه شايبة تضاد الاحترام الواجب لهذا السر جدًا * لقد لحظ المعلمون ان المطر المنحدر من السما في الابار اذا كان ممتزجًا معه البرد لا يكون جيدًا ومفيدًا . لكونه ينتن سريعًا . وهكذا التوبيخ الممتزج بصرامة مفرطة لا يفيد للتاديب . وقد حدث مرارًا عدة ان بعض انفار من جرى مثل هذه التوبيخات المرة تركوا الاعتراف . واستمروا سنين كثيرة هاربين من كل طبيب لبيب . وذلك لاجل شراسة اخلاق ذاك الكاهن الذى كانوا وقعوا بين يديه * قال القديس اغوسطينوس : ان الاعتراف هو ايراد الانسان مرضه الخفى مع رجا المغفرة . فان كان الكاهن ابصرمة التوبيخ ينزع عن تلميذه هذا الرجا . فما هو الذى يحثه فيما بعد على الاعتراف * فليدبر اذًا الكاهن امره بفطنة . وليلاحظ اعراض الزمن والشخص . ولا يوبخ احدًا الا بعد ان ينتهى الاعتراف . وفى ذلك الحين نفسه اذا كان التلميذ حديثًا او شخصا جزوعًا مستحيًا . فينبغى للكاهن ان يونبه بحسن

المداراة

ضرورة الندامة الواجبة لسر الاعتراف . ولا ما يحرك قلوبهم الى هذه الندامة * او انهم يجهلون التزامهم بالقصد الحقيقى الثابت . على عدم الرجوع الى الخطية . وان كانوا قد عرفوا ذلك فتراهم يعتبرونه يسيرًا كانّ جوهر سر الاعتراف هو متوقف على حركة شفتيهم . وايراد خطاياهم * واخرون كثيرون لا يفهمون شيًا من عظمة الخطية . وجلال احسان السيد المسيح . حينما يغفر لنا هكذا بسهولة * وقومٌ لا ينتبهون على ما يلتزمون به من ممارسة الافعال المتعبة القشفة وفاء عن خطاياهم . ولا على الوسايط الضرورية لحفظ نفوسهم من العود الى الخطية . واصلاح ملكاتهم . وعوايدهم الردية * والحال انه يجب على الكاهن ان يبدد بتعليمه هذه الظلمات المهلكة من عقل تلميذه * الا انه كيف يتم ذلك ان كان لايعلم جيدًا هذه الصناعة . ولم يكن تمهّر بقراءة كتب المعلمين . لكى يستطيع ان يحل المشكلات الموردة له فى الاعتراف . لاسيما كتب الابا الروحيين الذين يصفون الادوية المناسبة لمداراة كل رذيلة . فهذا الجهل اى عدم معرفة هذه الامور قد دعاه كتاب القوانين الكنايسية طاعونًا يجب على الكاهن ان يكون ناجيًا منه *

ثم ان الشى الثانى الذى يلتزم به الكاهن عند قبوله الاعترافات . هو النصيحة والتوبيخ * الا انه قد يتفق لبعض الكهنة انهم لا يتجاسرون على ان يوبخوا الاخرين . وذلك عذرًا من انهم بهذا يوبخون انفسهم ايضًا . ومن ثم لا

هكذا . ان جهل التلميذ يكون غالبًا على نوعين * احدهما جهل الحقايق اللازم اعتقادها * ثانيهما * جهله الحقايق الضرورية ممارستها * فان تقدم اليك تلميذٌ ما ومع كونه مسيحيًا لا تستطيع ان تدعوه ابن النور كما يدعو الرسول كل مسيحى . بل كله . ظلامٌ . فاختبره اولًا . فان رايته يجهل السرين الاخص والاعظم اللذين عليهما يتاسس كل ايماننا . اعنى سر الثالوث الاقدس . وسر التجسد الالهى . فيجب عليك ان تبلغه سريعًا الى معرفتهما . او انك توخر عليه الحل الى ان تبلغه الى هذه المعرفة . لانه بدون معرفة هذين السرين معرفةً صريحةً . لا يستطيع احدٌ ان ينال الخلاص . وبدون هذه المعرفة لايكون ذاك التلميذ قابلًا الحل * وان كان جهل التلميذ لا يتصل الى هذا الحد . بل انما يخص اسرارًا اخر . الاسرار التى يلتزم كل المومنين بمعرفتها لا بالتزام الواسطة . بل بالتزام الوصية فقط . فحينئذٍ وان كنت لا تلتزم بتعليمه حالًا . الا انه يجب عليك اولًا . ان تلزم ذلك التلميذ بالاعتراف عن توانيه فى تحصيل التعليم الضرورى للخلاص * وثانيًا تلزمه بان يتعلمه سريعًا . اما منك واما من غيرك *

غير ان المتصل جهلهم الى هذا الحد من الظلام الكثيف . لقليلون بالنسبة الى اخرين غيرهم حاصلين على جهل اخر يرثى له : وهو جهل ما يلتزمون به لكى يعترفوا اعترافًا جيدًا . لان كثيرين لا يعلمون ضرورة

لانه لا يجوز ان يُعطى خبز البنين للكلاب . ولا يبالى من كون ذلك الخاطى هو رجلٌ شريفٌ مقتدر. متصف برتبة سامية . لانه لاجل كونه خاطيًا مشتهرًا هو كلبٌ ايضًا * ولهذا قال الذهبى الفم مخاطبًا كلاً من الكهنة هكذا : ان تقدم اليك رجلٌ مكلل بتاج ملوكى . وهو غير مستحق فامنعه . لان السلطان المعطى لك هو اعظم من سلطانه . وان تناولته الاسرار الالهية فسوف يطالبك السيد المسيح على دمه الكريم . لانك وضعت هذه الخمرة الالهية لا فى زقاقٍ جديدة . بل فى زقاقٍ منتنة *

❁ الفصل العشرون ❁

فى واجبات الكاهن عند قبوله اعترافات المومنين *

انه اذ قد تقدمنا واوردنا اشياء كثيرة فى شان سر التوبة . وذلك فى كتابتنا المدعو مرشد الخاطى . ونحن عتيدون ان نتكلم ايضًا عن ذلك فى الجزء الثانى من هذا الكتاب . فمن اجل ذلك لا نطيل هنا الشرح فى هذا المعنى . بل اننا نوضح فى هذا الفصل ما يلتزم به الكاهن فى حين قبوله الاعترافات التزامًا خصوصيًا : وهو ان يعلم الجاهل . ويوبّخ الخاطى . ويحتمل الغليظى الطبع . حسبما قال القديس توما اللاهوتى * فعن القضية الاولى نقول هكذا :

تناول القربان المقدس . اعنى بهم المسيحيين الاشرار. الذين كما قال القديس اغسطينوس : يدعون مومنين وهم ليسوا كذلك . لان مثل هولاء يفترون على الاسرار المقدسة بتناولهم اياها * ولكن ان كان هولاء خطاة مخفيين كالذين لا يجتنبون سبب الخطية القريب . او لا يردون ما للقريب مع قدرتهم على ذلك . او لا يغفرون لاعدايهم بل يكمنون البغضة فى قلوبهم . فعنهم اقول انهم اذا طلبوا من الكاهن ان يناولهم القربان المقدس سراً لا جهاراً . فينبغى له ان يمنعهم عن ذلك على نوعٍ غير مشتهر. وليورد لهم حينيذٍ بحسن الملاطفة ما ترتله البيعة المقدسة قايلةً : ان هذا السر يهب الابرار الحيوة . ويمخ الاشرار الموت * غير ان هولاء اعنى بهم الخطاة الغير المشتهر خطاهم . اذا طلبوا جهاراً وامام جماعة المومنين تناول هذا السر الالهى . فلا يجوز للكاهن وقتيذ ان يمنعهم عن تناوله . وقد علمنا ذلك السيد المسيح بمثاله . لما تناول يهوذا الاخاريستيا فى العشا السرى . الا انه يجب على الكاهن ان ينصحهم بعد ذلك قايلاً لهم . ان يفتكروا جيداً فى امرهم . وليتذكروا ان هذا السر المقدم ليهوذا من السيد المسيح نفسه . صار له سماً قاتلاً . لا دواءً مخلصاً *

اما الائمة المشتهروا الخطاء الذين قد عرف الجمهور خطيتهم . ولم يعلم توبتهم عليها . فيجب على الكاهن ان يصدهم ايضاً عن تناول القربان المقدس جهاراً . لانه

هنا قوله . تمييزٌ ما . لانه ربما انك تتطلب من الصغار ان يكون تمييزهم كتمييزك . لكى يستطيعوا ان يتناولوا هذا السر بعبادة . وهذا ضلالٌ منك . لانه يكفيهم ان يميزوه مما هو مالوفٌ ومادى . ولا يحتاج ان يفهموا كل ثمنه * نعم انه يسوغ لك ان تقبل قبلًا اعترافاتهم مدة سنة او اكثر من ذلك . لكى يحسنوا بهذا الامر استعدادهم لتناول السر . الا انه لماذا تمنعهم عن تناوله مدةً مستطيلة . مع كونهم حاصلين على السن الاكثر مناسبةً لتناوله . اعنى به سن النقاوة . تذكر كلام رب المجد القايل : دعوا الصغار ان ياتوا الىَّ (مرقص ١٠) . فهل نظن بانهم كانوا يعرفون السيد المسيح معرفة كافية لما كان يقبلهم ويحتضنهم بمحبة *

ان الشى الاخص الذى ينبغى ان تتجه اليه غيرتك مع الصغار هو هذا . وهو ان يتناولوا القربان المقدس فى المرة الاولى باستحقاق . لانه قد يوجد منهم الذين كما قال عنهم المرتل : ضلوا من البطن (مزمور ٥٧) . ومنذ ابتداء سن التمييز فيهم تعلموا الخطية . ومن حين انهم لم يكونوا قد اعتادوا بعد على الخطية . يستحوذ عليهم خجل عظيم بهذا المقدار . حتى يصيّرهم ان يخفوا فى الاعتراف خطايا ثقيلة . وهكذا يتقدمون فى هذه الحال الى الاسرار الالهية . فمن ثمه يجب على الكاهن ان يحسن الحذر والاحتراس عند اقتباله اعترافاتهم *

اخيرًا ليعتبر الكاهن انه لملتزم احيانًا بمنع الناس عن تناول

ولقد يجب على راعى النفوس ان يجتهد فى ان تكون فى رعيته مثل هذه الاخوية المقدسة *

وماذا نقول عن الكاهن الذى بدلًا من انه يجتهد فى ان ترغب رعيته تناول الاسرار الالهية بتكاثرٍ. يستضعف ذلك ويلومه. ومن ثمه يظهر ضجره للذين يقصدونه فى قبول اعترافاتهم. ويذهب الى منبر هذا السر كسفينةٍ مسحوبة ضد جرى الماء * لعمرى ان مثل هذا الكاهن لا يعقل واجبات وظيفته. ولا يعتبر ان الاسرار الالهية هى ادوية مرسومة من اجل المومنين. وان لهم حقًا على تناولها فى حال احتياجهم حقًا مستقيمًا موسسًا على دم السيد المسيح. وان من لا يناولهم الاسرار فى هذا المحل لا جرمَ فى انه يخطى خطيةً ثقيلة * ثم ليعلم الكاهن انه راعٍ لا لكى يبصر لرعيته ما يحتاجونه فقط. بل لكى يبصر لها ما هو افيد ايضًا. والا فماذا تكون حال الرعية التى راعيها لا يحتسب نفسه ملتزمًا بهذا. الا حينما يتحقق انها تموت ان كان لا ترتعى * ان الراعى الصالح يبتهج ويرغب فى ان تاكل رعيته فى كل ساعةٍ اذا كان ذلك نافعًا لها *

واخيرًا ليعتبر ايضًا الكاهن ما قاله امام المعلمين اللاهوتيين. اعنى به القديس مارى توما اللاهوتى. عن تناول الصغار القربان المقدس. وهو انه حينما يبتدى فيهم تمييزٌ ما. يستطيعون به ان يشعروا بعبادةٍ نحو هذا السر. فيجوز حينئذٍ للكاهن ان يمنحهوه * لاحظ هنا

مقدار ما يحسر بهذا . لكون العسكر الخالى من الزواد . لايجوج الاعدا الى ان تسلّ سيوفها عليه لكى يغلبوه *

والشى الثالث المعضد فى بلوغ المقصود هنا . هو انك فى سر الاعتراف تجعل تناول القربان المقدس بتكاثرٍ قانونًا * غير انه فى هذا يحتاج ان يتدرب الكاهن بحكمةٍ . لكون الاسلحة الملوكية المقدمة لداود حين كان راعيًا كانت تتعبه وتضايقه . ولكن لا لانها لم تكن جيدة . بل لانها لم تكن تلايمه اذذاك * وهكذا الكاهن الذى يلزم كل تلميذٍ بتناول السر الالهى مرةً واحدة فى كل شهر . لا يعرف ما ينتهى اليه هذا التدبير المخرف . لانه عوضًا عن ان يصيّر تلاميذه بهذا ان يوفوا ديونهم القديمة . فانه يمنحهم سببًا لان يزيدوا عليها دينًا جديدًا . من اجل ان الشعب المعتاد ان يقبل هذه القوانين فى سر الاعتراف لمن شانه ايضًا ان يهملها بسهولةٍ * واني لاظن انه لويقتصر الكاهن فى ذلك او قل ما يكون لو لم يخصص تناول السر الالهى فى كل شهرٍ مرةً واحدة . بل كان يطلب هذا فقط . وهو ان يتناوله فى مدار السنة اثنتى عشر مرةً على حسب مرامه . لكان بهذا يكتسب غالب الناس باقل خطر * اما اوليك التلاميذ الثابتون فى ارشادك . فقد يمكنك ان تدبرهم باوفر سهولةٍ وطمانينة . وذلك من اجل معرفتك بحالهم . لاسيما اوليك الذين اشتركوا فى اخوية متمسكة بالعادة لتناول القربان المقدس مرةً واحدة فى كل شهرٍ .

ولقد

نفسه (امثال ١٩) . فلماذا قال انه للانسان . ولم يقل انه لله ان يهيى النفس . مع انه لا بد فى كل عملٍ صالح من ان يسبق الله تعالى بنعمته * ان السبب فى ذلك هو هذا . اى ان العايق فى ذلك ليس هو من قبل الله سبحانه . لكون يده تعالى مستعدة ممدودة على الدوام لان يقيمنا من على الارض *

اما ما يقوله هولاء بان الاشغال المتشبثين بها هى التى تصدهم عن تناول السر الالهى * فهذه الحجة فندها بازدراء قايلاً : ان كانت هذه الاشغال المتفاقمة لا تمنعهم عن الماكل الجسدى . فلماذا تصدهم عن تناول الماكل الروحى لا فى كل يومٍ . بل فى كل شهرٍ مرةً واحدة *

وقد يمكنك ان تجتذبهم الى تناول هذا السر بواسطة اخرى . اعنى بايرادك لهم وفور الفوايد الجليلة الناجمة لهم من تناولهم اياه * قال القديس ديونيسيوس الاريوباجى : ان كل بهاء نظام هذا العالم قايم فى هذا الامر : وهو ان السفليات تصعد الى العلويات . والعلويات تحدر الى السفليات * فاذًا خيرنا الابدى يتوقف على ان السيد المسيح ينحدر من السما مراتٍ كثيرة لكى يقتادنا . ونرتفع نحن من على الارض لنذهب للقايه تعالى باستعداد واجب . وحينيذٍ يتم ما قاله القديس المذكور : وهو ان السفليات تتحد بالعلويات * وهذا هو السبب الذى من اجله يفرغ الشيطان كل جهده فى ان يصدنا عن تناول القربان المقدس بتكاثرٍ . لانه خزاه الله يعلم كم مقدار

برغبة مفرطة عادمة الترتيب . فانهم قليلون بالنسبة الى الذين يجب على الكاهن ان يحثهم على اقتبال هذا السر المسجود له . وعنهم قال السيد المسيح لكل كاهن : الزمهم بان يدخلوا * وهذا الامر لقد يمكنك ان تفهمه على انواع مختلفة * فاولاً اوضح لتلاميذك بطلان الحجج التى يعتذر بها فتورهم . وهو قولهم عن نفوسهم انهم غير مستحقين هذا الشرف والاحسان العظيم . او انهم ليسوا بحاصلين على الاستعداد الواجب . او انهم غير فارغين من الاشغال والهموم . فانزع عن اعين عقولهم حجاب هذا الكسل . وارهم الامر كما هو * فالذين تراهم يحتجون بعدم استحقاقهم قل لهم هكذا : ان الشى الذى يصدهم عن التقدم الى القربان المقدس . ليس هو الاحترام لهذا السر . بل انما هو انعطافهم الاختيارى نحو الخطية . والتصاق قلوبهم بها . او قل ما يكون حبهم الملاهى والتنزهات العالمية * هذا هو الذى يبعدهم عن سر الافخاريستيا . كما ان الفلسطينيين ابعدوا عنهم تابوت العهد . من اجل ان صنمهم لم يكن يقدر على القيام امامه . بل كان يسقط وينسحق متهشمًا * ولكن ان كانت سيرتهم قد صيرتهم غير اهل لتناول السر الاقدس . فليت شعرى ما الذى يحتاجونه لكى يحصلوا اهلاً له . انه يكفى فعل ندامة حقيقية على خطاياهم مع القصد المتين والاعتراف . والحال ان هذا الامر بنعمة الله هو فى يدهم وقادرون عليه * قال الحكيم : انه للانسان ان يهيى

نفسه

مناولة الاسرار لاتلاحظ الكنيسة خير من يقتبلها فقط بل انها تعتبر ايضًا ما يجب من الاكرام لجسد السيد المسيح المقتبل * ومن ثم ولو مهما كان الانسان يستفيد من تناول القربان المقدس فى كل يوم اكثر من مرة واحدة . فمع ذلك تمنعه الكنيسة عن هذا الامر . حتى انها تامر ايضًا كل مومن بان يختار ان يموت بدون تناول سر الزوادة الاخيرة . ولا ان يقتبله من ايدى غريبة . مثلاً كتناوله من يد امراة * وهكذا تنهى ايضًا الكاهن عن تقديس الاسرار والعامى عن تناولها اذا كان غير صايم . وانما سبب هذا كله لصيانة الاحترام الواجب لهذا السر الاقدس * فلمن المحقق اذًا انه ما عدا وجود الانسان فى حال النعمة قبل تناول القربان المقدس . يحتاج الى استعداد اخر ايضًا *

وقد يوجد كهنة اخر يفعلون بخلاف اوليك . لانهم يطلبون ممن يتقدم الى هذا السر استعدادًا كاملاً نادر الوجود فى اوليك الذين يتناولونه بتكاثر * الا انه ينبغى للكاهن الحزوم ان يسير ما بين هاتين الصخرتين * فالذين يجدهم نادمين على خطاياهم بالكفاية . فليأذن لهم بتناول السر الالهى فى كل شهر مرة واحدة * والذين تكون سيرتهم افضل نقاوة . فليسمح لهم بتناول السر مرة واحدة فى كل سبتة . وليسمح باكثر من ذلك لمن هم اوفر عبادة كحسب دعوتهم واستعدادهم *

الا ان اوليك الذين يرغبون تناول القربان المقدس برغبة

تنزع عنهنَّ ذوق هذا الخبز المحيى . ولا تصدهنَّ عن الاقتبات منه * ثم انه اذا راءهنَّ ايضاً بعد ذلك انهنَّ بممارسة افعال العبادة قبل تناول السر وبعده يجتهدنَ فى اضرام محبة الله فى قلوبهنَّ . وانهن يتناولن هذا الطعام الالهى بايمانٍ حى . وعواطف الندامة والتواضع . فليعاملهنَّ بسخاء ما . ولو كنَّ غير ناجياتٍ من جميع النقايص *

وبعكس ذلك ان راءهنَّ يتقدمنَ الى القربان المقدس على سبيل العادة . اى انهنَّ يتناولونَ السر لاجل مجرد كونهنَّ معتادات على ذلك . فليمنعهنَّ حينئذٍ عن هذا الامر . من اجل ان تناول السر الالهى بتكاثر (كما قال المليكى) ليس هو بجميدٍ الا حينما يزيد النفس نشاطاً . ولا ينقص فيها الاحترام * وليضبط بسلطانه تلك النفوس : لكون من لا يجب ان يعمل كما قالَ الرسول . فلا يُطعَم (تسالونيكيه ثانية ٣) * ومن لا يرج شرف الجلوس على مايدة المليكة بتعب ممارسة افعال الفضايل . فلا يجب ان يتكى عليها بتواتر *

الا انه فى هذا نفسه ليحذر الكاهن من الصرامة المفرطة . لان الفلاح الماهر فى صناعته لا يزرع بهميان مفتوح . ولا بيدٍ شحيحة مضبوطة * اننا نرى ما بين الكهنة من لا يطلب لتناول القربان المقدس فى كل يوم سوى ان يكون الانسان فى حال النعمة من دون كل استعدادٍ اخر . وهذا مما لا يحتمل فعله . من اجل انه فى

الالهية . فان راى ان سبب هذا الشوق ليس هو جوعًا روحيًا نحو هذا الطعام السماوى . بل غيرةً ما معرفة صادرةٍ من مشاهدتهنَّ انفسًا اخر اللواتى باذن مرشديهنَّ يقتبلن السر الالهى اكثر منهنَّ اوقاتًا . او نوعًا اخر من شوايب الكبريا . فعليه بان يجعل لهنَّ حدودًا كحسب فطنته * فليعتبر اذًا مفعولات تناولهنَّ القربان المقدس بكثاثر . لانهنَّ يشبهنَ احيانًا بقرات مصر اللواتى كنَّ يرتعين ويأكلنَ كثيرًا ولم يزلنَ عجافًا ضعيفات (تكوين ٤١م) * لانهنَّ اعنى تلك النفوس يستمررن ثابتات على نقايصهنَّ وزلاتهنَّ الاعتيادية . ولكن لا تلك التى تصدر من ذات الضعف البشرى فقط . بل تلك التى تصدر منهنَّ باختيارٍ كلى . مثلاً كالتمرمر بانتباهٍ . والكذب . والتعجرف بتعمدٍ . وشوايب اخذ الثار . والغيظ بتقصدٍ . وما شاكل ذلك . لانه حينئذٍ يسوغ للكاهن ان يشك ويظن بهذه النفوس انهنَّ يتضررنَ من كثرة تناولهنَّ هذا الماكل الالهى *

غير انه اذا كان يعسر على الكاهن تمييز هذا الامر . اى هل تستفيد النفوس حقًا ام لا . لكون النمو فى النعمة يشبه غالبًا نمو النباتات الذى يتم شيًا فشيًا على نوعٍ غير منظور . فمن ثم ينبغى له ان يفعل ما سياتى ايراده * فليلاحظ كيفية استعداد تلك النفوس لتناول القربان المقدس . فاذا وجدهنَّ مجتهدات فى تنقية قلوبهنَّ من مواد اهويتهنَّ المنحرفة . تلك التى لا

ان يقتبل هذا السر الا حينما يكون قد حصل على النفس الاخير * ومن يشا تعليمًا مستطيلًا مفصلًا فى شان هذين السرين . فعليه بتلاوة ما اوردناه فى هذا الصدد فى كتابنا المدعو مرشد المسيحى *

❁ الفصل التاسع عشر ❁

فيما يجب على الكاهن فعلهُ فى حين مناولته سر * القربان المقدس *

انه من حين ان الكاهن هو الوكيل الذى اقامه سيد الكل على اهل بيتهِ (لوقا ١٢) . اى على المومنين ليوزع عليهم قمحًا . اعنى بهِ سر الافخريستيا المدعو فى الكتاب المقدس قمح المختارين (زخريا ٩) . وقد امره تعالى بان يوزعه بامانةٍ وفطنة . فمن ثم يجب عليه ان يعتبر ما سياتى ذكره *

انه لقد يوجد فيما بين المومنين اناسٌ كثيرون نشيطون فى العبادة . الا انهم قليلوا الفطنة . الذين لويكون الامر فى اختيارهم لكانوا يريدون ان يكونوا كزيتوناتٍ مغروساتٍ حول مايدة الرب . وان يتناولوا السر الاقدس فى كل يومٍ . مع انهم لا يجتهدون فى ان ياتوا باثمارٍ تلايم الطعام الذى يتناولونه * فالفطنة اذًا تقتضى من الكاهن ان يفحص جيدًا عن ذاك الامر الذى من جرايه تشتهى تلك النفوس الاتكا على المايدة الالهية .

ان اعداء الانسان اهل بيته *

فاذاً يجب على الكاهن ان يبكت الشعب فى الكنيسة على ذلك ويوضح لهم مفعولات هذه المسحة الاخيرة المقدسة. موردًا لهم ان هذا السر يفيد المريض جدًا. لا نظرًا الى خلاص نفسه فقط. بل نظرًا الى شفاء الجسد ايضًا * قلت اولًا. ان هذا السر يفيد النفس جدًا. وذلك اولًا نظراً الى الزمن الماضى. لانه بهذا السر تغفر الخطايا التى ما انتبه عليها المريض قبلًا * ثانيًا نظرًا الى الزمن الحاضر. لكون هذا السر يمنح قوة لمقاومة تجارب الشيطان * قلتُ ثانيًا ان المسحة الاخيرة تفيد المريض هذا نظراً الى جسده. وذلك من حيث انه ينال به الشفاء اذا كانت الحيوة مفيدة له. وينال علاجًا لاوجاعه او صبرًا لاحتمالها. وهذا هو فحوى كلام يعقوب الرسول القايل: فان الصلوة بايمان تخلص المريض والرب يقيمه وان كان فيه خطايا تُغفر له (اصحاح ٥) *

الا انه دون كل شىء يجب على الكاهن ان يعلم المريض كيف ينبغى له ان يستعد لتناول هذا السر بواسطة الندامة على خطاياه. وذلك حينما يستطيع ان يمارس هذا الفعل. من اجل ان هذا السر هو سر الاحيا. وكمختم بقية الاسرار. واكليل الحيوة وتمام الانتصار. ومن ثمه (كما قال القديس توما اللاهوتى) لا يبقى شىء يصد النفس عند انفصالها من الجسد عن التمتع بالمجد الابدى * الا انه كيف يستطيع ان يفعل هذا من لا يريد

وليورد امامهنَّ عظمة هذا الاثم الشامل خطيتين. اعنى بهما خطية القتل. وخطية السرقة النفاقية. لانه بهما تُختَلَس نفسٌ من الفردوس * وليوضح عظم صعوبة خلاص من قد هلك احدٌ بسببه. وليصّير اوليك الشقيات ان يسمعنَ صراخ الاطفال المساكين. الطالبين من الله الانتقام من امهاتهنَّ اللواتى قتلنَهم. وخسرنهم السعادة الابدية. لانه كما قال القديس اغسطينوس: من قد صار لاخر سببًا لان يخسر خيرًا ابديًا. فيستحق عذابًا موبدًا * وليورد ايضًا امامهنَّ التاديبات الكنايسية القديمة. لاسيما هذا التاديب. وهو انها اى الكنيسة المقدسة. كانت تحرم اوليك الشقيات اللواتى يقتلنَ اثمار مستودعهنَّ حرمًا لا يحل الا فى ساعة الموت *

اما من جهة سر مسحة المرضى. فيجب على الكاهن كثيرًا جدًا ان يوضح للشعب حينما يكونون فى حال الصحة وجوب تناول هذا السر. وعظم الفايدة الواصلة منه الى المريض الذى يتناوله. لاننا نرى غالب المومنين ينظرون الى هذا السر كنظرهم الى الادوية الطبّية. التى وان كانوا يعتبرونها. لكنهم يشمازون منها. ومن ثم يتناولونها باستصعاب * فتراهم اذا ما شاهدوا الكاهن داخلاً منزلهم ومعه الزيت المقدس يتصورون حالاً الموت داخلاً معه. ومن اجل ذلك لا يطلب المريض هذا السر. واقرباوه يوخرونه عنه بحركة شفقة منحرفة مضرة. وحينيذٍ يتضح صدق كلام السيد المسيح القايل: ان

تناوله هو ضرورى جدًا . فمن ثمه يجب على الكاهن ان يحسن الاحتراس نظرًا الى جوهره . وان يعلّم الشعب فى الكنيسة كيف ينبغى لهم ان يتلو صورة سر المعموديـة فى حال الخطر . اعنى حينما تلزم الضرورة لكل امرء وامراة ان يناول هذا السر * ولا يكفيه ان يعلم ذلك جهارًا فى الكنيسة فقط . بل يجب عليه ايضًا ان يكرر هـذا التعليم سرًا على القابلات . ويساطهنَّ عـن ذلك فى كل سنة . حذرًا من ان يكنَّ قد تناسينَ شيئًا مـن جوهر صورة هذا السر * وقد يحسن بالكاهن . بل يجب عليـه ان يعمد تعميدًا شرطيًا ذلك الطفل الذى يكون اعتمد فى حال الخطر . وذلك قل ما يكون حينمـا لا يتحقـق عنده بعد الفحص عن كيفية العماد ان كان السر قد صح ام لا . والسبب فى ذلك هو لان خطر الوالة الـتى تغشى . والخطر الملمّ بالطفل عند ميلاده . لمن شانهما ان يسجسا النسا المعتنيات فى الايلاد . فلا يدريـنَ بمـا يفعلنا *

ثم انه اذ قد يتفق ان مـن ارتكبت اثمًا تريـد ان تحجبه وتخفيه بأمٍ اعظم منه . فلهذا يجب على الكاهـن ان يرعد بصوت تعليمه على اوليك الخاطيات المنكـود حظهنَّ . وعلى الامهات الشقيات اللواتى يسببن لانفسهنَّ الطرح . اما بتعمدٍ واما بجهل . اعنى بعـدم احتراسهن على حفظ الكنز العظيم الموجود فى مستودعهنَّ وهو النفس المفتداة بـكل دم ابن الله المخلوقـة لتحيـى الى الابـد *

نفسهُ لكى يناولها باستحقاق * والثانى ان يعد الشعب ليتناولها باستحقاق ايضًا * فينتج اذاً انه ان وجد نفسه فى حال خطية مميتة . فيلتزم قبل مناولته الاسرار الالهية اما ان يعترف . واما ان يندم ندامة كاملة . وذلك حيثما لا يجد من يقبل اعترافهُ . ويجب عليه ايضًا ان يعلم الشعب ما يجب عليه ان يفعله لكى يتناول الاسرار باستحقاقٍ . حسبما امر المجمع التريدنتى * ولكى نوضح ذلك مفصلًا فنقول . انه لقد علم المومنون ان الاسرار الكنايسية سبعة . وهى كسبعة كواكب متلالية فى سماء بيعة الله المقدسة . وان ثلثة من هذه الاسرار لا يخص الكاهن ان يناولها . وهى سر التثبيت . وسر الكهنوت . وسر الزيجة وقولى عن سر الزيجة انه ليس الكاهن خادمه . لان فاعل هذا السر . هما الرجل والامراة المشتركان فى الزيجة . واما وصية المجمع التريدنتى بحضور الكاهن . فانما هى ليكون شاهدًا ومباركًا للاشتراك * فبقى اذًا للكاهن ان يناول الاربعة الاسرار الاخر . التى احدها لا يجوز تكريره . وهو سر المعمودية المدعو سر الداخلين * والاخر لا يُكرَّر الا نادرًا جدًا . وهو سر مسحة المرضى المسمَّى سر الخارجين * فعن هذين السرين نتكلم اولًا * ثم فى اثنا ذلك نوضح ما يخص السرين الاخرين اللذين تناولهما مرات كثيرة ليس هو امرًا حميدًا مفيدًا فقط . بل هو واجبٌ ولازمٌ ايضًا . وهما سر التوبة . وسر الافخاريستيا *

فعن سر المعمودية نقول هكذا : انه من حيث ان تناوله

❁ الفصل الثامن عشر ❁

فى كيف يجب على راعى النفوس ان يناول الاسرار الكنايسية لاسيما سر المعمودية وسر * مسحة المرضى *

ان السيد المسيح الذى رسم الاسرار الكنايسية . واستحق لنا فاعليتها بسفك دمه الزكى . لا يزال الان ساعيًا معها بناسوته والوهيته فى صدور مفعولاتها * نعم انه تعالى يصدر بذاته هذه المفعولات . الا انه جلت حكمته لايريد ان يصدرها هو وحده . بل يريد ان يستخدم فى ابرازها الخادم المرسوم من كنيسته لهذه الغاية * ليت شعرى هل عاد يمكن ان يقال فى مديح درجة الكهنوت وتبجيلها اعظم من هذا الكلام . وهو انهم قد اختيروا لان يكونوا اعوان السيد المسيح . ليسعوا معه تعالى فى تقديس النفوس . وانه لفى سلطانهم ان يغلقوا ابواب جهنم المنفتحة للنفوس . ويفتحوا ابواب السما المغلقة دونهن . وانهم يستطيعون ان يفيضوا فيها كل كنوز النعمة الالهيه . التى ادنى شىء منها يفوق ثمنًا على الوف الوف عوالم * فهذه هى الوظيفة الغير المدرك شرفها . التى قد اقام الله عليها الكهنة لا المليكة . مع انه كان ممكنًا ذلك لويشاء تعالى جلت قدرته *

وانما اوضحنا هذا لكى يفهم الراعى انه فى حين مناولته هذه الاسرار السموية يلتزم بامرين * احدهما ان يعدّ

عن الاقدمين انهم كانوا فى ملحمة الحرب يتردون بثياب حمر . لكيلا يطلع احدٌ على جراحاتهم اذا ما شاهد الدم . هكذا يفعل اوليك الدنسون . وهو انهم يحترسون . ولكن لا لكى لا يجرحوا . بل لكيلا يُعرَفوا مجروحين * وما عدا ذلك لا يستعملون شيًا ما من الادوية . تلك التى كانوا يُعطونها ليعترفون عند من لم يكن اشترك معهم فى الخطية . ولهذا لمن شان الاساقفة الجزيلى الفطنة والاحتراس على رعيتهم . ان يمنعوا الكهنة عن حل الانام الذين اشتركوا معهم فى خطية الدنس * الا انه حين لا تكون هذه العادة التى قد كان يجب ان تكون فى كل ابرشية . فليتامل من قد سقط فى هذه البير الدنسة . ما اعظم الخطر الحاصلة عليه نفسه . اعنى به الخطر من ان لا ينسد فم البير . وذلك من اجل انه صير السر الالهى واسطة للهلاك الابدى *

انه لقد انتهى ايرادنا ما يجب على راعى النفوس فعله نظرًا الى الله تعالى . والقريب . ونفسه . فبقى اذًا علينا ان نتكلم عما يلتزم به * نظرا الى مناولة الاسرار الالهية *

المثل الدارج القايل : تنطفى النار بالتراب . والحب بالغياب *

اقول ايضًا انه حينما يلتزم الكاهن من قبل الضرورة اى ضرورة خدمة النفوس . بان يفتقد النساء . فيجب ان تكون مدة افتقاده قصيرة غير مستطيلة . وان يكون الخطاب فى مكان يستطيع اهل المنزل ان يبصروه . لانه لا توجد حجة من حجج التقوى والعبادة تاذن للكاهن بان يخاطب واحدة منهن على انفراد . هذا ما قالته الكنيسة فى كتاب قوانينها * وفى هذا الصدد قال ايضًا سينكا الفيلسوف : انه لكان باد مقدار عظيم من الخطايا لويوجد احد الانام حاضرًا تجاه الذين يريدون ان يخطوا *

اقول اخيرًا انه من حيث ان الخطية الدنسة تشبه نهرًا دنسًا . يزداد كبرًا ويشتد عزمًا بمقدار ازدياد جريه . فمن ثمه يتصل الكاهن الدنس احيانًا الى هذا الحد من الغباوة والشر . حتى انه يقبل اعترافات اوليك المسكينات اللواتى اسقطهن فى اشراك فساده وجهلهن . فوا اسفاه على تلك الحمامات الغبيات الجاهلات . اللاتى بعد ان دخلن الشبكة باختيارهن . يلتجئن الى الباشق ويستشرنه فى كيف يخرجن منها * ليت شعرى ماذا يكون انتها ذلك الاعتراف الذى ينزع عن الشخص المعترف الخجل الجزيل نفعه فى هذا السر . اليس ان هذا الاعتراف يعود مهازًا يسوق الى النجاسات التى لايستحين منها * لقد ذكر

قال المعلم المليكى . ان الخطر يزداد حينما يخف الخوف
اليس ان الجارية التى ادخلت بطرس الرسول الى دار
سيدها . قد صارت له اخيرًا سببًا لان يجحد ربه * وقد اجاد
الحكيم اذ نطق عما نحن فى صدده قايلا : خير ألم الرجل من
المراة الصالحة (ابن سيراخ ٢٤م) . من اجل ان معاشرة الانسان
رجلاً شريرًا . لامرٌ اقل خطرًا له من معاشرته امراةً صالحة .
حيث انه من المراة ولو مهما كانت عابدة ينشو السوس كما
ينشو من الصوف كما يقول الحكيم (ابن سيراخ ٢٤م) *
ولهذا قال احد القديسين . انى اخاف من تجربة واحدة
فقط . وهى التى تاتينى بصورة التقوى والعبادة * ولعمرى
انه لو تظهر الحيات بلون النار . لقل جدًا الضرر الصادر
منها . الا انها تستبين بلون التراب . ولهذا تلدغ
كثيرين من عديمى الاحتراس الذين يطاونها بارجلهم .
لظنهم بها انها تراب * كم من مرة قد اتفق لذاك الذى
قد ذهب لكى يخلص نفسًا واحدة اهلك نفسين . وبجهلٍ
يرثى له ينتهى باللحم ما قد كان ابتداه بالروح . اوّاه ان
عدد هولاء الاغبيا لا يحصى *

فليحذر اذًا الكاهن الحذر الكلى من ان يعطى سببًا لان
يشعر قلبه او قلب تلميذته بانعطاف حبٍ متزايد
التاثير . وحالما يشعر بنهوض هذا الانعطاف فى قلبه او
قلبها . فعليه ان يطفى نار اللهيب حالاً . وذلك بانفصاله
السريع الكلى من تلك التلميذة . لكون هذه هى الواسطة
الوحيدة التى بها يستطيع ان يطفى هذه النار . حسب
المثل

فلا شك فى هذا لا يخلو من شرٍ ما : لكون المزح (كما قال القديس برنرذوس) هو فى فم العامى كلام مزحى فقط اما فى فم الكاهن فانه نفاق * غير انه ربما يعتذر عن نفسه قايلاً : انه لم يقصد فى هذا سوى ان يرخى قليلاً لقوس فكره. وانه اذا ما ترك جانبًا صرامة الاحتشام مدةً يسيرة من الزمن. فلا يقصد بذلك ان يهمله كليًا * الا اننى اجيب مستفهمًا قايلاً : لعله يقدر ان يعتذر بهذه الحجة اذا خاض بالمخاطبة مع النساء خلافًا لوصية الروح القدس القايل : لا تستقر جالسًا ما بين النساء (ابن سيراخ ٤٢م) * وقوله ايضًا : لاتجلس مع امراة البتة (ابن سيراخ ٩) * ليت شعرى من هو الذى لايعلم ان الخطية الاولى التى دخلت العالم. انما دخلته بواسطة الاعين. لان هكذا سُطر فى السفر الالهى : لما راات الشجرة انها طيبة المأكل وبهية المنظر تناولت من ثمرتها (تكوين ٣) * ومن ذا لا يعلم انه فيما بعد قد ولجت خطايا اخر كثيرة من هذا المدخل * فان كان قد سقط عدد عظيم من الناس لاجل عدم احتراسهم على حفظ نظرهم. اى لاجل انهم لم يغضوا طرفهم. اولاجل انهم بعد وقوع نظرهم ما حولوه حالاً. ترى ماذا يصير من مذاكرة مبهجة مستطيلة. لا ريب ان حال هذا الكاهن هى حال من يرقد نايمًا على حافة هاوية عميقة * قال القديس ايرونيموس مخاطبًا : ما بالك تجلس مع امراةٍ للمذاكرة. انت الذى تخاطب الرب على المذبح * وقد

ثم انك ستحصل على فاية كلية ايضا اذا ما درست العلوم . لانك بواسطة هذا الدرس تخمد اضطرام الميل الى اللذات الحسية . كما ان البشر ابتداوا ان يشمازوا من اكل الخرنوب حال ما وجدوا الحنطة * فلا تعتذر بقولك انك لا تعلم ما هو العلم الذى يجب عليك درسه . لكون العلوم الواجب عليك درسها . هى تلك التى تخص درجتك ووظيفتك * قل لى اما ينبغى لك ان تعلم الشعب . وتنصحه سرًا وجهرًا . والحال ان هذا يقتضى منك درسًا متصلاً . وبهذه الواسطة تنحى عنك اولًا شايبة الجهل الغير اللايق بالكاهن . ثم تنتزع من مخيلتك ايضًا الاشباح الدنسة . واخيرًا تتباعد منك البطالة ام الرذايل كافة *

❁ الفصل السابع عشر ❁

* فى كيف يجب ان تكون مخاطبة راعى النفوس *

انه ليجب على الكاهن ان يجتنب نوعين من المخاطبات . اعنى بها ذات الخطر وذات الضرر * فيلزمه اولًا ان يجتنب المخاطبات الخطرة . اى مخاطبات النساء والبنات . ولو لم تكن له نية ردية فى ذلك من اجل ان عدم النية الردية لا ينافى الخطر * فاذا اتفق ان الضجر من الاختلاط والوحدة استحوذ على الكاهن فخرج الى الازقة . ودخل الى الدكاكين والبساتين لكى يصرف الزمن بالتنزه مع رجالٍ بطالين . متكلمًا معهم عن اخبارٍ واشيا باطلة .

فلا

اصرفه فى اللذات الحمية . فكيف يسمح لنفسه بعد ذلك ان تذهب راكضةً فى اثر هذه اللذات . كيف لا يخمد فيه هذا المنظر المخيف اضطرام نار شهواته ويطفى لهيبها * وهكذا قل عمَّن يتنفس شيئًا قليلاً من بحر اللذات النقية التى تفوق عذوبتها كل ادراك بشرى . تلك التى تتمتع بها نفوس القديسين فى اورشليم السماوية . كيف لايرذل مغضبًا الكاس المسمومة المقدمة له من الزانية البابلية * الا ان العكس هنا . اى ان افكار ذاك الكاهن المتنفس هذه الاشيا تتجه غالبًا حيث تميل به حواسه . ومن ثم كما ان الطيور التى ترتقى قليلاً الى العلو هى اشدّ ميلاً الى النجاسات . كما لحظ امام الفلاسفة . هكذا تلك النفوس التى ترتفع قليلاً من على الارض . لكى تفتكر بهذه السعادة السامية التى يريناها الايمان ويعدنا بها . فانها تميل الى النجاسات اشد ميلاً *

وما عدا التامل . فانه يجب عليك ان تتلو ايضًا الكتب المقدسة وفى هذا الصدد قال القديس ايرونيموس مخاطبًا : احبب تلاوة الكتاب المقدس . فما تحب رذايل الجسم * وبعد هذا كله ينبغى لك ان تلتجى الى الله تعالى بتواضع . ملتمسًا منه عز وجل عونه لا فى حين التجربة فقط . بل قبل مفاجاتها ايضًا وهذا قال الحكيم عن نفسه : لما عرفت اننى لست اقدر ان اكون عفيفًا ان لم يعطنى الله ان اكون . فذهبت وتضرعت اليه (حكمه ٨) *

سحق اولًا الصنم الذى كان ملجا التنين ووكره . فكذا ينبغى لك ان تعتقد انه من دون ان تميت جسمك ببعض رياضات مستصعبة مولة . باطلًا ترجو الانتصار على هذه الرذيلة المستكنة فيه . لان الذى يرغب العفة وينفر من امانة الجسد . يشبه انسانًا يرغب ان يكون كرمه مثمرًا . ولا يضع الفاس على الاشواك * قال القديس دوروثاوس الطبيب الماهر فى علاج هذا الداء الذى نحن فى صدده : اعط دمًا وخذ روحًا . مشيرًا بذلك انه بمقدار ما يُنزع من الحيوة الحيوانية . بمقدار ذلك يُزداد على الحيوة الروحية * ليت شعرى ان كان الكاهن المذكور يرتجف مشمئزًا عند استماعه لفظة افعال النوبة القشفة المولمة . فكيف اذًا يمكنه ان يحصل نقيًا . هل يعود الانا الفضى الدنس نظيفًا لامعًا من دون ان تشد عليه بالتنظيف * قال سينكا الفيلسوف : ان من يحب جسده حبًا مفرطًا لا يفتكر فى ما هو لايق . والحال انه كان يجب علينا ان نتدرب على هذا النسق . اى كحسب اناسٍ مضطرين بان يحيوا مع اجسادهم . لا كاناسٍ يحبون ان يحيوا من اجل اجسادهم *

اما الدوا المختص بالنفس فيتوقف على هذا الامر . وهو ان يمرن الانسان ذاته على تامل الاشيا الالهية . لاسيما الخيرات والعذابات المستعدة للاستحقاقات فى الابدية . لانه اذا ما تفرس جيدًا بعين الايمان ذاك الانون المرهب المملو نفوسًا دنسة . يلعن الان برجزٍ وغضب الزمن الذى

اصرفه

الى قيم ينتج عدم قصدهم على اصطلاح سيرتهم كما ان الشجرة التى تسقط حالما تبتدى الريح ان تحركها . تريك بذلك ضعف اصولها *

الا انى انا القاصد ان امد اليد لمن قد سقط . لا ابالى من ايراد ما يضعف فيه رجا القيام . بل ان ايرادى له جزيل شفاء حاله . هو واسطة لمن شانها ان تنهضه باوفر سرعة . ولهذا لما رام الله تعالى ان يرد اهل اورشليم عن شرهم القبيح . قال لحزقيال النبى هكذا : يا ابن البشر خبر اورشليم برجاساتها (اصحاح ١٦) * انه لكى تشفى امراض الجسد . فيكفى انها تعرف من الطبيب . اما امراض النفس . فلا شفاء لها من دون ان يعرف المريض مرضه . لانه من الممتنع ان يشفى من دون ارتياحه الى الشفاء * فاذا ان كان الكاهن ليس هو احد اوليك الذين كما قال الرسول : قطعوا رجاءهم . واسلموا نفوسهم للفساد (افسس ٤) . بل انما هو انسان قد اطلق العنان للشهوة الدنسة منذ زمان مديد . ويريد بعد هذا ان يرتد سريعا عن طريق الفساد . فعليه بان يستعمل الثلثة الادوية المقدمة له من المعلم المليكى . التى احدها يخص الجسد * والثانى يلايم النفس * والثالث يلاحظ الاعراض الخارجة *

والدواء الاول المختص بالجسد . الذى فيه قايم اصل الخطية النجسة هو هذا . وهو كما ان دانيال النبى لما عزم على قتل التنين . حسبما ذكر الكتاب المقدس عنه .

من ذاك الكاهن * قلت الظلام الباطن . لانه اذا ما اتفق ان يوجّه هذا الكاهن المعتاد على السيرة النجسة لحاظ عقله الى ضميره لكى يطلع على حاله . فانه يشبه انسانًا يروم ان يعاين صورته فى مرآة متلطخة بالطين . فمن ثم لا يقدر ان يميز هيته اى شناعته . وبالنتيجة لايستطيع ان يستكرهها * قلت الظلام الخارج . من اجل انه لا يوجد احد ينصحهُ * ان الكلب المجروح فى احد اجزاء جسده يشفى بسهولة رويدًا رويدًا . اذا ما قدر ان يوصل اليه لسانه . واما اذا ما جُرح فى راسه . فلا دواء لعلته * فهذا نفسه يتم بالكاهن المذكور . لانه اذا زلّ احد رعيته . وشكك الشعب بزلته . فيوجد على الدوام من ينصحه . واما الكاهن فلا . لان الشعب الذى يتمرمر عليه فى غيابه يلازم الصمت امامه احترامًا لدرجته المقدسة . وعلى هذا النحو يستمر شره مخفيًا ويتغافل عن اصلاحه متناسيًا * قلت ظلامًا مقصودًا منه . لكون هولاء الكهنة الدنسى السيرة يختارون غالبًا لقبول اعترافاتهم كاهنًا نظيرهم . يعاملهم بالملاطفة . فيحلون بعضهم بعضًا بسهولة كلية ولا يقدم احدهم للاخر فى الاعتراف دواء تكون غايته شفا الداء . وبالنتيجة كما ان النوم يزداد تمكينًا فى ظلام الليل . هكذا هولاء الاشقيا يسترجون فى حال ظلماتهم حال دنس سيرتهم ولا تقلقهم سياتهم * قال الانبا روبرتوس : ان اعترافات مثل هولاء انما هى ايرادات الخطايا لا اعترافات عنها . لانه من سرعة رجوعهم الى

صورة نفسه فيما سياتى بيانه *

فاقول اولاً ان الكاهن الدنس هو خاطى عظيم . وبالبته لا يكون اعظم من جميع من فى رعيته ايضاً * لقد قال امام الفلاسفة : ان الانسان الشرير هو اشر من بقية الحيوانات . من اجل ان له فهماً ويداً . فيخترع الشر بفهمه ويتممه بيده * فهذا نفسه لقد يسوغ لنا ان نقوله عن رجل خاطٍ يرعى النفوس . اى انه هو اشر كل الاشرار الذين فى رعيته * وذلك اولاً من اجل فهمه الذى يعرف به عظمة الاشيا الالهية المهانة منه * ثانياً من حيث ان له يداً . اى سلطاناً به يقدر ان يصنع ما يشاه * وبالنتيجة لقد يمكننا ان نخاطبه بما خاطب به حزقيال النبى اورشليم قايلاً : انه لم تخطى سامرة بنصف خطاياك بل غلبتيها باثامك وبررت اخواتك بجميع رجساتك (احاح ١٦) * الا ان هذا ليس هو الشى الذى يخيفنى اكثر خوفاً . بل يوجد شىء اشر منه . وهو انه يتفق فى النادر جداً ان يتوب هذا الراعى توبة حقيقية . اذ انه لكى يبغض الخطية . ينبغى له ان يعقلها جيداً . من اجل ان الارادة لا تسطيع ان تخطو خطوة واحدة بدون النور المقدم لها من الفهم * والحال ان الكاهن المتصف بسيرة دنسة . قد اضحى كالانسان المرذول . الذى تصلب قلبه تجاه لذع ضميره وتوبيخه . وفهمه قد تبرقع بثلثة انواع من الظلمات المهلكة . اعنى بها الظلام الباطن . والظلام الخارج . وظلاماً اخر مقصوداً مرغوباً منه . اى

من

بالسقوط عن درجته . خففوا يسيرًا هذا القانون فقالوا : لايسقط هذا الكاهن حالًا عن درجته اذا ما اعترف باختياره عن خطيته . وشرع يتحفظ منها . بل ينبغى له ان يستمر مواظبًا على ممارسة افعال التوبة القشفة مدة عشر سنين . صايمًا على الخبز والماء . لابسًا المسح . ملازمًا الاختلا . ملتمسًا الرحمة من الله تعالى نهارًا وليلًا * اما الكنيسة الشرقية فانها بقوانينها كانت تعامل بمثل هذه الصرامة كل انسانٍ عامى زانٍ . لانها كانت تلزمه بان يستمر ممارسًا افعال التوبة مدة ست سنين * واما من كان يسقط بالزنا مع امراةٍ . فكانت تلزمه بان يواظب على افعال التوبة مدة خمس عشرة سنة قبل ان يتناول القربان القدس *

❋ الفصل السادس عشر ❋

فى الادوية الواجب استعمالها من كاهنٍ قد * سقط فى خطية الزنا *

انى هنا لست بانسان يريد ان ينفى وجود القمر من السما . من جهة كونه ينخسف مرةً واحدةً فى كل مائة سنة . ولكن لو يستمر القمر منخسفًا . فمن هو الذى لم يكن يستصعب مشاهدته * فان كان يوجد ما بين كهنة الله شخصٌ معتادًا على الافعال المسماة من الرسول اعمال الظلام (روميه ١٣) فارغب اليه انا ان يلاحظ صورة

الاولى هكذا : انى قضيت عليه وسلمته للشيطان لهلاك الجسد (اصحاح ٥) * ثم هتف نحوهم فى الاصحاح السادس قايلًا : لاتضلوا فان الزناة لا يرثون ملكوت الله * وان قيل لماذا حكم الرسول بهذه الصرامة على رذيلة قد يتبين ان الضعف البشرى يخففها . فيورد سبب ذلك الرسول نفسه بقوله لهم : الا تعلمون ان اجسادكم اعضاء للمسيح * فكيف يرتضى المومن بهذه الحقيقة بان يجعل اعضاء السيد المسيح اعضاء لزانية : معاذ الله من ذلك (يقول المعلم المليكى فى تفسيره هذه الاية) ان هذا نفاقٌ مريع *

انه لقد يستطيع من تعرقل فى اشراك ابليس الدنس ان يعتذر قايلًا : انه لحمٌ . ولن شان اللحم ان يزجه فى الخطية الحمية * الا انى اقول : ان كانت حال هذا الكاهن هذه الحال . فقد صار بكليته لحميًا . فليخلع اذًا حلة الكهنوت . وليبتعد عن المذبح الالهى . لانه تعالى هكذا امر فى الناموس العتيق قايلًا : ايما رجل من نسل هارون فيه ادنى دنس فلا يقرب من مقدسى ليقدم خبز الهه (احبار ٢١) * وليعلم ايضًا الكاهن وليعتقد يقينًا . انه بعد ارتسامه كاهنًا لم يعُد لحمًا . بل انه منفصل من اللحم . وانه تعالى كما قال ابن سيراخ : اختاره وافرزه من كل لحمٍ (اصحاح ٤٥) * هذا ما ارتاه اباء المجمع الكانغزى . الذين لما لحظوا ان الرسل فى قوانينهم يحكمون على الكاهن الساقط فى خطية الزنا بالسقوط

بمفعولين عجيبين . احدهما يتم الان . والاخر سيتم فيما بعد * فنظرًا الى ما يفعله الان . فانه يخمد احتداد الشهوة الحمية . ويميت شر الملكات الردية . كما ان البلسم يخفف فى الاقاعى السم الذى هو قوتهم المالوف * اما ما يفعله فى المستقبل . فانه يمنحنا حقًا على القيامة المجيدة . حتى انه لو لم يكن الله تعالى قد رسم منذ الازل ان يحيى الانسان ثانيةً بجسده فى اليوم الاخير . لكان ينبغى ان يقوم من الموت ويحيى الى الابد كل من تناول هذا السر باستحقاق مرةً واحدة فقط * فهذه المقاصد الالهية العظيمة ومفعولات هذا السر العجيبة . ترينا عظم نفاق من يتناوله بقلبٍ دنس * انه لما خاطب الرسول المومنين بعد تناولهم سر المعمودية قال هكذا : فاما الزنا فلا يذكر بينكم كما يليق للاطهار (افسس ٥) * فان كان الرسول يعدُّ فعل الدنس امرًا قبيحًا فى المومن بعد تناوله سر المعمودية الذى به يتم سر التقديس بمادة الماء فقط . فكم بالحرى ينبغى لنا ان نستقبحه فى المومن بعد تناوله انسر الالهى الذى به يقدس الله اجسادنا باتحاد جسده بها * تامل ما قاله هذا الرسول عن فعلٍ قبيح كان صدر من واحدٍ من اهل قرنتيه : ليُنزع من بينكم من فعل هذا الفعل * ولم يكتفِ الرسول بان يسلم هذا الشخص بايدى انس يقاصّونه . حسبما يرون واجبًا . بل انه سلمه لساطانايل لكى يعذبه . لان هذا معنى قوله لاهل قرنتيه فى رسالته الاولى

يُحتقر تعليمه . فلا يفيده اذا ظنه بنفسه انه يحفظ فواحشه مخفية محجوبة عن نظر الوف الوف من الناس الذين يترقبونه . لانه امرٌ عسرٌ جدًا بل هو من المستحيل ان لايظهر حال من فى قلبه سمٌ نافعٌ *

اقول اخيرًا : ان حال الكاهن الدنس هى حال ذيب اضحى يرعى غنمًا . حال لصٍ قد تسلم زمام تدبير عيلة او مدينة . حال طبيبٍ يسقى سمًا كما قال ذلك المسجدى فمه * الا ان قبح حال هذا الكاهن نظرًا الى كونه راعى النفوس لاقل حقًا من قبح حاله نظرًا الى كونه انسانًا يقتات جسد ابن الله تعالى . ولكن من يقدر ان يشرح شناعة هذه الحال * انه قد كان ينبغى للكاهن لو يكون الامر مستطاعًا يستحيل من حال انسانٍ ارضى الى حال انسانٍ سماوى . متصفًا بسيرة تلاميم الطعام الالهى الذى يتناوله حسب كلامه العزيز : من ياكلنى فانه يحيى لاجلى (يوحنا ٦) * على انه من المحقق ان السيد المسيح عند رسمه هذا السر الاقدس قد قصد هذا الامر على الخصوص . وهو ان يتحد بنا على نوع الماكل لكى يكون جسده الطاهر بلسمًا لجسدنا الفاسد * وقد يسوغ لنا ان نقول عن سر الافخاريستيا ما قاله القديس اوغسطينوس عن التجسد الالهى وهو : ان الكلمة الازلى اتى الى اللحم واتحد به . لكى يبيد رذايل اللحم * ففى بقية الاسرار لا يقدّس الله غالبًا سوى النفس . اما بسر الافخاريستيا . فانه تعالى يقدس النفس والجسد معًا . وقد يتم هذا

بمفعولين

يديه * وبالنار حينما اهطل مطرًا ناريًا احرق به ابهى اراضى بلاد فلسطين * اما بعد بجسده الالهى . فلم يسمح رب المجد ان يُلام من احد اعدايه على هذه الرذيلة . ولم يسمح للشيطان بجربه بها . حتى انه جلت قدوسيته لم يرد ان ينطق باسمها اصلاً * لعمرى ان هذا دليلٌ على بغضٍ بليغ به يبغض انسانٌ عدوه كقول النبى : ولا اذكر اسماءهم بشفتى (مزمور ١٥) * فمن هذا قد اتضح ان الراعى المتدنس قلبه بهذه الرذيلة لا يعرف روح الرب الملتزم من قبل وظيفته التى هى وظيفة الوسيط . ان يتردد معه غالب الاوقات . بل انه هو احد اوليك الكهنة الذين قد قال الله عنهم انهم يجهلونه (ارميا ٩) * لانه لو يعرفه حقًا فكيف كان يتجاسر على ان يمتثل امام عزته بهذه الهيئة المستكرهة لكى يشفع بغيره *

ثم يتضح انه لا يعرف روح البشر . قل ما يكون روح الانام الحسن الصفات . الذين لايوجد تجاه عيونهم رذيلةٌ اكره واقبح من رذيلة الزنا . لاسيما اذا ما وُجدت فى رجل من ذوى المشورة والتدبير . حتى اننا نرى الشعوب الذين يحتملون اعظم اضطهادات مدبريهم نظرًا الى امواهم . فانهم يتعصبون عليهم اذا ما افسدوا نساءهم . او خافوا من ان يفسدوهنَّ * فهل يمكن اذًا لكاهن متدنس بهذه الرذيلة ان يثمر فى الشعب . والحال ان القديس غريغوريوس يهتف قايلًا : من تكن سيرته محتقرة

يحتقر

هذان الامران بعضهما بعضًا . اعنى بهما كون الانسان لحميًا شهوانيًا . وكونه كاهنًا يرعى النفوس *

فاعتبر اذًا ان الذى يصيّر الراعى الكنايسى محترمًا عند المليكة هو هذا . اى انه اولًا يقتنى كل يوم من الخروف الالهى على المذبح المقدس * ثانيًا انه يرعى الخراف المفتداة من هذا الخروف المسجود له بسفك دمه كله * فمن ذا يستطيع ان يورد بالكفاية كم مقدار ما يناقض فساد السيرة هاتين الصفتين العظيم شرفهما . فهلمّ اذًا ولاحظ جيدًا صفة انسانٍ يرعى النفوس *

اعلم ان الراعى هو وسيطٌ فيما بين الله تعالى وبين البشر لكى يصالحهم معه عز وجل بعد حدوث العداوة . او يحفظهم فى حال الصلح ان كانوا حاصلين عليه . والحال انه لكى يستطيع الوسيط ان يباشر وظيفته جيدًا . فينبغى له ان يكون مقبولًا من الطرفين * وبالنتيجة ان الرذايل التى تصيّر الراعى ممقوتًا عند الله تعالى والناس اكثر من غيرها . هى هى نفسها تضاد وظيفته اكثر مضادة . وهذا عينه تفعله رذيلة الزنا . لانها تجعل الراعى مبغوضًا عند الله والناس فى غاية البغضة *

انه لمن المحقق اولًا ان الله سبحانه يبغض هذه الرذيلة بغضًا بليغًا . لكونه تعالى لم ينتقم قبل تجسده من رذيلة ما انتقامًا اشد وارهب من ذلك الانتقام الذى به عذب اصحاب الدنس . اولًا بالمياه . وثانيًا بالنار * فبالمياه حينما اباد بالطوفان العرمرم . واهلك كل اعمال يديه .

امعن النظر الى ما نورده الان . وهو انه ولو افترضنا ما هو من الممتنع . اى انه لا يوجد فى رعيتك ولا فقيرٌ واحد . بل جميع الناس هم اوفر منك مالًا . فمع ذلك لايجوز لك ان تمنح اقرباك ما يتبقى لك من مدخولك . بل يلزمك ان تنفقه فى امور مقدسة . لان المال الكنايسى قد اُعطى لاجل قيام خدمة الله . وبالنتيجة ينبغى لك ان تصرفه فيما يخص هذه الخدمة * اعلم انك قهرمان للسيد المسيح . وهذا لقد يجوز لك ان تتخذ من مدخولك ما تحتاج اليه حسب كلام الرسول القايل : ما من احدٍ يحارب بنفقته (قرنتية اولى ٩) * الا انه يلزمك ان توزع ما يتبقى لك على المساكين اذا ما وُجدوا فى رعيتك . واذا لم يوجد فينبغى لك ان ترده له تعالى بتوزيعه فيما يخص الكنيسة . فتبتاع لخدمتها اوانى وبدلات وما شاكل ذلك . وهذا رغمًا وقهرًا عن البخل الذى يحثك على ان تستعمل اسلحتك ضدك وتهلك بها نفسك *

❁ الفصل الخامس عشر ❁

فى كم مقدار ما يجب على الراعى ان تكون سيرته نقيةً * برية من كل عيب الفساد *

انه لكى يتضح كم هو منظرٌ قبيح وجود كاهن متصف بسيرةٍ دنسة . فيكفينا ان نعتبر كم مقدار ما يضاد هذان

ملشيصاداق الذى قال عنه الرسول . انه كان كانسانٍ لا اب له ولا ام (عبرانية ٧) . وينبغى لحركات قلبه ان تكون كحركات النجوم المضادة حركات كرة العالم . اى التى تسير من المغرب الى المشرق . لا من المشرق الى المغرب . اعنى انه ينبغى للراعى الا يتبع راى العالم المالوف . بل يجب ان يكون سلوكه خلاف السلوك العالمى * فاذا احدقت به اقرباؤه واوردوا له ضرورتهم بالمبالغة . فليذكر وقتيذٍ ما نطق به موسى النبى عن اللاويين كهنة العهد العتيق قايلًا : الذى قال لابيه ولامه لا اعرفكما ولاخوته ليس لى علم بكم ولم يعرفوا بنيهم فهولاء هم الذين حفظوا ناموس الرب (تثنية الاشتراع ٣٣) * ليت شعرى ما الذى تطلبه منك اقرباؤك . سوى انك تفضلهم هم وبيوتهم على نفسك وكنيستك . اى ان تفضّل الزايل والارضى على ما هو باقٍ وسماوى . وتعتبر اجسادهم افضل من اعتبارك نفسك وخلاصها * اصغ لما تخاطبك به الكنيسة فى كتاب قوانينها قايلةً : انه لسخاء حميد ذاك الذى يصيّرك الا ترذل اقرباءك اذا ما عرفت انهم محتاجون * الا انه لا يجوز لك ان تزيدهم غنى بمنحك لهم ما قد كان يمكنك ان تعطيه للمساكين . لان الله تعالى لم ينتخبك كاهنًا ولم يقمك راعيًا لكى تغنى خاصتك . وان شكوا منك لاجل انك لا تغنيهم . فاعتقد انهم انما يريدون ان يعدموك اجر حيوة الابد *

تكون ضرورة هولاء اعظم على نوعٍ معتبر من ضرورة اقربايه *

وما عدا ذلك . اى وان كانت اقربا الراعى مساكين . الا انهم ليسوا وحدهم فى هذه الحال . فمن ثم لا يسوغ له ان يعطيهم الكل . بل يلزمه ان يوزع صدقاته توزيعًا ملايمًا . كما قيل فى كتاب قوانين الكنيسة . وذلك من اجل ان الراعى هو ابٌ لا لواحدٍ فقط بل لكثيرين *

واعتبر ايضًا ان قول المجمع الترينتى عن الراعى : ليعط اقرباه المساكين كما تُعطى المساكين . يشير الى هذا . وهو ان يعطى اقرباه المساكين ما يسعفهم فى ضروراتهم . كما يفعل مع بقية المساكين لا ما يجعلهم اغنيا . لكونه لا يفعل هذا ببقية المساكين * ولان هذه الشايبة تعترى كثيرين من الرعاة . فمن ثم قالت اباء المجمع المذكور هكذا : ان السينودس المقدس ينصح الرعاة بكلما يمكنه من الاجتهاد . ان ينزعوا عنهم بالكلية هذا الانعطاف البشرى اللحمى نحو اقربايهم الذى منه تصدر فى الكنيسة شرور كثيرة * اخبرنى ما هذا المثال الصالح . اى مثال رعاةٍ يغنون اقرباءهم : اليس ان الوثنيين يصنعون هكذا * ان القديس اغسطينوس الذى هو مثال الرعاة الحقيقيين . قد قال عن نفسه هكذا : انى بنعمة الله لم اغن واحدًا من اقربائى . وذلك من حيث انى احتسبت المساكين اعز لدىّ منهم * فليكن اذًا الراعى كاهنًا كحسب طقس

اللاهوتى : انه حقًا يسوغ للراعى ان يحسن الى اقربايه ان كانوا فقرا حقًا . بل يليق به ان يفضّلهم على غيرهم ايضًا * غير ان حاله هذه هى حال من تسير سفينته فيما بين الصخور . لان هذه التجربة هى احدى التجارب المخفية . فمن ثمه لايطلع عليها الراعى دايمًا . وهى نظير بعض السنابل التى تشبه الحنطة . ولكن لا تميز منها الا بالتغربل *

فيجب اذًا على الراعى ان يعتبر اولاً هذا الامر . وهو انه يوجد فى الرعية احيانًا كثيرة اناس حاصلين على ضرورة قصوى . او قريبة من الضرورة الكلية . وليس لهم ولا لبنيهم ما يحتاجونه لقيام حياتهم * والحال ان شرايع المحبة كلها تقتضى منا ان نفضّل هولاء على جميع من هم دونهم . حتى على الاقربا الحاصلين على الضرورة الاعتيادية فقط * وليعتبر ثانيًا هل ان اقرباه هم مساكين حقًا كما يتباينون له . على انه كما اذا ما هبَّ هواء شرقى فتستبين الاجرام وتتضح اكثر مما تستبين اذا هبَّت ريحٌ اخرى . هكذا قد يمكن ان روح محبة الاقربا تظهر للراعى ضرورتهم اكثر مما هى حقًا *

ثم بعد ذلك ليتامل الراعى تعليم المجمع التريدنتى القايل : ان كانت اقربا الاسقف مساكين حقًا . فليُعطَوا كما تعطى المساكين * وقد ينتج من هذا . انه وان كان جايزًا للراعى ان يفضّل اقرباه حينما تكون ضرورتهم كضرورة باقى المساكين . الا انه لا يجوز له ذلك حينما

المساكين فى ضرورتهم مما يفضل له . هذا ما نادى به القديس يعقوب الرسول قايلاً : ان من لايعمل الرحمة يدان خلوًا من رحمة (اصحاح ٢) . والحال ان هذه الوصية تلزم الرعاة باولى حجة نظرًا الى وظيفتهم ومدخولهم * قلت نظرًا الى وظيفتهم . لانه قد يستطيع الرجل العامى ان يتمم واجباته بالكفاية بمنحه الصدقة لمن يطلبها منه . اما الراعى فانه لا يلتزم بتقدمتها لمن يطلبها فقط . بل بالتفتيش ايضًا على من لا يطلبها لكى يدفعها له * وما عدا ذلك فانه يسهل على الراعى ان يجد عنده ما يتبقى له . ولا يحتاج اليه اكثر مما يتوفق ذلك للرجل العامى . من حيث انه اعنى الراعى منفصلٌ من العالم وغير ملتزم بالاعتنا فى بنيه واقربايه *

ثم قلت ايضًا نظرًا الى مدخولهم . لان كل ما للراعى من قبل مدخوله فهو للمساكين كما قيل فى كتاب قوانين الكنيسة . اعنى كلما يتبقى له من بعد اصراف ما تحتاج اليه ضرورة وظيفته ولياقتها * ليت شعرى ما اكثر ما يفيد هذا السخا لاجتذاب محبة الرعية نحو الراعى . لعمرى ان هذا لمن شانه ان يصير الشعب ان يقبل بالرضى نصايح راعيه وتوبيخاته *

غير ان كثيرين من الرعاة ممن لهم مدخول كنايسى . يظنون بانفسهم انهم قد اكملوا ما يلتزمون به من هذا القبيل اذا ما وهبوا من مدخولهم لاقربايهم المساكين * فعن هذا الامر اقول مع القديس توما

اللاهوتى

الزمنية المشوقة من العامة * قال سيدنا يسوع المسيح: اذا ما ارتفعت عن الارض جذبت اليَّ كل شيء (يوحنا ١٢) * وهذا نفسه يمكنه تعالى ان يقوله عن كل كاهن. اى انه لو يرتفع عن الارض. لو ينزع عن قلبه محبة الارضيات ويرتقى الى السماويات. لحصل حينئذٍ كلامه موثرًا فعّالاً. وجذب النفس وربحها لى * وبعكس ذلك اى ان استبان قلبه ملتصقًا بالارضيات. محبًا الخيرات السفلية وراغبها. فلا يفيد كلامه شيًا. حتى ولو فعل العجايب فلا يعتقد بها الشعب * ولهذا قال الرب لموسى: اطلب رجالاً اتقيا يخشون الله يحبون الحق ويبغضون البخل (خروج ١٨) * ولا ريب فى ان الشعب اذا راى الكهنة على هذه الحال. فانه يحتسبهم حينئذٍ رجالاً قد اختارهم الله لوظيفتهم. ولكن ان وجدهم بخلاف ذلك. فكيف يمكنه ان يعتبرهم * وقد قيل فى كتاب قوانين الكنيسة: ان عار الكاهن هو الاهتمام فى تكثير ماله *

انه اذ قد انتهى الكلام عن القضيه الثانية. فلنوضح ايضًا القضية الثالثة ونثبتها. اى نثبت ان البخل لا يسلب من الكاهن اسلحته. او يثلمها فقط. بل يستخدمها ضده ايضًا وبها يهلكهُ. وقولنا هذا انما يلاحظ الرعاة الذين يقتبلون بقوتًا من الشعب لاجل وظيفتهم * وقد يتفق هذا الذى ذكرناه حينما لا يوزع الراعى على المساكين جزءًا واجبًا منها. لانه يجب ان نعتبر ان وصية المحبة نحو القريب تلزم كل مومن بمساعدة

يقول عن خدام الكنيسة : ما من احد يتجند لله فيتقيَّد بامور العالم (تيموثاوس ثانية ٢) * فكيف اذاً يستطيعون ان يواظبوا على درس الكتب المقدسة . ويتمهروا فى معرفة ما يحتاجونه لتعليم النفوس وارشادها . كيف يمكنهم مع رغبتهم للمكاسب الدنيوية ان يهتموا فى تعليم الشعب . وافتقاد المرضى ومساعدة لفقرا * انه من شان الجنود المعتمين فى اخذ الغنيمة الا يبالوا من المحاربة . ولهذا لاتزال الكنيسة تهتف فى كتاب قوانينها قايلة : ان وجدت رجلاً اكليريكياً تاجرًا فاهرب منه كهربك من الطاعون : اى نعم انه لمن المحال ان يهتم فى خدمة البيعة كما يجب من يهتم فى خدمة التجارة . ولهذا يقول القديس غريغوريوس : انه لمن المتنع على من يجتهد فى الارباح العالمية ان يرغب ايضًا فى ان يربح النفوس * فعلى هذه السجية اذا يسلب البخل من الكاهن اسلحة دعوته المقدسة *

ولكن فلنفرض ان الكاهن مع هذه الرغبة المفرطة للارباح العالمية لا يهمل خدمة النفوس . بل يعلم الشعب ويفتقد المرضى ويباشر امورًا اخر مما تخص درجته ووظيفته . وبالنتيجة ان البخل لم يقدر ان يسلب منه الاسلحة * الا انى اقول انه قلما يكون يثلمها ويعكسها . لكون الذى يجعل كلام الكاهن موثرًا فى الشعب . انما هو حسن سمعته وصلاح سيرته * والحال ان حسن صيت الكاهن هو قايمٌ على الخصوص فى التجرد من محبة الارباح

الزمنيه

ليت شعرى هل يمكن وجود البخل الاول فى كاهن الله . هل يمكنه ان يستعمل حججًا زورًا او حيلاً متفننة ليستطيع بها ان يشرب دم الشعب . دم المساكين الذين يلتزم بان يسفك دمه من اجلهم . ان هذا امرٌ تنفر النفس المومنة عن ان تصدّق وجوده فى احد الكهنة * غير انى ارى امرًا اخر يُحتمل تصديق وجوده فيه . وهو رغبةٌ مفرطة . واجتهادٌ متزايد فى حفظ حقوقه وطلبها خلافًا للحق . وتخليصها خلوًا من شفقة * قال السيد المسيح : انظروا وتحفظوا من كل بخلٍ (لوقا ١٢) . وقد اشار تعالى بهذه الالفاظ . الى ان البخل هو كعدوٍ قوى ماكر . ومن ثم يحتاج الانسان الى شجاعةٍ وفطنة لكى ينتصر عليه . ولقد يستطيع هذا العدو ان يسبب للكاهن العديم الاحتراس ضررًا جسيمًا . وقل ما يكون على ثلثة انواع . لكونه يقدر ان يسلب منه اى من الكاهن كل اسلحته . وان افترضنا انه يتركها له . الا انه يثلم حدها ويضعفها * اخيرًا نقول لقد يستطيع هذا العدو ان يحارب الكاهن بهذه الاسلحة عينها ويهلكه : فلنعتبرنَّ الان كيف يتم الامر لكى نشعر بالخطر ونجتنبه *

فنقول عن القضية الاولى . اى عن سلب الاسلحة : انه قد يوجد كهنة منهمكين فى الامور العالمية . مجتهدين ومجدين فى الارباح الزمنية . فمثل هولاء هل يقدرون ان يقوموا واجبات وظيفتهم الاكليريكية . والحال ان الرسول يقول

لذاتك . وباستحقاق تلك الالام التى كابدتها . وبالجراحات التى قبلتها . والصليب الذى حملته لاجلى . فلا تسمح يارب بان اصنع مثل يوداس . اى ان اتناول سرك لاطى بغير استحقاق . وانى ارجو هذه النعمة من كرمك وجودك * والان اقر معترفًا انى ابغض خطيتى فوق كل شىء . من اجل انى بها افتريت على عزتك الغير المتناهية . ومن اجل انك تبغضها بغضًا غير متناه : وقد عزمت على الاعتراف عنها سريعًا . وعلى ان اقبل الموت الف مرة ولا اخطى اليك ابدًا *

لنعُد الى ما كنا فى صدده فنقول : انه حقًا يجوز لك ان تتقدم بطمانينة الى المذبح الالهى . وتقدس الاسرار الالهية . اذا ما وُجِدت الثلثة الشروط المقدم ايرادها . ولكن اذا نقص احدها . فلا يجوز لك اصلًا . بل ان تقديسك الاسرار الالهية يعود نفاقًا مريعًا *

❁ الفصل الرابع عشر ❁

فى كم يجب على الكاهن ان يتحفظ من روح * البخل ومحبة الفضة *

ان البخل يشبه حية ذات راسين . فباحد راسيها يمسك ما للغير . وبالاخر يتمسك بما لنفسه ويحفظه باشتداد مفرط * فالنوع الاول من البخل (كما قال القديس توما اللاهوتى) يضاد العدل . والاخر ينافض السخا *

ليت

المعينة لممارسة فعل هذه الندامة . منها عزة الله المفترى عليه . ودناءة الانسان المفترى . وفى اثنا ذلك اتلُ الصلوة الاتى ايرادها . او اخرى نظيرها *

❋ فعل الندامة الكاملة ❋

اليك لجاءتُ يايسوع سيدى ومخلصى . فانظر الىَّ بعين الرحمة . انظر الى انسان خاطى شقى حاصل على خطر عظيم . لانى من احدى الجهات التزم بان اتقدم اليكَ لتقديس اسرارك الالهيه . ومن الجهة الاخرى ارى نفسى فى حال الخطية التى صيرتنى عدوًا لك . فما الذى اصنعه . وماذا اقولهُ . كيف اتجاسر على ان المس جسدك النقى بايدى دنسة . واقتبل عزتك الالهية فى قلبى المفعم رجسًا * اما ينبغى لى ان اخاف من ان تنشق الارض تحت قدمى . او تنهض علىَّ مليكتك المحدقون بمذبحك الاقدس . فيطرحونى كلوسيفورس فى اسفل هوته جهنم * ليتنى ياسيدى استطيع الان ان استحم فى مياه سر الاعتراف . الا ان هذا الامر هو لدىَّ ضربٌ من المستحيل . ولم يبقَ لى الان سوى هذا الامر فقط . وهو ان اتواضع امام ربوبيتك . واطلب من رافتك ان تبيد منى هذه الخطيه المميتة التى ابغضها فى غاية البغض * انعم علىَّ يايسوع الصالح بندامة جزيلة وافرة كالبحر . لان نفسى مفتقرة الى مثل هذه الندامة . وذلك من اجل كثرة اثامها وعظمتها . وهذا انما اطلبه منك بحق محبتك لذاتك

الاسرار * فما الذى يجب عليك ان تفعله . فافعل ما يامر به الجمع التريدنتى المقدس قايلاً : من يعرف نفسه انها فى حال خطية مميتة . فلا يتجاسر على تناول سر الافخاريستيا الاقدس قبل الاعتراف السرى . ولو مهما تبين له انه نادم ندامة كاملة . الا انه اذا لم يمكنه ان يجد معلم اعتراف . والجاته الضرورة بالتقديس . فليعترف بعد ذلك سريعاً * فاذا نظراً الى هذا الحادث لابد من تلثة اشيا * اولها عدم وجود معلم اعتراف لا يمكنك ان تجده بدون سفرٍ مستطيل . او لاجل صعوبةٍ اخرى باهظة . وقد ينتج من هذا . ان من لاجد معلم اعترافه المالوف لكنه يجد اخر . فانه يلتزم بالاعتراف عنده قبل التقديس * الشى الثانى ضرورةٌ تلزم الكاهن بتقديس الاسرار . كما يتفق ذلك للخورى يوم احدٍ وعيد بطالة . حينما يلتزم الشعب بحضور القداس حسب وصية الكنيسة . او حينما يخاطر الانسان بتلاف صيته خطراً باهظاً اذا لم يقدس . لا حينما يرى انه يخسر غرشاً اذا كف عن التقديس * الشى الثالث . هو الندامة قبل التقديس . تلك التى بها يبغض الانسان خطيته فوق كل شىء لاجل هذا السبب فقط . وهو لانه ساء الى الله المستحق ان يُحب فوق كل شى * ولان ممارسة هذه الندامة هى مستصعبة على من هو معتادٌ على الخطية . فمن ثمه يجب عليه ان يطلب ذلك من الله سبحانه بتواضعٍ جزيل مدة قليلة من الزمن . مردداً فى عقله الحجج

المعينة

حالاً . قال لى سيدى : ان العدل الالهى يبقى تعذيبه الى الحيوة العتيدة من اجل انه لا يوجد على الارض عذاب كافٍ لتعذيب شر انسان يتناول السر الالهى فى حال خطية مميتة *

ناشدتك الله يامن هذه الحال حالهُ ان ترحم نفسك وان كنت لاتريد ان تتوب حبًا بالسيد المسيح . فتب قبل ما يكون خوفًا من هلاكك الابدى * ارث لغباوتك التى هى غباوة انسانٍ ماضٍ الى ينبوع الحيوة لكى يشرب سمًا مميتًا * هذا ما تفوه به القديس ايرونيموس *

فاعتبر اذًا ان الذبيحة المقدمة منك تجلب على هامتك عذابًا . من اجل ان الذى يُقدم استغفارًا عنك صيرته لك خطيّة * وانه كما ان الخمر بمفردها هى دواءٌ لمن شرب السموم . الا انها اذا امتزجت بالسم فتعود سمًا لا دواء له: هكذا دم سيدنا يسوع المسيح الزكى . الذى من تلقا ذاته هو دواءٌ شافٍ لسم الخطية فانه يعود اعظم السموم المميتة اذا ما تناولهُ الانسان فى حال الخطية المميتة *

فيجب عليك اذًا قبل تناول كاس الرب ان تستفرغ خطاياك . وذلك بواسطة الاعتراف . متذكرًا ما تهدد به الله تعالى كهنة العهد القديم قايلاً : ايما رجلٍ منكم اقترب الى قربانٍ يقربه للرب وفيه ادنى نجاسةٍ فلتبد تلك النفس من بين يدى الرب (لاويين ٢٢) *

واذا اتفق لك وانت فى هذه الحال حال الخطية المميتة . ان لا تجد كاهنًا يقبل اعترافك . مع انك ملتزم بان تقدس

فانه ياكل ويشرب دينونة لنفسه (قرنتيه اولى ١٠ و ١١) *

فكيف اذًا بعد استماع هذا البوق الرسولى يتجاسر الكاهن الشرير على ان يجلس على مايدة الرب ويتناول بفم نجس جسد ابن الله ودمه الاقدسين * فمن هذا قال الانبًا فيكينوس هكذا : كما انه بعد الله لايوجد شى احسن من ملكٍ صالح . ولا شى اشر من ملكٍ طالح . هكذا لا يوجد على الارض شى ابهى من كاهنٍ تقى مهذب . ولا شى اشنع واقبح من كاهن دنس * لقد ذكر فى اخبار مطبوعة فى مدينة روميه . انه فى ايامنا هذه شرف الله تعالى نفسًا عابدة برويا . بها اظهر لها جسامة نفاق كاهن يقدس فى حال خطيةٍ مميتة * وقد اوردت الامر قايلةً هكذا : انى لا اعلم ان كان يمكن ان لوسيفورس يكون اقبح حالاً من حال هذا الكاهن الشقى . لانه فيما كان يقدس الاسرار قال لى عنه رب المجد . ان الذى يفعله بي هذا الرجل المنافق . لاصعب لدىّ عما اصابنى من العار والاوجاع حينما قدمت نفسى للموت . لانى فى ذلك الحين كنت اربح نفوسًا . اما الان فانى اخسرها . وقد ازداد المنظر رهبةً حينما تناول ذاك الكاهن السر الالهى . لانه وقتيذٍ ارتجفت كل الملايكة الحاضرين . ونبحت الشياطين نبحًا هذا عظم شدته . حتى اننى ظننت ان الارض كلها تزلزلت ومال العالم كله الى الخراب . ولكونى تعجبت من ان الله سبحانه لم ينتقم من هذا الكاهن حالاً

يهودا من الصدقات المقدمة لجماعة الرسل * فقد صح اذًا وتحقق ان ذاك الكاهن هو لصٌ اكثر شرًا وقحةً من يهودا نفسه * انه لما تامل هذا الامر القديس اكليمنضوس الاسكندرى هتف قايلًا : يالهُ من نفاق رجلٍ مختلس العيًا *

ومن اجل هذا السبب عينه يثبت على الكاهن المذكور انه اشر من يوداس فى خطية القتل * لان الرسول بقوله عمن يتناول القربان المقدس فى حال خطيةٍ مميتة انه يذنب الى جسد الرب ودمه (قرنتيه اولى ١١). انما يشير كما قال القديس توما اللاهوتى . الى ان خطيته توازى خطية الذين صلبوا ابن الله * الا انه فى خطية من يقدس ويتناول السر الالهى فى حال خطية مميتة . يوجد شى يجعل اثمه اعظم من اثم الذين صلبوا السيد المسيح . لانه تعالى فى ذلك الحين قد كان يستطيع ان يتعزى اولًا بذكر الثمرة الالهية الناجمة من صلبهِ . اعنى بها خلاص العالم الناتج من موتهِ * ثانيًا بذكر المجد العتيد ان يتخذه ابوه الازلى من صلبهِ * اما الموت المسبب له من ذاك الكاهن الشقى على المذبح بقساوةٍ بربرية . فما هى الثمرة التى يجتنيها منه غير هذه الثمرة المرة . تلك التى سيستخدمها العدل الالهى حينما يقاصص فى حينهِ هذا الاثم المريع نفاقهُ * ها هوذا الرسول يهتف قايلًا : لايجوز لكم ان تشربوا كاس الرب وكاس الشياطين . من ياكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس بغير استحقاقٍ فانه

عن مثل هذا . انه هو يوداس جديد . وربما اشر منه * لانه قد قيل فى الانجيل المقدس عن هذا التلميذ المنكود حظه انه كان اولاً لصًا (يوحنا ١٢) * ثانيًا انه كان رجلًا قاتولًا بتسليمه دمًا زكيًا (متى ٢٧) * والحال ان الكاهن المقدس الاسرار الالهية فى حال خطية مميتة . يخطى بحسب هذين النوعين خطاءً اشد جرمًا جدًا من خطية يوداس *

لانه اولاً نظرًا الى السرقة نقول : من اين لهذا الكاهن ان يختلس هذا الجسد البتولى جسد سيدنا يسوع المسيح الافضل نقاوةً من كل الارواح السموية . ويخصه لذاته رغمًا عن الروح القدس الذى جبل هذا الجسد بمحبة غير مدركة فى مستودع مريم البكر . راغبًا ان يكون الهً لتقديسنا * لعله تعالى يرتضى بان يُدفع لايدى نجسة * ام لعل الاب الازلى يرتضى بهذا . ذاك الذى رام ان تكون العذرا امًا لابنه الغير المخلوق . لكى يشركنا بواسطة هذا الجسد المسجود له فى البنوة الالهية * ام هل يرتضى بذلك الكلمة الازلى الذى سلم ناسوته الاقدس لايدى الخطاة . لكى يميت الخطية لا لكى يزيدها ويكثرها * فينتج اذًا ان ذاك الكاهن الشرير بتناوله السر الالهى يختلس هذا الجسد الزكى . ومعه يختلس كل بهاء ملكوت السما وخيرها * وذلك رغمًا عن الثالوث الاقدس الذى له وحده السلطان على هذا الجسد . والتصرف به . لكون مادة هذه السرقة هى اعظم جدًا جدًا من مادة ما اختلسه يهودا

استعدت (اصحاح ١٩) ثم ان الذين لا يحسنون الاستعداد لتقديس الاسرار الالهية لم عادتهم ايضًا ان يقصّروا فى تقدمة الشكر الواجب عليهم بعد القداس * فتراهم بعد انحدارهم من المذبح الالهى يبتدئون حالاً ان يتكلموا عن اشيا عالمية . متغاضين بالكلية عن الاحسان العظيم الذى حظوا به * فليس اذًا بعجب اذا كان مثل هولاء لايستفيدون من السر الالهى * فعليك اذًا ايها الكاهن التقى بان تختلى باطنًا بعد القداس . ساجدًا امام العزة الالهية تجاه الشمس الازلية * لانه بلا شك ان فعلت هكذا فان قلبك المستحوذ عليه برد العبادة يضطرم رويدًا رويدًا . وبمثال عبادتك تحث الشعب على احترام الاسرار الالهية *

❁ الفصل الثالث عشر ❁

فى عظم تفاقم نفاق من يقدس الاسرار * الالهية فى حال خطية مميتة *

انه لما فحص واضعوا الشرايع البشرية عن خطية انسان قتل والده لم يعينوا عليه عذابًا . لانهم لم يجدوا عذابًا موازيًا عظمة هذا الاثم * فماذا يكون اذًا العذاب الموازى خطية كاهن منافق يتجاسر على ان يلمس بايدى متدنسة الحروف النقى . مفتريًا عليه تعالى ومهينًا اياه فى قنومه الالهى . صالبًا ابن الله جديدًا فى نفسه حسب تعليم الرسول (عبرانية ٦) * فلقد يسوغ لنا ان نقول عن

هولاء كلهم واكثرهم قبل ارتسامهم يحسنون الاستعداد الى تناول السر الالهى . فلمَ لا يفعلون الان كذلك وافضل منه بعد ان اقيموا لتقديس الاسرار الرهيبة . واُحصوا فيما بين السارافيم . ويمتثلون معهم تجاه عزة من قد قال عنه المرتل : انه هو مرهوب على جميع الذين حوله (مزمور ٨٨) *

ان الكتاب المقدس يريدنا ان نعدَّ نفوسنا قبل الصلوة . ومن لايحسن هذا الاستعداد يدعى فى السفر الالهى انسانًا يجرّب الله (ابن سيراخ ١٨) * فكم بالحرى اذاً يخطى الكاهن الذى يتقدم بغير استعداد واجب الى مذبح الله لاجل تقديس الاسرار الالهية * انه لا يكفى للكاهن ان يكون حاصلًا على حال النعمة . لان هذا هو الاستعداد البعيد الذى ينبغى ان يقترن به الاستعداد القريب المتوقف على ممارسة افعال الايمان والرجا والمحبة والخشوع والندامة * وقد نرى المراة المعتادة على لبس ثياب تلاليم شرف اصلها . فانها اذا ما دُعيت الى عرس شريف . فتزيد على ذلك كلما يمكنها من الجواهر لتحسين حالها * هكذا تفعل النفس التى تلاحظ الاسرار الالهية بعين ايمانٍ حى . اى انها لا تكتفى باستعدادٍ ما اعتيادى حينما تُدعى الى عرس الختن الالهى . بل تتزين باكثر مما يمكنها من افعال العبادة لكى تحصل اكثر قبولاً لديه تعالى . حسبما قيل فى سفر الرويا : عرس الخروف قد قرب وعروسه قد استعدت

الكاهن الواحد يقدس على المنوال المتقدم ذكره . اعنى بسرعةٍ وتلهوج خلوًا من احتشامٍ واحترام . اما كنا نحتسبه عدو الجنس البشرى * فاصعد اذًا ايها الكاهن النقى الى المذبح الاطهى . محتسبًا ذاتك كانك الكاهن الوحيد المنتخب من البيعة لتقدمة الذبيحة الالهية . نيابةً عن العالم كله *

اما الذنب الاخر الذى يشبه العكس المذكور . فهو تقديس الكاهن الاسرار الاطهية من جرى هذا الامر . اى من اجل ان العادة تقتضى منه ان يقدس . ومن ثم لا يعد نفسه لتقديس الاسرار . وبعد تقدمته وتناوله اياها لا يقدم لله تعالى الشكر الواجب لحضرته الالهية * فكانه لايقدس الا لاجل اكتساب ما يقدم له من الشعب لاجل تقديس الاسرار * انه لقد لحظ المعلمون الطبيعيون ان الانسان عند مولده يكون من وسطه الى فوق اعظم مما يكون من الوسط الى تحت . الا بتمادى الزمن ينقص الجزء الفوقانى ويكبر الجزء التحتانى * فعلى هذا المنوال يُرى اكثر الاكليريكيين يقدسون بعبادةٍ زايدة فى ابتداء ارتسامهم . الا انه بتمادى الزمن تصيرهم العادة ان يتقدموا الى المذبح الالهى خلوًا من استعدادٍ بالكلية . كانهم ذاهبون الى مايدةٍ مالوفة وعشاء اعتيادى * ولهذا لا يبان فى سيرة كهنة كثيرين اصطلاحٌ ما * نعم يقتاتون من طعام المليكة . الا انهم لايستفيدون منه : يدوسون الزيتون ولا يُدهنون بالزيت (ميخا ٦) * انه قد كان هولاء

فالاطالة الباطنة . هى التى لابدَ منها للكاهن لكى يلفظ جيدًا . ويصلى مصغيًا . ويباشر بلياقةٍ واجبة ما رسمته الكنيسة من طقوس خدمة القداس *

اما اطالة القداس الخارجة فهى تلك التى يزيدها الكاهن على الاطالة الاولى كحسب روح عبادته * فنظرًا الى هذه الاطالة ينبغى للكاهن ان يحترس بمقدارِ ما يمكنه ويجب عليه . وذلك حذرًا من ان يضجر الشعب * اما الاطالة الاولى فمن يهملها يخطى لامحالة ولين ضجر الشعب من ذلك . لانه باطلًا وضد الصواب يضجر * ليت شعرى من ذا يرى لايقًا ان واحدًا يعيى عشاءً للملك بسرعةٍ مفرطة . من اجل ان حواشيه تضجر من الاطالة * لعمرى انه سيتعذب كثيرون من الكهنة بعذابٍ شديد فى المحكمة الالهية لاجل تقديسهم الاسرار بسرعةٍ وعدم احترام * قال ارميا النبى : ملعون الانسان الذى يعمل عمل الرب بتوان (ارميا ٤٨ع) * انه لويكون فى العالم كلهِ كاهن واحد قد اقيم من الكنيسة لكى يقدس كل يوم . من اجل هذه الاربع الغايات التى قد ارتسمت من اجلها هذه الذبيحة الشريفة * فالغاية الاولى لكى يكرم الله تعالى بهذه الذبيحة نيابة عن جميع المومنين * الثانية لكى يشكره سبحانه على حسناته اليهم التى لا يدرك عددها * الثالثة لكى يسكن غضبه عز وجل عليهم لاجل خطاياهم * الرابعة لكى يستمح لهم من لدنه انعامًا وبركاتٍ وافرة * وكان هذا الكاهن

ذهب حالا وجثا عند قدمى الانبا المذكور ناصحه . ومن ذاك الحين فصاعدًا اخضع نفسه لارشاده * فهذا هو السبب الذى من اجله يهان ابن الله فى القداس . وهو ان الكاهن لا يفتكر ولا يفهم من هو الذى بين يديه * لعمرى انه لو يسالنى احدٌ عند ملاحظتهِ كاهنًا يقدس بسرعةٍ وبدون الوقار الواجب . قايلًا لى مع ترتوليانوس : هل هذا يقدس ام يهزأ بالقداس . لكان صعب علىَّ رد الجواب *

فلا يفيدك للاعتذار عن نفسك وتبريرها قولك : ان العوام تضجر من اطالة القداس . لان مثل هذا الضجر قد وبخ عليه القديس اغسطينوس عوام دهرهِ حينما كان القداس اطول جدًا مما هو الان فى دهرنا بقولهِ لهم هكذا : ان هذا الضجر يضاد الصواب . وهو ضربٌ من عدم العبادة * وقولى يضاد الصواب . لانه وان كان لا يسوغ للكاهن لاجل عبادتهِ ان يطيل القداس بالافراط الذى من شانهِ ان يضجر الحاضرين اكثر مما يحركهم الى العبادة * وانه من اجل هذا السبب عينه اقتصر القديس غريغوريوس القداس القديم بحذفه منه تلاوة مزامير كثيرة لم يبقَ منها فى قداس دهرنا سوى اينتها الاولى * الا انه لا ينبغى للشعب ان يطلب من الكاهن ان يتلو بسرعة مفرطة الصلوات المرسومة لتقديس هذه الاسرار *

انه لقد يمكن ان نلاحظ فى القداس الالهى نوعين من الاطالة . اعنى بهما اطالة باطنة واطالة خارجة * فالاطالة

يمكن ان يزلّ الكاهن على ثلثة انواع . ويخالف لا وصية المجمع المذكورة فقط . بل ما يقتضيه هذا العمل الاطى ايضًا . وذلك اذا قدس بسرعة . او على سبيل العادة . او فى حال الخطية * فهذا هو الذى يجب على الكاهن ان يتحرز منه * لانه كيف يحترم الشعب هذه الاسرار الرهيبة ويوقرها اذا ما شاهدوك تقدسها بغير احترام وعبادة * قال المجمع المذكور: انه ينتزع كل نظام عيلة الرب ان كان لا يوجد بالراس ما ينبغى ان يكون فى بقية الجسد *

فلنتكلمن اولًا عن العادة الردية الجارية فيما بين كثيرين من الكهنة . اوليك الذين فى تقديس الاسرار يصرفون ما يمكنهم من قلة الزمن * خبرونا عن الانبا افيلا انه حضر يومًا قداس كاهن ما كان يباشر هذه الوظيفة الملكية بسرعة وتلهوج انسان مستصعب طولة العمل * فلما لم يطق الانبا هذا الافتراء على العزة الالهية . نهض بقلب متقد بنار غيرته لمجد الله . ودنا باحترام عظيم من المذبح . وشرع يساوى شمعة موقودة كانت منحنية واجلسها مستقيمًا * وفى حين عمله هذا التفت الى الكاهن الماسك الجوهرة الالهية بغير احترام وخاطبه بصوت هادى خارج من قلب ملتهب قائلًا له : عاملة يا اخى باكرام جزيل لانه حقًا ابنٌ لاب وام يستحقان الاحترام الكلى * فهذه النصيحة اللطيفة اثرت فى قلب ذاك الكاهن بهذا المقدار . حتى انه بعد فروغه من القداس ذهب

مخاطبًا انسانًا كاهنًا : ان اردت ان تكون فى السما عظيمًا . فتقدم الشعب بمثالك . وما تورده لهم بالتعليم فاسبق وتممه بالفعل *

❁ الفصل الثانى عشر ❁

فى انه يجب على الكاهن ان يقدس الاسرار الالهية * باحترام جزيل باطنًا وظاهرًا *

انه حسنًا قد دعا المجمع التريدنتى القداس الالهى ذبيحة رهيبة ذبيحة حمل الله . اذ انه اعنى القداس هو بكليته الهى . وذلك نظرًا الى مصدره . وواسطته . وغايته * لكون مصدره هو الله عينه . من حيث انه تعالى لاغير يستطيع بقدرته الضابطة الكل ان يحيل الخبز والخمر الى جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الاقدسين * وهو الهى ايضًا نظرًا الى واسطته . من اجل انه وحده عز وجل قد استطاع بتجسده ان يوجد ذبيحة توازى العزة الالهية . ذبيحة تُقدَّم وفاء عما افترى على الله بالخطية * اخيرًا نقول ان غاية القداس هى الهية . حيث انه لا يجوز ان تُقدَّم ذبيحة سوى لله تعالى فقط * ولهذا توجّه الكنيسة كل طقوسها الى القداس الالهى كانه مركز الديانة الحقيقية . حسبما قال القديس توما اللاهوتى * ولهذا نرى المجمع التريدنتى المقدس يامر الكاهن بان يبذل جهده كله فى ان يقدس بكلما يمكنه من الطهارة الباطنة . والعبادة الخارجة * والحال انه فى هذا الامر اى فى تقديس الاسرار قد يمكن

والضوضا وما شاكل ذلك * ثانياً بحثك اياهم على ممارسة رياضات العبادة المختصة بالكنيسة . لانه فى هذا قايمٌ الاكرام الايجادى * الا انه كيف يمكنك ان تبلغ المقصود الاول ان راك الشعب داخلاً الكنيسة وسايرًا فيها كدخولك منزلك . وسيرك فى الازقة . او سمعوك متكلمًا فى مدخل السما اى الكنيسة كتاجرٍ يتكلم فى الشوارع . او مباشرًا وظيفتك المقدسة بحركات جسد لا يهدا . ملتفتًا يمينًا وشمالاً بالحاظ غير مرتبة . مخاطبًا الله تعالى تارةً واخرى الناس الذين حولك * اهذا مثالٌ يجب على شعب المومنين ان يقتدوا به *

ومن جهة الامر الاخر المقدم ذكره نقول : كيف يستطيع الشعب ان يتعلم منك حسن تلاوة الصلوة ان كنت انت تتلوها امامه وفى المقدس الالهى بسرعة لاتدعك ان تفهم معنى ما تتلوه . ومن ثم لاتدع الشعب ايضًا ان يفهمها * وكيف يحرّضهم مثالك هذا على تلاوتها بعبادة * وان كنت عند قبولك اعترافاتهم تجلس بهيئة انسانٍ قد تهيا بالخصوص للحديث ماسكًا بيدك مروحة . ومحركًا اياها ولاعبًا فيها * فكيف يتعلم الشعب منك كيفية الاحترام والتهيب الملتزم بتقدمته الى هذا السر العظيم * وكيف يتعلمون منك الاحتشام والتهيب البليغ الواجب عليهم فى حين تناول سر الافخاريستيا . ان كنت انت عند مناولتك اياه توجه لحاظك تارةً الى هذا وتارةً الى ذاك * قال القديس بطرس داميانوس مخاطبًا

فصيّرها ان ترجع رويدًا رويدًا الى الحدود الواجبة . وذلك كما يامر كتاب القوانين الكنايسية اى بواسطة النصايح والحث على ذلك لا بالانتهار والتوعد * واذا ما طلب احدٌ منك اذنًا للشغل فى تلك الايام ولم يتبين لك الاحتياج الى ذلك بيانًا واضحًا . فافعل ما تشير اليك الفطنة . ودع قلبك يميل الى السهولة والشفقة اكثر مما يميل الى الصرامة والاشتداد * وانه ليجب عليك ان تكرر على الشعب مراتٍ كثيرة هذا التعليم . اى كم هو من الصواب بل من الواجب الا يختلسوا من الله تعالى الايام القليلة التى خصصها لخدمته عز وجل . ان ارادوا منه تعالى ان يبارك على اتعابهم واشغالهم فى بقية الايام الكثيرة العدد * غير انه كيف يمكنك ان تنادى عليهم بهذا التعليم . ان اذنت لهم ان يشتغلوا فى ايام البطالة . محتجًا بان ذاك الشغل يخص الكنيسة . مع ان هذه الحجة ليست بكافية * فاعلم اذًا انه يلزمك ان تحفظ بالتدقيق السُنَّة التى يجب عليك ان تلزم رعيتك بحفظها . مقتديًا بداود قايد الشعب الاسرايلى . ذاك الذى لما اراد ان يقوّى عسكره على احتمال العطش . ابى هو عن شرب الماء المقدم له لاطفاء عطشه المذيب * ومن جهة ما يخص الكنيسة . فانه لمن المحقق انك لملتزمٌ بان تعتنى فى ان الشعب يحترم الله تعالى احترامًا بليغًا . كما ان الملك يجب ان يُكرَّم فى بلاطه اكرامًا خصوصيًا * وذلك اولًا بمنعك اياهم عن الخطاب والضحك والضوضا

حصولك على ذلك . تستطيع ان ترسم هذا الاعتبار والاستعظام فى عقول الشعب *

ومن جهة الخارج فاعتبر انه وان كان الله تقدس اسمه هو رب الكل . والمولى المطلق على كل شئ . الا انه تعالى قد عين بعض اشيا واراد ان تكون مختصة له وحده * فاولاً نظرًا الى كونه ازليًا وسرمديًا فانه هو رب كل الازمنة . ومع هذا فقد سلم للانسان من الزمان مقدارًا عظيمًا لكى يشتغل به . ولم يبقِ لذاتهِ سوى ايام الاحاد والاعياد * ثانيًا نظرًا الى كونه غير ممسوح فانه هو رب جميع الاماكن . ومع ذلك فقد سلمها للانسان ليستوطنها . ولم يختص لنفسه شيًا منها سوى الهياكل المقدسة * ثالثًا نظرًا الى كونهِ خالقًا فانه سبحانه هو رب جميع الناس . وكل ارزاقهم له ومع هذا فاننا اذا ما لحظنا اولًا الاشخاص . فنراه تعالى لا يبقى لذاته غير الذين خصصهم لخدمته بالارتسام الكنايسى . او بالنذر الرهبانى * واذا ما لحظنا ارزاق الناس . فنراه عز وجل لا يستثنى منها شيًا سوى قليل من المدخول . والقرابين التى تُقدَّم اختياريًا من المومنين * والحال انه لكى يحفظ الراعى هذه الحقوق الالهية . فيجب عليه ان يتقدم الشعب بمثاله *

ومن ثم نظرًا الى ايام الاحاد والاعياد ان وجدت رعيتك راغبةً حفظها . فاحذر من ان تضعف رغبتها بتخيلات غير واجبة * وان وجدتها متراخية فى حفظ هذه الايام .

فاعتبر ان فضيلة التقوى نحو الله سبحانه هى نوعٌ ما من العدل * لاننا بهذه الفضيلة نحفظ حقوقهُ تعالى ونتممها . لا كحسب ما يستحق جلالهُ . لان هذا يفوق طاقتنا . بل كحسب ما يمكننا . وذلك بممارسة الافعال التى نظهر بها عظم سمو عزتهِ الغير المتناهية وجزيل خضوعنا وتعبدنا له * والحال ان هذه الافعال نوعان (حسب تعليم القديس توما اللاهوتى . الذى منه نتخذ ما سنورده فى هذا الفصل) بعضها باطنة . وبعضها خارجة * فالافعال الباطنة هى الصلوات والابتهالات وعواطف مختلفة من العبادة * اما الافعال الخارجة . فهى احنا الركب بالسجود . وتلاوة المزامير والتسابيح . وتقدمة الذبيحة الالهية وغيرها من القرابين . وافعال اخر غير هذه نظيرها تلك المولف منها طقس الكنيسة المقدسة * ونظرًا الى هذه الافعال كلها ينبغى للكاهن ان يتقدم الشعب بمثاله الصالح . لكى تتبعه خرافه حسب كلام السيد المسيح القايل عن الراعى الصالح : انه يمشى امام الخراف والخراف تتبعه (يوحنا ١٠) ولهذا يجب عليك ان تتلو الكتب المقدسة بتواتر . متاملاً ما تتلوه لكى تحصل نفسك على استعظام عظيم نظرًا الى ما يخص العزة الالهية . وجلال قداسة سيدنا يسوع المسيح . وجزيل ثمن استحقاقاته . وعظمة مراحمه . وقداسة والدتهِ المجيدة . وفضايلها الفايقة . وجزيل احتياجنا الى شفاعاتها وشفاعات القديسين * وبعد

ببرهة من الزمن التحفوا بالنار . ولم يجدوا وقتًا للندامة على جهلهم وعدم ايمانهم (تكوين ١٩) * فاستيقظوا اذًا ايها الكهنة الاردیا من سباتكم المهلك . اسبقوا الانتقام الالهى . واذ قد شككتم كثيرين بمثالكم الردى فعمروا ايضًا كثيرين بمثال سيرةٍ تليق براعى النفوس * جددوا بنيان الهيكل الذى هدمتموه * ومنذ الان فصاعدًا باشروا وظيفتكم بالقداسة الواجبة * اسالوا السيد المسيح ان يصلح فى كرمه ما قد اتلفتموه * وبعد الاعتراف العام عن ذنوبكم مارسوا رياضات الندامة فى الاختلاة ما من الزمان . وهكذا تنجون من الانتقام الذى يتوعدكم الله به على لسان الحكيم قايلاً : من يضل النفوس النقية ويدخلها فى طريق الرذيلة يهلك عند موته (امثال ٢٨) *

❁ الفصل الحادى عشر ❁

فيما يجب على الراعى ان يفعله لكى يكون * للشعب مثالاً صالحًا *

انه لكى يكون الراعى مثال الافعال الصالحة لرعيته . ينبغى له حسبما قال القديس توما اللاهوتى . ان يلاحظ ثلثة اشيا . اعنى ما يخص الله تعالى . والقريب . ونفسه . اى نفس الراعى * فلنتكلمنَّ اولًا عما يخص الله سبحانه . لانه عز وجل يخاطب كل راعٍ بما خاطب به موسى الكليم قايلاً : اما انت ستعتنى فيما يخصنى (خروج ٤) *

فاعتبر

ودخل رهبنة القديس برنردوس حين قضى حياته بتوبة فشفة متصلة *

نعم ان الله تعالى لا يسمح الان بان تطّلع الناس على نفاق جميع الكهنة الذين بدلاً من انهم يحفظون خراف السيد المسيح من الذياب . يصيرون هم ذيابًا لها ويهلكونها * فلينصت مثل هولاء الى ما ينتهر كلٌّ منهم حزقيال النبى قايلًا : اما انت ايها الشقى والمنافق قايد اسرايل لقد اتى اليوم المرسوم لاظهار ما قُضى عليك لاجل اثمك . هكذا يقول رب الارباب الرب الاله : انزع التاج اخلع الاكليل (احاح ٢١) * فكانه تعالى يقول له : انزع عنك تاج كهنوتك اترك شرف وظيفتك التى اهنتها . انزع اكليلك ودع اخر يباشر وظيفتك الرياسية ويدبر زمام الرعية المسيحية * وقال السيد المسيح: الويل للانسان الذى منه ياتى الشك (متى ١٨) * فان كان ربنا جلت اسماؤه يعطى الويل للانسان البسيط من اجل الشك الصادر منه * ليت شعرى كم يستحق هذا الويل وهذه اللعنة راعى النفوس الردى السيرة . حين انه كما حُرر فى كتاب قوانين الكنيسة : يستحق من الميتات ما يوازى عدد الناس الذين هلكوا من جرى مثاله الردى * فالويل اذًا لمن ياتى منه الشك . والوف الوف من الويل للراعى الذى ياتى منه الشك *

انه لما شرع لوط يخبّر اهل منزله باقتراب النار العتيدة ان تدمّر المدينة . احتسبوا كلامهُ كاهزء . الا انه بعد ذلك

القضاء عليكم فانكم صرتم فخًا وشكًا ملعونًا على ثابور (هوشع ٥) * فكانه تعالى يقول: انكم لم تكتفوا بان تبسطوا فخاخ حيل شهواتكم على الارض . اعنى على انـاس يحبون مثلكم اللذات الدنسة . بل انكم تبسطون شباكـكم لطيور السما اى لنفوس نقية . عايشة عيشةً سمويـة . وتفعلون هذا على جبل ثابور الجبل المقدس . اى مـع كونكم مرتقين الى درجة الكهنوت المقدسة . فبدلاً من انكم تلاحظون من على قمة هذا الجبل السامى الاخطار المحيطة بالشعب . وتعتنون فى نجاتهم منها . لقد استخدمتم شرف الكهنوت كواسطة لفعل الخطية . انتهى كـلام القديس * ها هوذا ذاك الكاهن الذى لم يفتح فاه قط فى تعليم الشعب . له لسانٌ كالحية يجتذب بـه النفوس السادجة الى شرب كاس بابل كاس النجاسة . موردًا لها ان هذه الخطية ليست هى شيًا اخر غير نقيصة طبيعيـة او هفوة خفيفة غير معتبرة . وان سر الاعتراف قد ارتسم لتطهير الانسان من مثل هذه الخطية الضرورية : اسمعوا يايها الكهنة لان القضاء سيلاحظكم *

خبرنا توما الكانتبرى عن كاهن ما ردى السيرة . انـه ظهر له القديس بطرس الرسول بوجهٍ غضوب . وقدم له كتابًا قايلاً له: اقرا اقرا ما سُطر هنا . ففتح الكاهن الكتاب فوجد محررًا فيه هذه الكلمات : مـتى ترد النفـوس الـتى بمثال سيرتك النجسة القيتها فى النار الموبـدة * فارتجـف الكاهن فرقًا ومن ساعته بايـن وظيفتـه والعالم ايضـًا . ودخل

عنها الاستحيا المتعلق بها ايضًا * ولهذا قد قيل فى كتاب القوانين البيعية هكذا : ان خطيه الشك تزداد جرمًا وكبرًا جدًا ان كان الرجل المشكك معتبرًا لاجل شرف درجته * وقال السيد المسيح يومًا للقديسة برجيتا : ان الخاطى اذا ما راى مثالاً رديًا فى كاهنٍ . يخطى حينيذٍ بطمانينة بل يبتدى ان يفتخر بما كان يستحى منه قبلاً *

ولكن ربما لا يوجد مثل هولاء الرعاة الاشقيا فى كنيسة الله . وياليت هذا الامر يكون هكذا * غير انه تعالى قد قال على لسان ارميا النبى : قطيعًا ضالاً صار شعبى لكون رعاتهم اضلوهم (ارميا ٥٠) * فمن ثم لنفترضنَّ بوجود راعٍ يبتدى ان يطيل المخاطبة مع امراة فى الانفراد . ثم يشرع فى ان يظهر لها محبته مع قوله لها عن محبته اياها انها ناجيةٌ من كل خبائثه . بل انها هى كمحبة اخٍ لاختهِ . او كابٍ لابنتهِ . وانه لمحزونٌ عليها جدًا لاجل ان زوجها يعاملها بصرامةٍ وقساوة * وان زاد على ذلك هدايا . ووعدها باكثر من ذلك وحلف لها انه سيسعفها ويعتنى فيها وفى اولادها * فليت شعرى ما اعظم ما يكون هذا الخطر الصادر من مثال هذا الراعى الشقى * وما ارهب ما يكون حساب من يصلى فخ الخطية والهلاك لمن قد كان يجب عليه ان يبذل حياته لاجل خلاصها * فمن كانت هذه الحال حالهُ فليصغَ (يقول القديس ايسيدوروس) الى ما يخاطبه به ريس الرعاة وديانهم المرهوب قايلاً : اسمعوا هذا يا ايها الكهنة لان القضاء

❁ الفصل العاشر ❁

فى انه لامرٌ مرهبٌ قبيحٌ مشاهدة راعٍ يشكك النفوس بسيرته الردية *

انه لما راى الرومانيون الاقدمون كلبة افترست اجروتها بعد ايلادها اياهم بزمنٍ يسير. خافوا فرقًا من هذا المنظر المخالف الطبيعة واستقبحوه جدًا * فما اشنع اذًا وارهب مشاهدة راعى النفوس يفترس بنين ولدهم للسيد المسيح. اولاً فى سر المعمودية. وثانيًا فى سر الاعتراف * فهذا هو الذى يفعله الراعى المشكك رعيته: ليت شعرى يقول القديس غريغوريوس. ماذا يصير بالخراف اذا حصلت رعاتها ذيابًا * فلنوردنَّ الان الشرور الواصلة للنفوس من هولاء الرعاة *

اننا قد اوردنا انفًا جزيل فاعلية المثل لحث الناس على الاقتداء به * والحال ان ميل الانسان لاتباع المثل الردى لاشدُّ جدًا من ميله الى اقتفاء المثال الصالح * ومن ثم كما انه هو اسهل لديك ان تسحق تمثالاً حجريًا بالمطرقة. مما ان تصنعه بالازميل. هكذا لمن شان المثال ان يستاصل الفضيلة باكثر سهولةٍ مما يقيمها * فان كان كل مثالٍ ردى يميل هكذا بالنفس الى الرذيلة. فما اكثر ما تزداد قوته وفاعليته حينما يكون الشك صادرًا من رجلٍ معتبر لاجل شرف درجته وجزيل علمه * لان المثال حينئذٍ لا يغرى الى الخطية فقط. بل ينزع عنها

ملتزمٌ به . كما انه لا يفى احدٌ دينه بدفعه اموالاً زايفة * ولا بد من ان هولاء يدانون دينونه مضاعفة (لوقا ٢٠) . فاولاً لاجل الخطايا المخفية . وثانيًا لاجل تصنعهم بالفضيلة *

اننا قد تقدمنا واوضحنا عظم التزام الراعى بتعليمه الشعب لا ما يجب ان يعتقد به كل مومن فقط . بل ما يلزمه ان يفعله ايضًا * فليت شعرى اذًا كيف تكون فاعلية التعليم البارز من فم الراعى المدعو من زخريا النبى تمثالاً وصنمًا (اصحاح ١٠) * لا جرمَ فى انه يتكلم باطلاً بغير نفع . ويكون تعليمه لا ذاك التعليم الخارج من القلب . بل التعليم الذى اصله على حد الشفتين فقط . تعليمًا يشبه الحشيش النابت على الجدران * قال الكتاب المقدس عن عزرا انه اعدَّ قلبه ليطلب ناموس الرب لكى يفعل ويعلّم . ولهذا قد اثر تعليمه فى الشعب تاثيرًا هذا مقدار فاعليته . حتى انه صيَّر جميع الشعب ان يبكى بكاءً غزيرًا (اصحاح ٧ و ١٠) * ان التعليم الغير المقترن بالفعل . والكلام الذى لا يتقدمه العمل . هو تعليمٌ ضعيفٌ ناقص مبين يشبه قلمًا خاليًا من مداد . ومن ثمه لا يرسم شيًا فى المصحف * ولا يرجوان الله يستعمل مثل هذا التعليم لنجاة النفوس من الخطية . لانه ليس من عادته تعالى ان يستخدم الايدى المدنسة لتنظيف القلوب وتطهيرها . حسبما سُطر فى كتاب قوانين الكنيسة *

غير انه لضلالٌ اعظم من ذلك . ضلال الذين يظنون بالراعي الردى السيرة انه اذا ما اخطاء خفيةً فلا يناقض التزامه بان يكون مثالاً صالحًا * لانه اولاً يعسر عليه جدًا ان يختفى عن كل احدٍ . على انه وان استطاع ان يخفى النار . الا انه لا يستطيع ان يخفى الدخان الصاعد منها . لاسيما مدة مستطيلةً من الزمن * ومن يقدر ان يستمر زمنًا مديدًا مختفيًا تحت المياه . لانه ان كان هو انسانًا وليس بسمك . فلا بد له ان يخرج من وسط المياه ويظهر حينًا بعد حين *

ثم انى ازيد على ذلك فاقول : انه وان استطاع الذيب ان يخفى حالهُ . اذا تردَّى بلبوس الحملان والرعاة ولكن ماذا تكون فاعلية سيرة الراعي الخبيثة لحث الناس على الفضيلة * انه لكى تستفيد الرعية من المثال المقدم لها . يجب ان يستعمله الله كالةٍ لفيض نعمته * فهل انه تعالى يستعمل مثال رجلٍ مرايى فى ذلك . كلَّا . لانه قد تحقق مما سُطر فى الاسفار المقدسة انه حينما يريد الله سبحانه ان ينتقم من الشعب . فانه جل عدلهُ يسمح بان يروسه رجلٌ مرايى حسبما قيل فى سفر ايوب : ان الله يملك الرجل المرايى لاجل خطايا الشعب (اصحاح عمس) * ان الراعى الذى يريد ان يظهر صالحًا مع كونه غير صالحٍ . لا يزيل بذلك شر نفسه . بل يزيده جرمًا : لان البرّ المصنع (كما قال القديس اوغسطينوس (هو اثم مضاعف * والنتيجة لا يفى الراعى بتظاهره الكاذب ما هو ملتزم

فمن جهة الاولين نقول . انه لمن المعلوم الواضح ان عدم الهدم ليس هو ابتناءً . وان التغاضى عن خدمة الكرم ليس هو نوعًا ما من انواع الاعتنا فى خصبه * ولمن المعلوم الواضح ايضًا والمثبوت فى الانجيل المقدس . ان السيد المسيح يطلب من رعاته ان يحسنوا الى خرافه المستودعة لهم باحسانٍ افضل من حسنات اللصوص . اوليك الذين يظنون بنفوسهم انهم عاملوا الناس بسخاء ورحمة اذا كفوا عن ضررهم وقتلهم * ولعمرى لوم تخطى الرعاة حينما يهملون ما هم ملتزمون به لما كان رب الكرم لعن الشجرة المنكود حظها لاجل كونها غير مثمرة اثمارًا صالحة . مع انه تعالى لم يجد فيها اثمارًا ردية * ولم يكن تعالى حكم بالعذاب على العبد الذى دفن فى الارض الوزنة المعطاة له لكى يتاجر بها . بل انه عز وجل انما كان لام من كان تصرف بها فى اشيا ردية * فالناتج من هذا انه لكى يكون الكاهن راعيًا صالحًا . لايكفيه الا يكون انسانًا رديًا . بل يلزمه ايضًا ان يشرّف الفضيلة بممارسته اياها ويحرّض الناس عليها بفصاحة افعاله الصالحة * فان كان الراعى ملتزمًا بان يكون لرعيته مثال سيرة صالحة كما اوردناه واثبتناه . فلا يكفى اذًا ان يحيد عن الشر . بل يجب عليه ان يفعل الخير ايضًا * والحال انه لكى يكون مثال سيرة صالحة ينبغى له ان يظهر ان فيه كل ما يجب ان يكون متصفًا به *

وتعليم * لان الراعى يسير تارةً امام خرافه . وتارةً وراها * فلما يسير وراها فانه يهديها . بل الاجدر بنا ان نقول انه يغتصبها بالعصا الى ان تمضى الى حيث يشا . وهذا ضرب راعٍ غير محب * اما الراعى الذى يسير امام خرافه . فانه يسحبها بسهولةٍ وراه بمجرَّد اظهاره لها الطريق * وهذا هو تاديب الراعى المحب . هذا هو الذى يطلبه منك السيد المسيح * نعم انك ربما تستطيع بالوعيد وبالانتهار او بمرارة التوبيخ وعصا الحرم ان تلزم خرافك بالمسير فى الطريق المستقيمة * الا ان هذا الفعل يختص براعى الخراف الغير الناطقة اكثر مما يختص براعى الخراف الناطقة * ولذلك قد وبخ الله الرعاة الذين يدبرون خرافهم بقساوة وجبروت (حزقيال ٣٤) * فكما ان السيد المسيح لا يدبرك بهذه الصرامة . هكذا لا يريدك ان تدبر غيرك بها * قال هامة الرسل : ارعوا رعية الله التى فيكم لا كارباب فى الاكليروس بل كونوا مثالاً صالحًا للرعية (بطرس اولى ٥) *

فالذى قلناه حتى الان هو محقق ناجٍ من كل ارتياب * غير انه قد يمكن ان ينغش بعض الرعاة نظرًا الى هذا التعليم . وذلك من جهتين . اى اما ينغشون لظنهم انه ليكفيهم الا يكونوا للرعية مثالاً رديًا * واما ينغش غيرهم وهم الذين حالهم اشر من حال الاولين بتوهمهم انهم وان اخطاءوا فيكفيهم ان يحجبوا رداءة سيرتهم ويواروها عن معرفة الناس *

فمن

على مباينة الارض . الزم رسله الاطهار وبشخصهم امر خلفايهم رعاة بيعته . بان يرسموا فى سيرتهم صوره سيرته القدسية . كما يبان من الاصحاح الثالث عشر من يوحنا لكى تستطيع الانام المروسون منهم ان ينقلوا هذه الصورة الى سيرتهم * ومن اجل هذا السبب شاء الله عز اسمهُ ان تكون رعاة شعبه فى كنيسته مكرَّمين جدًا . لكى يظهروا بسيرتهم اسمى الفضايل . فيقتدى بها المروسون منهم . لكون مثالهم هو اكثر سهولةً ومناسبةً لرعيتهم * ولهذا كان الرسول يحث المومنين على الاقتدا بسيدنا يسوع المسيح بقوله لهم هكذا : تشبهوا بي كما انا اتشبه بالمسيح (قرنتيه اولى ١١) * وهكذا يجب على كل راعٍ ان يقدر يقول لرعيته . لان الريس الكنايس كما قال مارى توما اللاهوتى . وكما سُطر فى كتاب قوانين الكنيسة : ينبغى ان يكون لتلاميذه مثال الصلاح والقداسة *

انه بعد ان اورد الكتاب المقدس حسن سعادة حال الشعب الاورشليمى مدة تلك المايةِ سنة التى اصرفوها مواظبين على حفظ الناموس الالهى . نسب قداسة حال هذا الشعب لتقوى حونيا الحبر (ثانى المكابيين ٣) * فليعلم اذًا كل من له رعية لكى يكون راعيًا صالحًا . ينبغى له ان يكون لها مثالاً صالحًا * ولهذا قال ريس الرعاة ان الراعى الصالح : اذا اخرج خرافه يمشى امامها (يوحنا ١٠) * وقوله تعالى امامها لايخلو من سرٍ

❋ الفصل التاسع ❋

فى انه يجب على الراعى ان يتقدم رعيته
* بحسن المثال *

انه ليجب على كل مسيحى ان يكون للقريب مثالاً صالحًا * من اجل ان الوصية الالهية تلزمه . كما قال القديس مارى توما اللاهوتى . بانه يفيد لا نفسهُ فقط . بل نفس القريب ايضًا ويعمره بحسن نموذج سلوكه * فان كان كل مسيحى يلتزم بذلك . فكم بالحرى يلتزم به الاكليريكى الذى اقامته الكنيسة على هذه الدرجة والوظيفة لاجل هذه الغاية * واما الرسول الالهى فقد اعنى عن كل راعٍ كنايس حينما كتب الى تلميذه تيطس هكذا : اجعل نفسك مثال الاعمال الصالحة فى كل شىء (اصحاح ٢) * فاذًا لا يكفى الراعى ما يكفى كل من سواه * اى لا يكفى الكاهن ان يعيش عيشًا صالحًا . بل ينبغى له ايضًا ان تكون سيرته اهلاً لان تقدم للجميع مثالاً يقتدون به * ولقد تفلسف القديس توما اللاهوتى فى هذا الصدد قايلاً هكذا : انه لقد كان يجب على الجميع ان يجعلوا تجاه اعينهم حيوة السيد المسيح مثالاً لسيرتهم * الا انه من حيث ان الجميع لا يقدرون ان يعرفوا هذه الحيوة والسيرة الالهية . لاجل انهم اما متبرقعون بالجهل . او معترون بشايبة اخرى لا تدعهم ان يفتكروا فى هذا المثال الالهى السامى * فمن اجل ذلك لما عزم مخلصنا على

(اصحاح ٢٦) * هكذا اذا نُفى الواشى تُنفى معه الخصومات *

اقول اخيرًا انه يتفق لك احيانًا ان يكون الذين تجتهد فى مصالحتهم ذوى طبعٍ عنيدٍ قاسٍ بهذا المقدار. حتى ان الموافقة ما بين رجلين عاصفين يضاد بعضهما بعضًا تكون اقل صعوبةً من القاء السلام ما بين اوليك. فلكى لاتهمل واسطةً ما من الوسايط المفيدة لغرضك. فالنجى حينيذٍ الى رجلٍ صديق شريف معتبَر بين الناس. واجعله وسيطًا فى مسالمتهم * نعم ان مثل هذه المسالة ليست هى جزيلة القبول عند الله. لانها تتم لاجل حجج بشرية فقط. اى اكرامًا لرجلٍ ذى اقتدارٍ وشرفٍ. لا اكرامًا للسيد المسيح * الا انك بذلك تضبط اليد وتصدها عن الانتقام ولوم تبلغ قلوب الخصما الى المحبة * فاكتفى بذلك وخذ ممن يابى عن وفا الدين بالتمام ما يمكنك * نعم انك لا تنزع السيف من يد رجلٍ مجنون الا انك تثلم حده وتصيّر صاحبه الا يضر احدًا * فان كنت بهذه الواسطة لاتميت العداوة من العيلات. الا انك قل ما يكون تحمد اضطرامها وتسكنها. الى ان يقدّم لك تمادى الزمن واسطةً لاطفايها * بالكلية *

***

الفصل

يده تحت ابطه * ومن ثمه ينبغى لمن يسمع كلامهم ان يكون حذرًا من تصديقه * وليعتقد يقينًا ان خطية ناقل الكلام المذكور هى اعظم من خطية النمام الذى قال عنه الرسول انه ممقوتٌ من الله . لان النميمة من شانها وغايتها ان تسلب حسن سمعة القريب * اما ناقل الكلام . فمن شانه وغايته اى يسلب من الاصدقا المحبة * والحال ان المحبة هى خيرٌ اعظم من حسن الصيت . اذ انه يُشتهى الصيت الحسن لاجل هذا السبب على الخصوص . وهو لكى تكون له اصدقا ممدوحون * والحال ان نقل الكلام لا يسلب من الانسان اصدقاه فقط . بل انه كما قال القديس توما اللاهوتى يصيّر اصدقاه اعداءً له * اواه من يظهر عظمة شر المشاجرات والخصومات والعداوة الناتجة من ذلك * فحسنًا اذًا قال الحكيم : ان الله يمقت سته اشيا . الا انه يبغض الشى السابع فى غاية البغضة . اعنى به الرجل الذى يزرع الخصومات بين الاخوة (امثال ٦) * وقد يتم فى اوليك ما قد ذُكر عن ثعالب شمشون التى وان كانت بالمصابيح المتعلقة باذنابها اضرمت نارًا عظيمة . قد احرقت الحقول والكروم الى ان عاد كل شىء الى رمادٍ (القضاة ١٥) * غير انها اعنى بها الثعالب اخيرًا احترقت عن اخرها * فان اردت اذًا ان تبعد من رعيتك الخصومات والمشاجرات وتنفيها . فاصرخ كثيرًا ضد هولاء الوشاة الممقوتين . لانه كما قيل فى سفر الامثال : ان بَعدَ الحطب تنتهى النار

اصلاح

يضبط النار ويمنعها عن تجاوز الحدود المرسومة منه * فعلى هذا المنوال من يدعى لشدة حركة غيظه الذى يغريه ويحرضه على اخذ الثار والقصاص فى المحكمات * لانه من ذا الذى يُظن به انه لا يتجاوز حدود الصواب واللياقة * ومن يعتقد انه يفعل هذا بمجرد حركة الغيرة لحفظ العدل وخير الجمهور لا بحركة العداوة * ان هذا الامر هو من جملة الاشيا المحالية * ومن ثم قد دُعى هذا الفعل فى كتاب قوانين الكنيسة فعلاً غير ممدوح *

ثم انه من جملة الاشيا التى ينبغى لك ان توردها فى الكنيسة لاجل استيصال العداوة من رعيتك . هى تلك العادة الممقوتة عادة الذين يزرعون الفتنة والعداوة بنقلهم الى احد الخصمين . واحيانًا الى الخصمين معًا ما قاله احدهما ضد الاخر. اويخيّل لهم انه قالهُ عنه * فمن يقدر ان يورد الشرور المسببة من هذه الالسنة المسمومه . قال الحكيم : الرجل الخاطى يلقى السجس والقلق بين الاصدقا والعداوة بين الانام المتفقين (ابن سيراخ ٢٨) * فهولاء الاشقيا يظن بهم الخصما انهم قاصدون خيرهم ونفعهم . ولا يدرون انهم انما يفعلون كمثل اللصوص الذين ياتون راكضين الى المنزل المتعلقة به النار وهم حاملون الماء بايديهم . ولكن لارغبة فى ان يجعلوا امتعة المنزل فى سلام وامان . بل لكى يختلسوها * لكون هولاء الناقلى الكلام لا يقصدون مرات كثيرة سوى الانتقام * ويشبهون من يلقى حجرًا على احد ثم يخفى

يده

بعض انفارٍ سواءٌ كانوا فهما علما او غليظى الرقاب ومستصعبى المصالحة . يفيد جدًا قول الكاهن لهم هكذا : هل تجعلون انفسكم افضل واعظم من الله سبحانه وتعالى *

ثم انه يفيد جدًا ايرادك فى الكنيسة مرات كثيرة شر العداوة . وخير السَلم ووفور الانعام الواصلة لنفس من يسامح عدوه . حسبما تنبى عن ذلك الاخبار الموردة من الاباء القديسين . وعظم خطر من يرذل المصالحة * لان من يظن انه قاصدٌ المخاصمة بحركة حب العدل . فانما يضل نفسهُ * على ان الذى يحركه باطنًا وخفيًا . فقد يكون غالبًا روح الانتقام . الذى من شان الطبيعة الفاسدة ان تميل اليه * لعمرى انه امرٌ صعب تصديقه ان انسانًا يخاصم فى المحكمة المفترى عليه مع كونه غافرًا له الافتراء باطنًا بقلب طيب محب . لا ظاهرًا وبالفعل * فهذا اصعب جدًا من فعل من يسامحه باطنًا وظاهرًا بالقلب والفعل معًا * لانه فرقٌ عظيم فيما بين هذين الامرين . اى فيما بين انسان يستطيع بالامكان لا بالتحقيق ان يابى عن المسامحة الخارجة الشرعية بحركة جايزة لايقة . وفيما بين من يابى من ذلك بهذه الحركة لا بالامكان . بل بالتحقيق والتوكيد * لانه نعم قد يمكن ان يمشى واحدٌ على حبل ممدود فى الجو . الا ان هذا يقتضى دربة نادرة الوجود جدًا واحتراسًا عجيبًا * فمن ذا الذى يلقى نارًا فى حقلٍ مملو قطنًا فى حين هبوب ريحٍ شديدة ويرجو ان

يضبط

مقترنة باضطرام غضب بليغ . فيجب عليك قبل كل شيء ان تظهر للشخص المفترَى عليه انك لاتسعى فى المسالمة لاجل خير الذى افترى عليه . اذ ان ذاك يستوجب التاديب حقًا . بل انما تلاحظ خيره اعنى خير المفترَى عليه فقط . من اجل انه هو اى الشخص المفترَى عليه لعتيدٌ ان يجتنى من المصالحة الخير الاعظم . لكون من يقبل السلام ينل خيرًا زمنيًا * اما من يمنح السلام ويغفر لاخر ينل خيرًا ابديًا * نعم ان هذا التعليم لا يوثر فى الجميع حالاً . لاسيما فى حين احتداد الغيظ * ولهذا يسوغ لك ان تدع مثل هولاء ان يستفرغوا ما فى قلوبهم * دعهم يوردون بمبالغة جسامة الافتراء وخباثة المفترى * بل دعهم يتصلوا الى هذا الحد من الحماقة حتى يقولوا انه بعد افتراء يهودا على السيد المسيح لم يظهر فى العالم مثل هذا الافتراء الذى ناطهم * ان هذا بلا شك احتدادٌ ذو حماقة . وهو محققٌ لدى الجميع عيانًا * الا انه يحسن بك ان تحتمله وتصبر متانيًا الى ان يهداء الالم حسب كلام الرسول القايل : اعطوا مهلةً للغضب (روميه ١٢) * وقد تحتاج فى هذا المحل احتياجًا كليًا الى ان تظهر الانس والوداعة فى كلامك وفى وجهك . لاسيما مع من هم رووس المخاصمة * لانه كما ان الذى يمسك ملك النحل يبيد حالاً القتال والمعركة من بينها * هكذا من يرج قلوب روس الخصومات . فانه يبيد سريعًا غضب بقية الخصما * وقد اختبرتُ انا بالتجربة انه مع

بعض

يرتضيا بحكمه * وابذل جهدك فى ان توضح لهما جليًا هذه الحقيقة . وهى ان خير كل منهما وربحه الزمنى يقتضى ان يرتضيا فى ربح متوسط * من اجل ان كلفة المخاصمة فى المحكمة هى متحققة على الدوام * وبخلاف ذلك ربح الدعوى . فهو دايما تحت الشك والارتياب . حتى انه يحدث احيانًا ان الذى يربح دعوته يتكلف فى ذلك مبلغًا من المال هذا حده . حتى انه يضطر ان يهتف مع احد القواد بعد ان كان انتصر على الرومانيين قايلًا هكذا : لا يسمح الله بان انتصر انتصارًا اخر نظير هذا . لان الجيش يحصل على حال الخراب والتلف الكلى * وانما قال هذا من اجل افراط دم جنوده المقتولين الذى كان تكلفه فى تلك المعركة * وهذه النصيحة تلاحظ على الخصوص ذوى الفاقة الذين يصرفون فى المخاصمة لاما يكون متوفرًا عندهم من المال . بل ما تحتاج اليه معيشة اهل بيوتهم * فاجعل اذًا الخصمين ان يقتديا بمثال اصحاب ايوب . الذين بعد مشاجرة مستطيلة قالوا اخيرًا هكذا : لنختر لنا حاكمًا ولننظر ما بيننا ما هو الاحسن والافضل (ايوب ٩ ٣٣) * انى لا اعلم ان كنت تجد اصطلاح الخصومات الموجبة تاديب الحاكم اكثر صعوبة من مسالمة الخصومات المدنية الملايمة الربح العالمى ام لا * الا انى اقول نظرًا الى ما يتفق اغلب الاوقات . ان مسالمة الاولى تكون اقل صعوبة من مصالحة تلك . لاسيما فى الشعب الغنى * فاعتبر انه من حين ان هذه الخصومات تكون احيانًا

مقترنة

ريح شمالية فتضمحل حالاً * اما اذا كان الهوا هاديًا لعدم ريح تهب . فتعلو تلك الابخرة وتتمكن وتتصلب بهذا المقدار . حتى انها تتساقط اخيرًا بضوضا جزيلة وضرر عظيم . فعلى هذا الاسلوب يتم اشتداد الغضب . اى بتمادى الزمان واطالته * وبه يزداد الضرر الواصل للخصمين . ويحصل الشر غير قابل الاصطلاح * فما الذى اذًا يلزمك ان تفعله حينما تشعر بخصومة * انك تلتزم بهذا . وهو ان تنهض حالاً وتمضى سريعًا لكى تخمد نار ذلك الامر * قال الحكيم : لنمدح الانام الافاضل الذين يصالحون بيوتهم (ابن سيراخ ٤٤) * ثم اظهر نفسك انك ترغب ان تكون ما بين الخصمين وسيطًا لا خصمًا * لانه من ذا يرتضى بميزانٍ يرجح من احدى الكفتين * فان اخترت حاكمًا على دعوى ما بين شخصين . فاحترس احتراسًا كليًا لكى تعامل كلًا منهما بكمال الصبر والملاطفة . ولو شعرت بمن يكون الحق عليه * فاطوِ القلاع فى حين اشتداد الريح . تانَّ صابرًا على من يحتمى بالخلق الى ان يكون هداء قلبه . فتستطيع حينيذٍ ان تملك قلبه وتربحه * فاعتقد ان هذه الواسطة تفيد بنوعٍ عجيب لبلوغ المقصود *

واما ما يخص الدعوات المدنية فنقول عنه هكذا : ان الذى يمكنك غالبًا ان تفعله مع خصمين متشاجرين هو هذا . وهو ان تقنعهما بان يسلما دعوتهما لشخص ما مقبول من كليهما . ويعاهدا عهدًا صريحًا شرعيًا بان يرتضيا

✵ الفصل الثامن ✵

فى كيف يجب ان يتدرب راعى النفوس لكى يحسم الخاصمات والعداوة من بين خرافهِ * منذ ابتدايها *

انه كما ان الوالدة التى قالت لسليمان الحكيم انها مستعدةٌ لان ترى بعيون جافة غير باكية انقسام جسد الطفل المسلَّم للجلاد وقطعه نصفين لم تكن هى الام الحقيقية * هكذا يمكننا ان نقول عن راعى النفوس الذى يستطيع ان يزيل الانشقاقات من بين ابنايه الروحيين . وذلك بواسطة بعض كلماتٍ فقط . ومع هذا يابى عن ذلك * والحال انه قد كان يجب عليه ان يسفك دمه كلهُ لازالة هذه الانشقاقات التى من شانها ان تبيد المحبة المسيحية * على ان الراعى يلتزم من قبل وظيفتهِ لا بان يبشّر بالسلام فقط . بل يلقيه ايضًا ويحفظه فى رعيتهِ * لهذا حين انه قد يمكن ان تنقسم العيلات على نوعين . اى بخصومات مدنية تلاحظ الربح العالمى . وبخصومات تقتضى تاديب الحاكم * فمن ثمه ينبغى لنا ان نورد ما الذى يجب على الراعى فعله لكى ينفى هذين النوعين من الخصومات ويبيدهما *

فالدوا العام لهذين النوعين من الخصومات . هو مبادرة الكاهن بسرعةٍ الى اطفاء النار من ابتدايها * انه حينما تتصاعد من الارض بخاراتٌ كبريتية . فان لاقتها سريعًا ريح

اصلاح سيرته الخارجة واتقان سلوكه امام الناس * ومن ثمه نعم انك لا تكون نزعت الحمّى من عروقه . الا انك تنزع الرائحة الوباءية بازالة الشك وحجر العثرة * ولعمرى ان هذا ليس هو بخير يسير * وما عدا ذلك فان الذى لاتربحه الان ستربحه بالمواظبة على ما ابتدانه من النصايح * قال الذهبى الفم : ان كلمت المذنب مرة واحدة ولم يقبل النصيحة كلمهُ ثانيةً وثالثةً . الى ان تكون اقنعته وربحته * ليت شعرى لو لم يفعل الله هكذا معنا اى لو لم يواظب على نصحنا من مناكان يتوب *

اعتبر الان ان النصيحة الخارجة لاتفيد المذنب بدون النصيحة الباطنة المتعلقة بنعمة الله * لانه لا يقدر احدٌ ان يرد الى التوبة من قد اهمله الله (جامعة ٧) * فابن اذًا عليه تعالى رجاء نجاح مجهودك . وميره عز وجل بصلواتك ان يمنّ على القلوب الاوفر صلابةً بالعون الخاص اى بالنعمة المنتصرة * وان كنت بنصايحك لاتجتنى الاثمار المرغوبة منك . فانسب هذا لفتورك وضعف غيرتك لخلاص النفوس * فان تدربت فى هذا الامر على هذه السجية . فلا جرم فى انك تملك اربك . اى اما ان كلامك يوثر فى قلب المذنب الذى تنصحه . واما ان تحل عليك البركة التى رذلها ذاك حسبما يعدنا تعالى قايلاً : ان كان هناك ابن السلام فيحل عليه سلامكم وان لم يكن فيرجع اليكم (لوقا ١٠) *

الفصل

ثم انك ستجد اناسًا اخرين اكثر وقاحة من اوليك . وهم الذين اذا شرعت تونبهم يحتسبون تاديبك اياهم غرضًا منحرفًا . ويتخذونك انسانًا يودّب بروح الانتقام . او قل ما يكون انسانًا ناقص الراى والافراز يسرع فى تصديق اشياء لا ثبات لها * فكيف يكون تدبيرك مع هولاء الذين كما قال القديس مارى اغسطينوس : يثلبون من يوبخهم * فلا تسهب الكلام معهم فى تبرير ذاتك وقيام شانك * لانه من تراه يقيم احدًا من على وجه الارض من دون ان ينحنى ولو يسيرًا * فلا تجادل اذًا معهم . ولا تعاملهم معاملة من يريد ان يدفع عن نفسه سهمًا مرشوقًا من عدوه * قال الرسول : من كانت حاله هذه الحال فلا تعتده رجلاً عدوًا بل انصحه كما ينصح الاخ اخاه (تصالونيكيه ٣) *

وعليك ايضًا بان توضح لمثل هولاء ان عدم قبولهم التاديب وبغضهم اياه . هو دليلٌ ردى جدًا * وان رايت بعد هذه كلها ان اجتهادك قد ذهب باطلا . فلا يصغر قلبك لذلك ولا يرتخى عزمك . بل تمهل مدةً قليلة من الزمن وكرر النصيحة * لانه احيانًا يتم بالمذنب ما يتم بالايل الذى وان اصابه السهم فلا يسقط على الارض حالا . بل يستمر السهم ضمن احشايه . وبعد زمن يسير يموت فى ناحية * هكذا ذاك فانه سيردد فى عقله نصايحك وعذوبة كلامك . ويبداء مفتكرًا فى تغيير سيرته واصلاحها . او قل ما يكون يعزم على اصلاح

يرجها بواسطة هذه المعاملة الجزيلة الوداعة والفطنة . اذا لم يكن المذنب متصفًا بطبعٍ شرير بالكلية *

وان كان المذنب لا يقبل النصح بعد كل هذه المداراة والملاطفة . فما الذى اشور به عليك سوى ان تتذكر ان التاديب الاول الذى وُجد على الارض اضحى باطلاً . مع انه كان بارزًا من فم الله تعالى نفسه * على ان المراة اعتذرت ونسبت ذنبها للحية * والرجل نسب ذنبه لا للمراة فقط . بل الله تعالى ايضًا بقوله : المراة التى اعطيتنيها هى ناولتنى من الشجرة فاكلت (تكوين ٣) * هكذا تفعل الان الخطاة . فلا تتعجب اذًا اذا رايت بعضًا من رعيتك لا يقرُّون بانهم مذنبون . بل يقولون انهم مضطهدون مظلومون * وان الذين يتمرمرون على ترددهم المتواتر فى بيت فلان وفلانة هم متغرضون يرتصدونهم بعيونٍ شريرة * فمع مثل هولاء يحسن بك ان تجعل نفسك فى الابتداء كانك تقبل اعتذاراتهم * غير انه يجب عليك فى اثنا ذلك ان تستتلى كلامك قايلاً لهم هكذا : الا انه مع هذا تلتزمون بازالة سبب التدمر والشك . وذلك بامتناعكم لاعمّا هو شرٌ بالذات فقط . بل عمّا يتبيّن شرًا . وعما يقود رويدًا الى الشر ايضًا . اعنى به سبب الخطية . الذى وان كان ليس هو سببًا قريبًا بعد . الا انه لاينقصه الا شيءٌ قليلٌ جدًا * قال المرتل : من كل طريقٍ شريرٍ منعت رجلىّ لكيما احفظ اقوالك (مزمور ١١٨) *

م

الصارم . كما يفعل من يدعو الحمام الضال الى عشه القديم . فانه يلقى امامه البذار ولا يرجمه بالحجارة * وان كان طبع الشخص المذنب متكبرًا فشدد عليه التوبيخ بمقدار ما يحتاج . لكى يعلم انك لاتخاف منه * وعلى الاطلاق اقول ان لسان من يودب شعبًا مختلف الطبايع كالشعب المستودع لتدبيرك يجب ان يكون كالقيثارة . التى وان كانت كل اوتارها تُضرَب الا انها لا تُضرب على حدٍ سوى *

ثم ان الفطنة تبتغى منك ان تحسن الاحتراس فيما يخص زمان النصيحة * لانها تبتغى منك الا تنادى بشرايع جديدة على شعبٍ متعصب يطلب منك باسلحة مجردة ان تبطل السنن القديمة . بل الخليق بك ان تتمهل الى ان يرتد الشعب الى حال الهدو والسكينة * لان الذى يودب هو طبيب اكثر مما هو رئيس * فالجدير بهِ اذًا ان يقدم الدوا فى الوقت الملايم . لانه اذا قدمه فى حين احتداد الحمَّى . فلا يفيد علاجًا . بل يعود سمًّا مميتًا * فمن اجل ذلك قال عاموص النبى : ان الرجل الحكيم يسكت فى ذلك الزمان لانه زمنٌ شرير (اعاج ٥) * فدع اذًا المذنب يهدأ ويبادر . لان النفس المحتنة بالالام تشبه الماء العكر الذى يرتد الى حال الصفاء والجودة بمجرد تمادى الزمن * ان الذى يتدرب فى امر التاديب بحسب هذا القياس . لعمرى انه يشفى جراحاتٍ عظيمة * وليس انه لايخسر محبة المذنب . بل يربحها

لاتنصحى احدى الاخوات المرسلات منك قبل ان تجثى باطنًا عند قدميها . متذكرة ومحققة انك قابلةٌ ان تخطى اكثر من تلك الاخت * وبحسب هذا المعنى قال القديس توما اللاهوتى : انه ليس شيءٌ يصون الانسان من افراط الصرامة فى التاديب كمثل اعتباره ضعفه الخاص والخوف من انه يخطى *

غير انه لكى تنصح وتودب على نوعٍ مفيد . فلا يكفيك ان تنصح بوفور المحبة والوداعة . بل يجب عليك ان تقرن مع نصحك فطنةً جزيلة * وهذه تقتضى منك ان تميز جيدًا الذنب والمذنب والزمان الاكثر مناسبةً للتاديب * فينبغى لك اولاً ان تلاحظ فى المذنب عين ذنبه * لان حال من سقط مرةً واحدة بغتة فانه يختلف عن حال من تكون سقطاته تفوق عددًا على خطواته . سيما اذا كان ذاك قد سقط مرةً واحدة بعد مدةٍ مديدة * فيجب حينيذٍ ان تكون مرارة توبيخه ممتزجة بعذوبة المدحة . كما فعل الرسول مع اهل قرنتيه بقوله لهم : انى امدحكم لكنى فى هذا لست امدحكم (اصحاح ١١) * وهكذا ايضًا يجب عليك ان تعتبر امر المذنب . لانه اذا كان ذا رفعةٍ واقتدار . فلا يحسن بك ان تنصحه بوجه التوبيخ والزجر . بل بالحرى بسبيل التوسل كقول الرسول لتلميذه تيموثاوس : لاتونب الشيخ بل اطلب اليه كما الاب (اصحاح ٥) * وان كان طبع الشخص جزوعًا . فالاولى بك ان تجتذبه بالعذوبة لا بالتاديب

من بعضٍ بهذا الامر. وهو ان الجلاد يسوم بمقدار ما يمكنه. واما الجراح فيوم باقل ما يستطيع. وبمقدار ما يحتاج الداء الذى يداويه * ثم ان الجلاد يبغض صحة الجسد المعذَّب منه. اما الجراح فلا يبغض فى الجسد المكلوم منه سوى المواد الفاسدة المضرة *

غير انه لا يليق ان تكون النصيحة ذات رخاوةٍ وفتور. كما كانت نصائح عالى الكاهن لابنيه * لان الغضب قد أُعطى للانسان لكى يكافح عن العقل النطقى. لا لكى يتسلط عليه * ولهذا ان وجدت انسانًا ذا عنادٍ فى ذنبه فينبغى لك ان تتشدد حينيذٍ فى نصايحك * كما ان الجراح يشد بالات صناعتهِ على اللحم المتصلب اكثر مما يشد على اللحم اللين * ولهذا قال الرسول : اذا تعرقل انٌ فى زلةٍ ما فعلموا ذاك بروح الانس والوداعة * لان الذى تعرقل فى زلة فهذا لم يخطى بجهالة. بل انه انما اخطاء بغتةً وانغلب للالم قبل ان يطَّلع عليه جيدًا * ففى مثل هذا الاتفاق ينبغى للنصيحة ان تكون ممتزجة ببلسم الانس والدعة * اما الذى يقاوم النصيحة بعنادٍ. فهذا دليلٌ على انه يحب ما اذنب فيه * ومن ثم يجب ان تكون نصيحته اشدَّ واقوى * الا انه مع ذلك يريد القديس اغسطينوس ان تكون المحبة فى القلب حينما تظهر الصرامة على حد الشفتين * فليقتدينَّ اذًا الراعى بالنصيحة الموردة من السيد المسيح للقديسة مريم المجدلية البازية. التى بها يامرها تعالى بقولهِ لها هكذا :

لا تنصحى

وهذا هو السبب الذى من اجله لاتلتزم بالتهذيب المشتهر. اعنى به ذلك الذى يصير بالوعظ فقط. وعنه تكلمنا فى الفصول السالفة. بل انك تلتزم بالارشاد الخاص الخفى ايضاً * وذلك من حيث ان التهذيب المشتهر يكون احياناً ليس بواجب. واحياناً لا يكون كافياً *

فلنوردنَّ الان كيف ينبغى ان يتم هذا التهذيب فنقول: اعلم ان التهذيب هو عملٌ يجب ان تسعى فيه فضيلتان. وهما المحبة والفطنة * ومن ثمه ان قصد الراعى ان ينصح احدًا. فيجب عليه ان ينصحه بروح المحبة حسب كلام الرسول القايل: ان تعرقل انٌ فى زلة فانتم معشر الروحانيين علموه وانصحوه بروح الانس وطول الاناة (غلاطية ٦) * وبحسب هذا التعليم الرسولى قال العسلى فمه اعنى به القديس برنردوس. مخاطباً رعاة الكنيسة هكذا: كفّوا عن الضربات قدموا الثديين * وفى حين التاديب اظهروا ان الذى يحركم الى التونيب انما هو المحبة لا البغضة * فان تحقق المذنب هذا. فلا شك فى ان النصيحة تؤثر فيه * وان كان لا يتغير بالكلية. فلا بد من انه يصطلح قليلاً * فلينصح اذًا الراعى بروح المحبة. ولتكن غاية النصيحة لا تاديب المذنب بل فايدته * انه لقد يتفق مرات كثيرة حسب قول القديس اغسطينوس. ان لايتميز الجلاد من الجرّاح نظرًا الى الالات المستعملة منهما. وانما يتميز بعضهما

هو عارٌ بالخير العظيم الذى كان يحصل لنفوس الشعب المستودَع له لو ينصحه كما يجب * كيف تعمل هذه النصيحة معتذرًا بالحجة التى قد رذلتها الكنيسة فى قوانينها . وهى انك تخاف الناس او تروم ان لا تغيظهم * اسمع ما يتهددك به الله تعالى قايلاً : الويل للكلاب البكم (اشعيا ٥٦) : الويل لرعاة اسرايل ضلت غنم الله فى الجبال ولم يكن من يطلبها (حزقيال ٣٤) * ليت شعرى ما هو هذا الويل الرهيب الا تسجيل قضاء الهلاك الابدى بكل عدلٍ * وقولى بكل عدل . لان هذا التوانى فى تهذيب المروسين المذنبين يصير ذنوبهم ذنوب مدبريهم * لانه قد تحرر فى كتاب القوانين البيعية : ان من لا يعتنى فى منع ما لا يجوز . يُحتسَب راضيًا فى الضلال * فان كان الله تعالى عذب عالى الكاهن عذابًا مريعًا لاجل رخاوة توبيخه ابنيهِ الرديين . فكيف تراه يعاملك انت الذى لا تشا ان تفتح فاك بالتبكيت * ثم لاحظ هنا هذا الامر . وهو انه لما رام الله تعالى ان يعذب ابنى هذا الكاهن لم يرسل اليهما النبى المخبر بالعذاب العتيد . بل ارسله الى ابيهما حسبما يُذكَر فى سفر الملوك الاول * مشيرًا بذلك الى ان شر هذا الراعى المتوانى المهمل الخراف الضالة كان اعظم من شرّ الخراف : لكون الرعى الذى يهمل تاديب المروسين منه . حسبما قال القديس اغسطينوس . هو اشر ممن قد اخطا *

وهذا

فعل الرحمة الروحية لاغير * اما الراعى فانه بتهذيبه احد رعيته لا يمارس بهذا فعل الرحمة . بل انما يوفى دينه . ويقم ما هو ملتزمٌ به ضرورةً * لانه كما ان المديون يلتزم بوفا دينه لا حينما يصادف صاحب الدين فقط . بل حينما لا يجده ايضًا * هكذا يلتزم الخورى بالتفتيش على المذنبين كما قال القديس توما اللاهوتى *

فالعوام لا يلتزمون بالتهذيب الاخوى حينما يخشون من ان يصيبهم ضررٌ معتبر من جرى تهذيبهم القريب . (ما عدا اذا اتفقت ضرورةٌ كلية) واما الراعى فلا يمكنه ان يحتج بهذا الخطر . بل انه يلتزم بتهذيب القريب لا فى حين الضرورة القصوى فقط . بل فى حين الضرورة الباهظة ايضًا * لانه اذا ما راى الذيب اتيًا وهرب . فانه يكون راعيًا مرذولاً من ريس الرعاة اعنى به سيدنا يسوع المسيح * ثم ان العوام لا يلتزمون بتهذيب القريب اذا كانوا لاجل حجة محتملة لا يرجون خيرًا من التهذيب * واما الراعى فانه يلتزم حينيذ بذلك * من اجل ان تهذيب القريب وارشاده ليس هو نظرًا اليه تاديبًا اخويًا فقط . بل هو تاديب ابوى ايضًا . غير ان الراعى لا يلتزم بهذا التهذيب سوى فى هذا الاتفاق فقط . وهو كما قال القديس توما اللاهوتى . حينما يخشى من ان النصيحة لاتفيد المذنب خيرًا . بل تزيده شرًا وعنادًا *

فان كان كلما تقدمنا فقلناه هو محققٌ اكيدٌ . فقل لى اذًا ما هو ظنك بنفسك وما هو حكمك عليها يا من هو

وغزارة محبته لها . من حيث انه تعالى لا يكتفى فى ان يحبها هو فقط . بل يريد ان يحبها معه الجميع * ومن ثم لا يكتفى باعتنايه فى خيرها . بل يامر كلاً بان يهتم معه بذلك حسب كلام الروح القدس القايل : ان الله قد اوصى كلاً فى قريبه (ابن سيراخ ١٧) * ولا ريب فى ان احد مفاعيل هذه المحبة العامة هو تهذيب القريب الذى نرى ان البارى تعالى لا يحثنا عليه فقط . بل يامرنا به ايضاً * ووصيته هذه يلتزم بها جميع المومنين . لاسيما رعاة النفوس حسب قول القديس اغسطينوس * على ان التزام الاخرين بالتهذيب الاخوى قد يتاسس على المحبة العامة التى تلزم الاعضا بان يسعف بعضها بعضاً فى حال الضرورة . بحسب مقدرتها وامكانها * واما التزام الراعى بذلك فانه يتاسس على محبة اخص من تلك المحبة . اى على محبة خصوصية تلزمه باسعاف الاعضا والاحتراس عليها * لانه لا يكفيه ان يعينها فى حين الضرورة التى يشعر بها وتُعرَف منه فقط . بل يلزمه ان يعتنى فى ان يعرف احتياجاتها ايضاً . ويفرغ كل جهده وجده فى ذلك * وفى هذا الصدد قال القديس غريغوريوس هكذا : ان كان الذيب يفترس الخراف ولا يشعر الراعى بذلك . فليت شعرى كيف يمكنه ان يعتذر عن نفسه ويبررها * لعمرى انه امرٌ فظيعٌ جهل الراعى اناساً يفسدون رعيته *

فان اخذ احد العوام يهذب قريبه فانه بهذا يمارس فعل

وضع عليه الوانٌ تلايم طبعه . فانه حالاً يقبلها وينصبغ منها * واما اذا وُضع عليه الوانٌ مختلفة عن لونه الطبيعى كمثل اللون القرمزى . او السماوى . فانها لا تنطبع فيه . الا ان تكثر عليه مادة الصبغ وتكررها *

فارغب اذًا تعليم الاحدات واعتقد ان الشيطان يغتاظ جدًا من ذلك حسب كلام الحكيم القايل : من يعلّم ابنه يحزن عدوه (ابن سيراخ ٣٠) * ولهذا لما جحد يوليانوس الملك الايمان المسيحى . وحركه ابليس على اتلاف السيرة المسيحية . امر وقتيذٍ بابطال كل مدارس الاحدات * وبخلاف ذلك يسرّ السيد المسيح جدًا بمن يقبل مثله تعالى نحو هولاء الاطفال . ويجمعهم لكى يسمعوا تعليم الخلاص * ولهذا قد امرت المجامع المقدسة رعاة الكنيسة بان يجتهدوا فى تعليمهم وارشادهم * فلا تحتسب اذًا هذه الوظيفة غير لايقة بدرجتك تلك التى بها حبًا بالسيد المسيح تقدم للاطفال لبن التعليم . بل اقتد بمثال الانبا جرسون الذى مع انه كان امام العلما اللاهوتيين . وحاكمًا شريفًا فى مملكة فرنسا . كان كل يوم احد وعيد يجمع الاحدات فى كنيسةٍ . ويعلمهم مبادى التعليم المسيحى . غير مبالٍ بازدراء بعض انفار به *

❋ الفصل السابع ❋

فى كيف يجب على راعى النفوس ان يهذب المذنبين

ان السيد المسيح قد اظهر جزيل جوده نحو النفوس وغزارة

فمن هم الذين يخصهم هذا الويل سوى اوليك الرعاة الذين لا يعلمون بعد انه قد يمكن ان يخلص من يعرف مفهوم قانون الايمان . ولوكان لا يستطيع ان يتلوه غيبًا من اجل نقص طبيعى يوجد فيه * وبعكس ذلك اى انه لا يمكن ان يخلص من لا يعرف مفهوم هذا القانون ولوكان عارفًا بان يتلوه غيبًا * فيجب اذًا على الراعى ان يفسر التعليم شيًا فشيًا . لاسيما ما يتضمنه قانون الرسل *

ثم انه يلزمك بعد ذلك ان تعلّم الاحداث الوصايا الالهية والكنايسية * وعليك ايضًا بان تعلمهم فى ذلك الحين اولًا . بعض مبادى تختص بالمسيحى . تلك التى تضاد روح العالم . لكى يبتديوا ان يتدربوا كحسب مقتضى تلك لا بحسب هذه * فان شرعت ان تعلمهم مخافة الله حسب وصية المجمع النريدنتى . فصيرهم ان يبغضوا الخطية بغضًا عظيمًا هذا حده . حتى اذا استمعوا ذكرها لاغير يرتجفون فرقًا * ولكون اول خطايا الاحداث هى الكذب . فمن ثمه ينبغى لك بعد ان تكون اوصيتهم باكرام والديهم اكرامًا كليًا . ان توضح لهم ايضًا شناعة هذه الخطية . وان تصيرهم ان يستقبحوها * لانك اذا ما سددت عليهم باب الكذب . فتكون قد سددت ابواب بقية الخطايا التى تستخدم الكذب * وهذه النصايح يجب عليك ان تكررها كثيرًا . لاسيما تلك التى تضاد الطبيعة الفاسدة * لان النفوس النقية تشبه الصوف الذى اذا ما

وضع

عمومًا وضرورةً فى كل دعوة بعد اقتبال المعمودية المقدسة . اعنى بهما سر التوبة . وسر القربان المقدس *

غير انه من حيث ان معرفة الانسان الطريق انما تفيده قليلًا ان كان لا يسلك فيها * فلذلك تلزم ايضًا بان تعلم الاحداث الوصايا الالهية . لكيما يعقلوا ما هو الذى يريده الله تعالى منهم لكى يلجوا الملكوت * وما هو الذى ينهى عنه متوعدًا مخالفيه بعذابٍ لا انتهاء لهُ * ومن حيث انه لا يستطيع احد ان يحفظ هذه الوصايا بدون العون الالهى . فلذلك يجب عليك ايضًا ان تعلمهم الصلوة الربية . لكى يعلموا من صغر سنهم التزامهم الكلى بالالتجاء الى الله سبحانه . وطلب عونه لكيلا يخطوًا * وما عدا هذه كلها فانه يامرك المجمع التريدنتى بان تعلمهم كثيرًا ما يخص مخافة الله تعالى والطاعة لرؤسايهم *

فان كان راعى النفوس ملتزمًا بهذه كلها التزامًا بليغًا . فماذا يكون اذًا حال الرعاة المتوانين المتقاعدين عن تعليم الاحداث . الذين يحتسبون انفسهم بانهم قد اتقنوا العمل حينما يشاهدون الاحداث يتلون غيبًا ما انغرس من التعليم فى قوتهم الذاكرة . كما تفعل الببغا اى الدُرّة * قال الانبا سا : انه لعكسٌ عظيمٌ وضرٌ جسيمٌ عادة الذين يكتفون فى ان يعلموا الناس قانون الايمان فقط . ولا يوضحون لاهل السذاجة والغشم اسرار الايمان سيما سر الثالوث الاقدس . وسر التجسد الالهى الجزيل الضرورة للخلاص فالويل لهولاء الرعاة ثم الويل لهم

هذا الامر نفسه وضعوا رجاء نيلهم الاثمار الاوفر والافضل * فهل يليق اذًا بالراعى الانجيلى ان يتغاضى عن ذلك . لا لعمرى . بل ينبغى له ان يرغب هذا اكثر من كلما سواه . اى يجب عليه ان يحرر على صفحات عقول الاحداث التعليم الخلاصى قبل ان يرسم عليها الشيطان بالفحم الجهنمى تعليمه المهلك * فلنبحثنَّ اذًا عن شيئين . احدهما ما هو الذى يلتزم به الراعى من قبل وظيفته نظرًا الى هذا الصدد . والاخر ما هو الذى يمكنه اى يزيده على ذلك *

فاعلم ايها الراعى انك تلتزم بوصية شديدة صارمة . بان تعلم الاحداث مبادى الايمان المقدس . تلك التى يتضمنها قانون ايمان الرسل * وذلك من اجل انهم يلتزمون منذ عنفوان صبايهم بان يسيروا نحو غايتهم التى خُلقوا من اجلها . اعنى بها مجد ملكوت السما * ومن ثُم يلزمهم ان يعرفوا ما هو الذى يبلّغهم الى هذه الغاية * وهذا يتم كما قال القديس توما اللاهوتى . بواسطة تعليمهم الاسرار الملاحظة توحيد الله تعالى . وتثليث اقانيمه الالهية * لانه فى هذا قايمة سعادتنا الابدية * وما عدا ذلك فقد يلزمهم ايضًا ان يعرفوا الطريق المودية الى الوطن السماوى . وذلك بتعليمهم اخص الاسرار الملايمة تجسد سيدنا يسوع المسيح والوسايط المقدمة منه تعالى فى الاسرار المقدسة لبلوغ الخلاص * فهذه هى الاسرار التى ينبغى لك اذًا ان تعلمها للاحداث . سيما ذينك السرين اللذين احدهما اكثر عمومًا

فانها تنحدر من اعلى السموات بعزم هذا حد تاثيره. حتى انها تنفذ القلب الاشد عنادًا وقساوةً * لاسيما اذا كانت الصلوة مقترنة بالتامل. فبحمى حينيذ القلب باطنًا وتتقد النار فى الهذيذ (مزمور ٣٨) * لانه كيف تستطيع المدافع ان تضرب قبل ان تتقد بالنار. وكيف يمكن ان تجرى مياه العين ان كان البرد قد استحوذ عليها حتى جفت وصارت جليدًا * فاذًا لكى تستطيع ان تطبع فى الغير حقايق الايمان. ينبغى لك ان تكون تعمقت قبلًا فى تاملها * وما عدا ذلك فانك بواسطة التردد مع الله تعالى بتواتر التماس نعمته تعود امام الشعب نموذج الفضيلة الجزيلة ضرورته لمن يريد ان يوثر تعليمه فى قلوب السامعين * وهذا المعنى سنتكلم عنه فى محله * اما الان فيكفينا ان نقول ما حرر فى كتاب قوانين الكنيسة. وهو: انك اذا عشت عيشة صالحة وعلمت تعليمًا جيدًا. فانك بذلك تعلم الشعب كيف يجب ان تكون سيرته. وبخلاف ذلك ان كانت عيشتك ردية. فانه وان كان تعليمك جيدًا فانك بذلك تعلم الله تعالى كيف يجب عليه ان يعذبك *

❋ الفصل السادس ❋

* فى كيف يجب على الراعى ان يعلم الاحداث *

ان جميع الحكما واضعى الشرايع. قد اعتبروا تعليم الاحداث وحسن تربيتهم اعتبارًا هذا حده. حتى انهم فى هذا

ومن ثمه وان كنت ملتزمًا بان تجتهد فى اكتساب الصفات المتقدم ذكرها . الا انه لا يجوزلك ان تضع فيها رجاك البتة * نعم انه ليجب عليك ان تستعمل الوسايط البشرية كالعلم والفصاحة . الا انه ينبغى لك ان تستعملها كشىء مرسوم من الله تعالى لبلوغ الغاية . لا كشىء كاف من تلقاء ذاته لبلوغها * لان غاية الواعظ هى هذه . اى انه يجعل الناس ان يومنوا بما يفوق الادراك . ويصدّقوا امورًا محجوبةً عن الحواس . بل مضادة لها * ومن يقدر ان يؤسس هذه الاشيا فى قلبٍ لحمى شهوانى متكبر سوى الله تعالى وحده * ان موسى النبى قد استطاع بكلامه ان يحيل العصا الى حيات . والماء الى دم . والنور الى ظلام * الا انه لم يستطع ان يحيل قلب ملكٍ متكبر الى قلبٍ متضع *

والنتيجة انه لكى تنال من الله تعالى هذا العون المعبَّر عنه باليد المظفّرة . التى يخصها ان تفعل كل شىء * فيجب عليك ان تمرّن نفسك على طلبه باجتهاد . ومارس ذلك على الخصوص فى ساعة القداس الالهى * لانه لهذا السبب عينه لما عزم عزرا على ان يتكلم امام الملك . تضرع الى رب السما ثم خاطب الملك (صحاح ٢) * فهكذا افعل انت . اى التجى الى الله سبحانه اولًا والتمس نعمته ثم التفت الى التعليم . لان الاشيا الثقيلة اذا ارتفعت الى العلاء فانها تصدم الهدف عند انحدارها اشد صدمًا مما كانت تصدمهُ لو تتصل اليه قبل ارتفاعها الى العلاء . هكذا الوسايل المقدمة لله والمتصاعدة اليه تعالى فى الصلوة . فانها

الا انك لا تكون رسمت به شيئًا * ولهذا قال الرسول لتلميذه : انذر بالكلام مجتهدًا بهذا فى وقت ذلك وفى غير وقته (تيموثاوس ثانية ٤ر) * من اجل انه بدون هذا الاجتهاد والتكرير لا يفيد الكلام شيئًا * لانك ان لم تدر مراتٍ كثيرة حول اسوار اريحا فلا تتساقط ولا تهدم . اى ان لم تكرر التعليم فى موضوعٍ واحدٍ فلا تنتزع بعض عوايد ردية ولا تستاصل بعض شرور عمومية * والحال ان وظيفة الراعى تلزمه بان يقلع ويهدم ويبدد وينقض (ارميا ١) * وليس لك ان تخشى من ان الشعب يضجر من تكريرك على سماعهم شيئًا واحدًا مراتٍ كثيرة * لانه ان لحظت منهم ذلك فتستطيع حينيذ ان تُفحمهم وتقنعهم بقولك لهم هكذا : انه لمن المعلوم ان الحقل مادام ينبت حشايش مسمومة فلا يسوغ للبستانى ان يكف عن اجتهاده فى قلعها * هذا ما قاله العسجدى الفم نموذج الواعظين . الذى كان فى اكثر عظاته يكرر تعليمه ضد شر الحلف والسكر والتحديف والزنا والفخر العالمى * فاقتدين بهذا النموذج وستفعل رويدًا رويدًا فى رعيتك خيرًا عظيمًا * بل انك ستغيرها وتصلحها بالكلية لامحالة *

اننا حتى الان لم نتكلم سوى عن مادة السيف الذى لايفيد شيئًا بدون اليد . اعنى بها النعمة الالهية التى بدونها كل كلام بارزٍ من فم الواعظ انما هو سمٌ مرشوقٌ فى الهوا * ولهذا قال القديس غريغوريوس : ان لم يكن من يعلم باطنًا فباطلاً يتعب لسان من يعلم خارجًا *

ومن

مـــا يخـــص الـــشايبة الاولـــى *

ومن جهة الشايبة الثانية التى هى حجر العثرة الثانية * فاحذر من انك فى محفل التعليم تلاحظ بكلامك وتعيّن بخطابك واحدًا بالخصوص . فيشعر المحفل بذلك * لان هذا من شانه ان يزيل حسن سمعة الواعظ . ويغيظ الناس . وبالنتيجة تزول ثمرة التعليم * لان التعليم لا يوثر فى القلوب المشمازة من شخص المتكلم * وقولى انه يزيل حسن سمعة الواعظ . لانه يوجد فرق يسير بين من يتكلم عن شر غيره وبين من يصنع به شرًا . لاسيما حينما يمكن ان يُشك فى الواعظ انه قاصد اخذ ثاره باظهار الامر الخصوصية * وقولى انه يغيظ الناس ايضًا . وذلك لان اقربا الشخص المطعون به واصدقاه يغتاظون ضرورةً من الواعظ * وبالنتيجة يتم فى هذا الكاهن ما يتم فى انسانٍ يجب ان يلذع فى الحديث وهو انه يربح اعدا كثيرين . لكونه لا يريد ان يضيع كلمة مستحسنة منه * وفى مثل هذا الحادث تعود نصايح الكاهن باطلة ولو مهما كانت جيدة . حتى ان الشعب يقتبلها كضربات عدوٍ لا كمداواة طبيب *

فاذا ما اجتزت هذه الصخور سالمًا . فينبغى لك بعد ذلك كله الا تستحى من ان تكرر مراتٍ كثيرة على المحفل بعض حقايق اصلية يجب جدًا ان تكون مطبوعةً فى العقل جيدًا * وان تكلمت عنها مرةً واحدةً فقط فى مدار السنة فنعم انك بفعلك هذا تكون وضعت الختم على الشمعة .

الا

التعليم يقدمون لبنيها الضعيفى الاسنان خبز الكلام الاطى مكسرًا ممضوغًا * على انه لو لم تتنازل الوالدة الى ان تخاطب طفلها باللثغة . لما كان الطفل يتعلم منها اللغة * وقال احد الابا القديسين من يعلم الغشما والسذج ينبغى له ان يوفق ذاته وتعليمه مع عقول اوليك التلاميذ *

الا انه فى هذا اى فى ايرادك التعليم . يجب عليك ان تحسن الحذر من شايبتين * احداهما الافراط . لانه قد يمكن ان تفرط فى ايراد التعليم هربًا من التقصير * والحال ان هذا الافراط يضرّ من جهتين . اى نظرًا الى ما يُقال ونظرًا الى من يسمع * فمن جهة ما يقال احذر من ان تفرط فى تبيين المادة الملايمة العفة والدنس . لبلا يصيبك ما اصاب احد الجنود الشجعان . الذى حينما طعن تنينًا اعتراه سم التنين بواسطة السهم الذى كان ضربه به * هذا ماعدا انه قد يمكن ان تنضرّ النفوس النقية من قبل جلا تفسير هذه الامور . ويتعلموا خباثة كانت مجهولةً منهم * فينضروا من سمعهم اشيا قد كان المتزوجون فقط ينتفعون من ايرادها * لقد لحظت الاطبا بان الخشيشة المدعوة شدرنج التى تقتات منها الزلاحف . فهى نفسها سمّ مميتٌ للحمام * ثم احذر ايضًا فى حال التعليم من ان تذكر ما يميل بالشعب الى الضحك . وذلك بايرادك حكايا وامثلة تضاد الادب وشرف منبر التعليم الاطى . التى من شانها ان تلهو عقول السامعين وتشين عرض الواعظ * فهذا ما

كلامى فى هذا الشان فاقول * ان كنت مثلاً تورد للشعب وجوب تجنب اسباب الخطية من غير تمييز . فان الشعب يقتبل منك هذه الحقيقة وتجوز فى سماعه ولا يشعر بشئ * فيكون كانه ابتلع حبة خردل غير مسحوقة * ولكن اذا شرعت تميّز لهم هذه الاسباب وبيّنت نوعيها . اعنى بهما السبب البعيد والسبب القريب . وقلت ان من يدخل الى بيت ما مرات كثيرة ويتفق فى النادر جدًا انه يخطى هناك * فيكون حينيذٍ ذهابه الى ذلك البيت سببًا بعيدًا للخطية * وبخلاف ذلك اذا اتفق انه يخطى هناك مرات كثيرة . فيكون وقتيذٍ السبب قريبًا * وتلزمه الوصية الالهية بالامتناع عن الدخول الى ذلك البيت * فهذه الحقيقة توثر حينيذٍ فى قلب السامع وتكون له كحبة خردلٍ مسحوقة يتصل تاثيرها حتى العينين * فهذا الذى يجب على الراعى فعله لكى يتم ما يطلبه الله تعالى منه . بقوله على لسان اشعيا النبى هكذا : هيوا الطريق للشعب سهّلوا السبيل اختاروا الحجارة (اشعيا ٦٢) * ولكى تمهد الطريق للشعب فانزع عن خطابك المضامين السامية الرفيعة . التى تصده عن الوصول الى معرفة الحق بسهولة * ثم اختر الحجارة اى اختر اشيا خصوصية سهلة الفهم . ملايمة لعقل شعبك وذوقه * لانك ان فعلت هكذا . فانك بلا شك تعزى الكنيسة الحزينة على هلاك بنيها الذين يطلبون الخبز وليس من يكسره لهم (مراثى ٤) * اى لا يوجد الا القليلون الذين فى حين التعليم

غير لين ان لم يوضع فى اتون ملتهب ويلتهب هو ايضًا . حتى لا يتبين فيما بعد انه حديدٌ . بل يستبين نارًا ويحصل لامعًا لينًا مستعدًا لما تشا ان تفعله فيه * هكذا النفس الباردة ذاتًا والناقصة جدًا فى العمل . فحالما تشتملها النعمة المبررة وتنفذها . فانها تشترك بالطبع الاعلى على نوعٍ عجيب بهذا المقدار . حتى انها ترتقى بسهولةٍ كلية الى افعالٍ عظيمة سامية فايقة على كل ما كان يمكنها ان تفعل من تلقاء ذاتها فووقفًا لا يدرك *

فان اوردت الامر على هذا النسق . فلا تكون اوردت الحق فقط . بل تكون اوردته ايضًا على نوعٍ يصير الشعب ان يفهمه * ومن ثم تكون حركته الى اكتساب الخير المعروف منه *

لعمرى انها لحذاقةٌ وواسطةٌ جليلة النفع . تلك التى يستعملها الراعى الاكليريكى حينما يورد اسرار الايمان المقدس . ويطابقها بحسب عقول السامعين مع هذه الامثلة والتشابيه التى بدونها يذهب تعبه سدًى باطلًا * فانت الذى تلوت الانجيل مراتٍ كثيرة لامحالة . قد رايت مقدار ما كان السيد المسيح يرغب الامثال حتى انه تعالى بغيرها لم يكن يكلم الشعب (متى ١٣) * اما مادة التعليم الاخرى . فانها تلاحظ العمل * ونظرًا الى هذا الامر ان اردت ان تثمر فى النفوس . فيجب عليك ان تتنازل جدًا فتفسّر الاشيا مفصلًا * ولكى اوضح معنى كلامى

مفرق النفس والروح (عبرانيه عم) * وهذا السيف يحتاج الى سعى الكاهن وحذاقته بواسطة مادة التعليم وكيفية تفسيرها * وفى هذا قايم جوهر هذا السيف الاطى * الا انه يحتاج ايضًا وعلى الخصوص الى ان تسعى معه النعمة بقوتها . فتحرر وتطبع وتعمق فى قلوب الحاضرين تلك الحقايق التى من تلقاء ذاتها لا تستطيع ان تصل من الاذان الى القلب . وهذه هى قوة اليد المحرِّكة السيف *

فمن جهة ما يخص مادة التعليم فانك تجد مهما تحتاجه فى كتب كثيرة مولفة لتعليم المسيحيين * اما كيفية ايراده . فعنها نتكلم قايلين : ان المادة الواجب ايرادها نوعان فقط * احدهما نظرية . والاخرى عملية . اى ان مادة التعليم اما تلاحظ ما يجب على المسيحى ان يعتقده . واما تلاحظ ما يلزمه ان يفعله *

والان انصحك نظرًا الى النوع الاول . وهو انك فى ايرادك بعض حقايق التى وان كانت مفيدة . الا انها رفيعة دقيقة * فاحذر من ان توردها ايرادًا مجردًا من كل شئ مادى . بل صيرها كانها على نوعٍ ما محسوسة بواسطة الامثلة والتشابيه العرفية * فان اخذت مثلاً ان تخاطب الشعب فى شان النعمة وقلت ان النعمة المبررة هى شئ الهى يمنح النفس بهاء عجيبًا * فنعم انك تكون اوردت لهم الحق . الا انه ينبغى لك بعد ذلك ان تستثنى قايلاً : كما ان الحديد الذى هو طبعًا بارد مصدى ثقيل يابس غير

فاياك اذًا ثم اياك والاقتداء بمثال الرعاة المتوانين * بل اقتفِ اثر الذين يقمون واجبات وظيفتهم * لانه قد قيل فى سفر ابن سيراخ : الانسان الحكيم يعلّم شعبه (اصحاح ٣٧) * ولعمرى ان النوتى المتغاضى عن خلاص الذين اقتبلهم فى سفينته يلقى بهذا نفسه معهم فى خطر الغريق * وان هلكوا لاجل توانيه فانه يهلك ايضًا معهم * وفى هذا قال ايضًا الحكيم : ان جعلوك مدبرًا رئيسًا على الشعب لا تتكبر مهملًا ما انت ملتزمٌ به من الاهتمام . بل كن بينهم كواحدٍ منهم (ابن سيراخ ٣٢) * واحتسب نفسك كاحد الذين يسافرون معك وتحت تدبيرك . وانك حاصل مثلهم على خطرٍ * فاهتم اذًا فيهم لكى ترشدهم وتصل معهم الى مينا الخلاص وهكذا اطمان * فان بنيت على هذا الاساس رجاك فيكون رجاوك جيدًا . وان اعتمدت على ما سواه فيكون رجاوك باطلًا *

❁ الفصل الخامس ❁

فى الوسايط التى بها يستطيع الراعى ان يجعل * تعليمهُ مثمرًا *

انه لكى يفعل السيف ما يعجب منه فلا يكفى ان يكون جوهرهُ جيدًا . بل يحتاج ايضًا الى يدٍ قوية تحركه حسنًا * والحال ان الكلام الالهى هو سيفٌ مسنون يفصل فى الانسان الجزء الحيوانى من الجزء الروحى كقول الرسول : ان كلمة الله هى حية فاعلة واحدّ من كل سيفٍ يلج الى مفرق

من اجل انه فى المدن ربما يكون الشعب يعلم ما يخص الايمان . والسيرة الصالحة . نعم ان كل سمك يحتاج فى طبخه الى ملح الا ان السمك البحرى لا يقتضى الا قليلاً من الملح * العرض الثانى هو كثرة الرهبان المعتنين فى تعليم الشعب . لكون الام التى لا ترضع طفلها من لبنها لا تذنب ذنبًا جسيمًا اذا تقدمت امراة اخرى رحومة فرضعتهُ نيابةً عنها * اما الرعاة الذين لايمكنهم ان يعتذروا بحجة ما من هاتين الحجتين . فانهم باطلاً يعتمدون على حجة العادة الجارية . اعنى بها مثال اكثر الرعاة الذين يتقاعدون عن تعليم رعيتهم * لان العادة القديمة الحق والصواب كما هو محررٌ فى كتاب قوانين الكنيسة ليست هى شيًا اخر سوى ضلال قديم * وكل عادة تخالف وصية الهية كما زعم القديس توما اللاهوتى لا قوة لها البتة * اتظن ان السيد المسيح يحكم كحسب العوايد . كلاَّ . لانه تعالى لم يقل فى انجيله المقدس : انا هو العادة . بل قال: انا هو الحق *هذا ما سُطر فى كتاب القوانين الكنايسية*

وان عارض معارضٌ اخر قايلاً . فلماذا اذًا لا توبخ الاساقفة الرعاة البكم ولا يوبخونهم فانى اجيبك عن ذلك بسوال قايلاً . لعل هذا يخفف ذنبك . لعلك لا تستحق التاديب لاجل عدم تاديبهم اياك * ان عدم تاديب الذنوب هو شكوى على الحاكم لا تبرير المذنبين * غير انى لست بملتزم ان افحص عن هذه القضية فليفحص عنها من يلتزم بذلك *

فاياك

تُلقى فى نارجهنم حذرًا من ان يحتقرك بعض انفار قليلى المعرفة والذمة * ان الرسول نفسه قد ضحكت منه الناس فى محفل قضاة اثينا وحُسب انسانًا ساهيًا يورد حكايا باطلة . ومع ذلك لم يبالِ من احتقارهم اياه * ولانه لبث ثابتًا فى التعليم ربح للسيد المسيح اناسًا كثيرين الذين كما قال القديس اوغسطينوس . لم يكن ربحهم يعتبر احتقار الناس ويخاف منه *

اقول اخيرًا ان الراعى الذى لا يقدر بالكلية ان يعلّم رعيته . يلزمه ان يتبع مشورة القديس كارلوس بورّوماوس . وهى ان يقراء امام الشعب كتابًا يحوى تعليمًا مفيدًا ويفسره على حسب ضرورة الشعب * وان كان لا يقبل ولا امرًا واحدًا مما اوردناه . فينبغى له اذًا ان يعتزل عن وظيفته ويسلمها لاخر يستطيع ان يباشرها حسنًا *

وان اعترضت قايلًا . ها هوذا رعاة كثيرون لايعلمون . ومع هذا لا يظنون بنفوسهم انهم لاجل هذا يهلكون * فاجيبك قايلًا . هذا هو المهرب الذى يلتجى اليه الراعى المتوانى وهو مثال الكثيرين . كان الذى يعتاد عليه كثيرون يكون لاجل ذلك جايزًا * قال الحكيم : ان الانسان الخاطى يجتنب التاديب . ولتبرير نفسه يخترع قياسًا حسب ارادته (بن سيراخ ٢٣) ولكن لكى نحل هذا الاعتراض حلًا تامًا فنقول . انه نظرًا الى رعاة المدن لقد يمكن ان يوجد هنا عرضان يبررانهم او يجعلانهم اقل خطاء * فالعرض الاول هو عدم احتياج الرعية الى التعليم .

من

اذا ما استحى او خشى من ان يوبخ الخطاة . فانه وان كانت سيرته صالحة يهلك لا محالة مع الذين هلكوا لاجل سكوته * وما الفايدة من انه لا يهلك لاجل خطيته ان كان هو يهلك لاجل خطية غيره * وهذا الكلام قد اثبته جمهور الاباء القديسين . منهم القديس غريغوريوس . والعسجدى فمه . والقديس ايلاريوس . والقديس ايسيدوروس *

فلنبحثنَّ الان عن الاعتذار الثالث الملايم لا جوهر التعليم بل كيفيته فنقول . ان من يعتذر بانه غير فصيح اللسان . وليس له بدعة فى الخطاب . فان اعتذاره هذا باطل غير معذور * لكون الشعب لا يطلب منك ايها الراعى كلامًا ظريفًا او تعليم الخطبا الفصحا الرفيع حديثهم . بل انما يطلب منك كلامًا عرفيًا سهل الفهم . اعنى كلام اب لبنيه * لايطلب منك الفاظًا معربة . بل انما يطلب كلمات الحيوة تلك التى يجدها وينطق بها من يكون قلبه مضطرمًا بالمحبة الالهية . التى من شانها ان تصيّر كل انسان فصيحًا * انه يكفيك ان تصيّر خطابك مفعمًا مضامين روحية جيدة ولا يحتاج ان يكون الكلام مزخرفًا ظريفًا جدًا * فلا شك ان الاكثرين يقبلونه ويعتبررنه ايضًا . كما انهم يقبلون الدينار الخالص ولو لم تكن سكته بهية كاملة * واذا اتفق ان رجلاً ما متكبرًا ازدرى ببساطة كلامك . فهل يليق بك ان تزج بنفسك فى النار هربًا من الدخان * لعلك ترتضى بان تُلقى

لعمرى انه يستحق تاديبين . احدهما لاجل الضرر الواصل للشعب من جرى صمته . ثانيهما لاجل سبب صمته . وهو تغاضيه عن اكتساب العلم الواجب لدرجته * ان الطبيعة تمخ الامهات لبنًا قبل ان يتصلن الى ساعة الايلاد . افليس اذًا هو ضربًا من جهل كتيف ان يرجو الانسان ان يلد ويربي نفوسًا للسيد المسيح . مع ان ثدييه فارغتان من اللبن الروحي * لقد قيل فى كتاب قوانين البيعة . ان كان الجهل لا يُحتمل فى انسانٍ عامى الا نادرًا . فكم بالحرى لا يحتمل فى الروسا * وما عدا ذلك فلا شك فى انك قد اطلعت على عدم معرفتك من زمانٍ مديد . فكيف اذًا تجاسرت على اقتبال وقرٍ يفوق قوتك * وكيف بعد اقتبالك اياه واختبارك عجزك عنه لم تنزعه عنك * كيف دخلت وقدمت نفسك لمداواة المرضى وانت لست بطبيبٍ * فاعلم انه ليس لك سبيلٌ اخر للخلاص سوا هذا . وهو اما انك انت بذاتك تعلم الشعب . اما انك تعلمه بلسان غيرك * اذ انه كما قال القديس برنردوس : فى هاتين الوصيتين . اعنى بهما التعليم . والمثال الصالح قايم جوهر وظيفتك وخلاص نفسك * فاذًا كما انه لا يكفى لخلاص الراعى ان يعلّم جيدًا ان كان هو لا يعيش حسنًا بل يهدم باليد ما قد ابتناه باللسان . هكذا لا يكفى ان تكون عيشته صالحة ان لم يقدم للشعب تعليمًا جيدًا * قال القديس بروسبر : ان الكاهن المستودَع له توزيع الكلام اذا

نفوسهم ان الامور المتفاقمة عليهم لا تدعهم ان يعلّموا * الا انى اسالك ايها الراعى المكرم ما هذه الامور الباهظة التى تحل كاهنًا يرعى النفوس من حفظ وصية التعليم . التى هى وجودية طبيعية الهية * على ان تلك الامور التى تصدك عن تعليم الشعب اما ان تكون دنيوية او روحية * فان كان الذى يمنعك عن التبشير هو امرٌ روحى . كمن يلتزم بقبول الاعترافات مدة مستطيلة فى يوم عيدٍ شريف . او المكث المستطيل عند رجلٍ مريضٍ حاصل على المنازعة وما يماثل ذلك * فلاريب فى ان مثل هذه الامور هى اتفاقية غير دايمة * ومن ثم تستطيع ان تفى فى غير وقتٍ الامر الذى عجزت عن وفايه فى حينه * وان كان الذى يصدك عن التعليم هو امرٌ دنيوى . فهل يليق بك ان تفضّل الزمنى على الروحى * قالت الرسل : انه لا يحسن ان نهمل التبشير بكلام الله لكى نخدم الموايد (ابركيس ٦) * فان كان لا يحسن برعاة شعب الله ان يهملوا التعليم لكى يهتموا فى الفقرا . لا الذين كانوا ولدوا فى حال الفقر . بل الذين كانوا افتقروا حبًا بالسيد المسيح * فكيف اذًا يحسن بهم اى برعاة الكنيسة ان يتركوا التبشير لاجل التجارة ومباشرة امور عالمية غير ضرورية *

اما اعتذار اوليك الذين يستعفون من التعليم بقولهم عن نفوسهم انهم عديموا العلم الضرورى لهذه الوظيفة . فهو اشنع من الاعتذار الاول * ومن يتعلل به لعمرى

توبتهم مشابة بالشك. الا انه قد يمكن انها تتم * فتشدد اذًا بالقوة متاملًا ما اكثر الذين يبذلون جهدهم كله ولا يايسون. وذلك من اجل ارباح زايلة مشكوك فيها مع انه اذا خاب املهم فتذهب اتعابهم وامواهم التى يصرفونها باطلًا * اما انت فلا يجرى امرك هكذا. لانه كيفما انتهت الامور اى سواء ربحت نفوسًا او لم تربح لا ينقص من اجرك شئ * ثم زد على ذلك انه وان كنت لم تبلغ من رعيتك الخير المرغوب منك من زمانٍ مديد. الا انه لمن الممكن ان يعوض الله تعالى عليك ذلك بوفورٍ جزيل فى دقيقةٍ واحدة من الزمن * والنتيجة لا يسوغ لك ان تفشل ايسًا. لكون هذه الفايدة اما ان تكون موجودة مع كونها مجهولة منك. اما انها ستتم فيما بعد * وان سلمت لك انه لاتصدر فايةٌ من خدمتك. فافتكر هل يليق بالوالدة ان تهمل ابنها العليل اذا رات الاطبا قد ايسوا من شفايه * ثم تامل ما قاله القديس غريغوريوس. وهو ان الذى يمنع الافادة ليس هو خطايا الشعب فقط. بل خطايا الراعى ايضًا * فلتجعلنك اذًا هذه النصيحة ان تلاحظ نفسك. وتفحص عن حالها لكى تستطيع بالندامة ان تصيّر كلامك اكثر قوةً وفاعليةً *

فان كانت الاعتذارات الملاحظة الشعب هى ضعيفة باطلة. فليت شعرى ماذا تكون تلك التى تخص الرعاة * فاعتذار الرعاة المتوانين الاول هو هذا. اى قولهم عن

قد تمم كل واجباته * اخبرنى هل يجوز للكاهن راعى النفوس ان يكف من الصلوة عن الشعب المستودع له من اجل انه يشاهدهم قد تصلبوا فى الشر ولا يريدون ان يتوبوا . كلّا . بل يجب عليه وقتيذٍ ان يضاعف صلواته فيهم اكثر مما كان يفعل من ذى قبل * فلماذا اذًا لا يعينهم ايضًا بالتعليم * فكما انه وان كان الله تعالى يستطيع ان يتوبهم بدون من يشفع فيهم . الا انه تعالى يريد مع هذا ان يُصلى من اجلهم بلا ملل * هكذا يريد تعالى ان يُكرز عليهم وان كان هو تقدس اسمه قادرًا على ردهم الى التوبة بدون من يحركهم الى ذلك . كما يورد ذلك القديس اوغسطينوس فى حال تعليمه *

ثم انى اسالك من يستطيع ان يعلم يقينًا هل نتج من تعليمك النفع المامول ام لا * لعمرى انه لقد يمكن ان يتم نظرًا الى غاية الشعب من التعليم ما يتم فى بعض الانهر . التى لافراط هدوّ جرى مياهها تستبين احيانًا كانها عايةٌ الى الوراء . مع انها تكون جارية حقًا الى ما قدام * لان الكلام الالهى لا يُلقى باطلًا ابدًا حسب قوله تعالى على لسان اشعيا النبى : ان كلامى لايرجع الىَّ فارغًا بل يعمل مهما قصدته به (اشعياج ٥٥) * وهذا الرجا لمن شانه ان يعزّى الراعى وينشطه * فتصور اذًا فى عقلك ان الله تعالى يقول لحوك ما قالهُ لارميا النبى : لا تكف من ان تخاطب شعبى لعلهم يسمعون ويرجعون عن طريقهم الشريرة (اشعياج ٢٦) * نعم ان توبتهم

اقول اخيرًا انه كما يتفق نادرًا ان الشعب كله يحسن الاصغا للتعليم . هكذا يتفق نادرًا ان الشعب كله لا يصغى لهُ * والحال ان الذين لا يصغون لا يضرون الذين يحسنون الاصغا * لقد اوصى الرسول تلميذه بان يعلّم لا فى وقتهِ فقط . بل فى غير وقتٍ * فالذى يعلم بمجرد حجة المحبة نحو القريب كما تفعل الكهنة الغير الملتزمين . فانه يُعذر ان كان لا يعلّم الا فى الوقت الملايم اناسًا يرغبون ذلك منه * اما راعى النفوس الملتزم بالتعليم من قبل وظيفتهِ . فانه يجب عليه ان يعلّم فى كل وقتٍ ولو ابى الشعب عن استماع التعليم * ومن هنا نتخذ الجواب للمشكل الثالث الملاحظ عدم انتفاع الشعب من التعليم فنقول : ان التزام الراعى بالتعليم ليس هو متعلقًا بوظيفته بمثل هذا الرباط الضعيف السريع الانحلال * لان التبشير كما قال المعلمون : هو حقٌ روحى معينٌ لازم وفاوه ولو استبان عديم النفع * انه لو يكون الراعى ملتزمًا بشفاء الخراف وتخليص النفوس لقد كان يجوز له ان يهمل التبشير الذى يراه لا يشفى * والحال ان هذا الامر اعنى الشفا لا يخصه . بل انما يخص السيد المسيح وحده * ولهذا السبب قال القديس برنردوس مخاطبًا الراعى هكذا : انه لا يُطلب منك ايها الراعى ان تشفى . بل ان تداوى * وبحسب هذا المعنى قال قبلًا سينكا الفيلسوف : ان فعل الطبيب ما تلزمه بهِ وظيفتهُ لشفا المريض فيكون

وهكذا اقول عن النوع الاخر من الاعتذارات . وهو عدم اصغاء الحاضرين للتعليم * لانه هل نرى الزارع يكف عن القاء البذار خوفًا من ان يضيع جزء ما من بذاره لوجود هوا لا يلايم عمله * الا انى انصحك هنا بالا تسهب التعليم كثيرًا ليلا تصير الاطالة المفرطة سببًا لان لا يصغى الحاضرون له * بل اقتدين بالطبيب فى تدبيره ماكل المريض . لانه يقدم له الطعام قليلًا ولكن مرات متعددة * واحذر من ان تحتد او تظهر غيظًا اذا رايت اناسًا غير صاغين لتعليمك . او يتخاطبون او يتناعسون او يستجسون * الا انه اذا ما حدث امرٌ معتبر من هذه الشوايب ورايت واجبًا ان تشكو منه فافعله بروح الهدو والسلام * لان هذا السجس والضوضا كما لحظ الذهبى فمه يسببهما الشيطان مرات كثيرة لكى يعود الكلام الالهى باطلًا كما اتفق للرسول الالهى الذى حينما كان يعلم المومنين ليلًا فى علية مملوة مصابيح وسقط احد الحاضرين من العلو . فحدث من ذلك سجس واضطراب عظيم فى المحفل (ابركسيس ٢٠) * فلا تدع الشيطان اذًا يفوز بالغلبة . بل اعتقد ان صبر الواعظ فى مثل هذه الحال يظهر فضيلته . ويسدى تعليمه اعتبارًا حسب كلام الحكيم القايل : ان علم الانسان يظهر بواسطة الصبر (امثال ١٩) * وبالعكس . اى انه قد يتفق مرات كثيرة ان الاحتداد والغيظ لاجل شيء يسير يلاشى كل خير التعليم *

اقول

يعلّم بحسب النوع الذى يميل بالاذان نحو الاستماع * انه لقد تحقق بالتجربة ان السمك لا يدنو من الشباك الملطخة بالادران والاوساخ * ولهذا نرى الصيادين الراغبين الصيد السعيد يغسلون شباكهم جيدًا قبل ان يلقوها فى المياه * فافعل انت هكذا . اى انزع عن خطابك ومادة تعليمك كل ما من شانه ان يضجر الناس ويبعدهم عن شبكة التعليم * وما عدا ذلك فاستعمل ايضًا بدربة وحذاقة بعض وسايط متعلقة بدعوتك . مثلًا لا تسمح ان يكون احد شبينًا فى المعمودية ان لم يكن عارفًا ما هو ملتزمٌ بمعرفته لاكتساب الخلاص . وناد بهذا قبلاً مرات كثيرة فى الكنيسة * اما ساعة التعليم فلتكن فى القداس كما امر المجمع التريدنتى * من اجل ان هذا الوقت انسب لاجتماع الناس * وان رايت بعد ذلك ان عدد الشعب قليلٌ فلا تبالى من هذا . بل قدم لاوليك الحضّار الطعام الروحى الضرورى لهم وان كانوا قليلين * نادِ لا تمل ارفع صوتك كمثل البوق (اشعيا ٥٨) * فان ربحت نفسًا واحدة فتكون قد ربحت لنفسك مكافاةً جزيلةً * تذكر ان سيدنا يسوع المسيح وعظ عظة مستطيلة لامراة واحدة سامرية * فلمَ لاتقتفى بهذا المثال الاطى . ولماذا تضجر اذا عاينت الذين يسمعون تعليمك قليلى العدد * انظر الينابيع فتراها لاتزال تفيض مياهها ولو كان الذين يستقون منها قليلى المقدار *

يصيّروا لانفسهم وسادةً يستطيع كسلهم ان يرقد مستريحًا عليها *

فترى هذا الراعي يعتذر اولاً بقوله عن الشعب المستودع له ان الذين يحضرون منهم تعليمهُ هم قليلون . او انهم لا يصغون له . او انهم لا ينتفعون منه * ثانيًا يقول عن نفسه انه لا يقدر ان يباشر وظيفة التعليم لاجل كثرة الاشغال المتفاقمه عليه . او لاجل كونهِ عديم العلم الضروري للتعليم * وان كان ذا علم كافٍ فيعتذر قايلاً . ان لى اسوةً بمثال رعاة كثيرين الذين لا يعلمون الشعب ومع ذلك لا تلومهم الاساقفة ولا يوبخونهم حسب قوانين الكنيسة * ولكن فلنفحصنَّ الان عن هذه الاعتذارات ونوضح بطلانها وخبثها واحدةً فواحدة *

فيقول هولاء اولاً ان الشعب لا ياتى لكى يحضر تعليمهم . ومن ثمه لا يلتزمون بذلك * فاجيب عن هذا الامر واقول اولاً . انى لست انكر ان البعض من المسيحيين قد اتصلوا الى هذا الحد من الشر . حتى انهم يسدّون اذانهم ليلا يصغوا لصوت الله . وقد دعاهم النبى ابناء لا يريدون ان يسمعوا ناموس الله (اشعيا ٣٠)* الا انه ليس الشعب كله كذلك . وان اتفق ان الشعب كله ابي عن استماع التعليم . فغالبًا يكون الذنب من الطرفين . اى من قبل الشعب الذى لا يريد ان يستمع ومن قبل الراعى الذى لا يريد ان يعلّم . وان علّم فلا يعلّم

البشر لانى انا ملتزمٌ بذلك ضرورة (قرنثيه اولى ٩)
ومثله قال نيقولاس الحبر الاعظم فى رسالته الى الملك
ميخايل مخاطبًا نفسهُ وكل رعاة النفوس هكذا : ان
الله قد استودع لنا توزيع البذار السماوى فالويل لنا
ان كنا لا نبذره . الويل لنا ان صمتنا نحن الذين قد
اقتبلنا وظيفة التبشير . والويل لنا ان توانينا فى الانذار
بالحقايق التى نادى بها الرسل * فالراعى الذى لا يرهبه
هذا الويل لا محالة يكون ليس براعٍ اصم فقط . بل راع
اطرش واخرس معًا *

❁ الفصل الرابعُ ❁

فى دحض ما تعتذر به باطلاً رعاة النفوس المتوانين فى تعليم رعيتهم *

ان الاعتذارات التى يتعلل بها الخطاة هى اعظم
ذنبًا من الذنوب التى يعتذرون عنها . لانه قد يمكننا ان
نعذر احيانًا الخطايا التى من اجل انها تصدر من جهلٍ
او ضعفٍ بشرى . اما اعتذارات الخاطى فلا نستطيع ان
نعذرها . لكونها كلها صادرة من الخباثة * ولهذا كان
المرتل يبغض مثل هذه الاعتذارات ويسال الله تعالى
فى شانها قايلاً هكذا : لا تمل قلبى الى كلام الشر
فاتعلل بعلل الخطايا (مزمور ١٤٠) * لاحظ الان ما
الذى يعتذر به اوليك الرعاة الصم * لعمرى ان
اعتذاراتهم كلها خبيثة متجهة الى هذا الغرض . وهو لان

انه اذا توانى الاسقف او الخورى فيما يخص الاكليروس او الشعب ولم يعلمهم التقوى . فليمنع ذاك عن تناول الاسرار الالهية . وان استمر على هذا التوانى فليُعزَل عن وظيفته * وفى القانون التاسع عشر من المجمع السادس المسكونى (اى من مئة الف سنة وينيف) يقرأ هكذا : انه ينبغى لمن أقيم راعيًا على الكنيسة ان يعلم الاكليروس والشعب قلما يكون فى ايام الاحاد * اما فى الدهور الاخيرة فقال المجمع الترينتى : ان التزام راعاة النفوس جميعًا بتعليم الشعب المستودَع لهم هو موسس على وصية الهية * وهذا المجمع يمنح الاساقفة سلطانًا لان يحرموا الرعاة المتوانين فى هذا ويودبوهم الى ان يتوبوا * لانه فى الجلسة السادسة قد حرر هكذا : ليرعَ الرعاة الرعية المستودعة لهم بتعليم يفيدهم للخلاص . وذلك قل ما يكون فى ايام الاحاد واشرف الاعياد . موردين لهم ما ينبغى للجميع ان يعرفوه لنيل الخلاص * وان استمروا بعد نصيحة الاسقف مئة ثلثة اشهر متقاعدين عن وظيفتهم . فليلزمهم بذلك بواسطة التاديبات الكنايسية وغيرها . الى ان يتوبوا ويقموا واجبات وظيفتهم *

فبعد هذه كلها لا يحتاج ان نورد شهادات الاباء القديسين والمعلمين اللاهوتيين الذين يثبتون هذا الراى . اى انه يخطى خطًا مبينًا ذلك الراعى الذى لا يعلّم الشعب المستودع له الاشيا الضرورية للخلاص * الا ان الرسول قد اثبت هذا التعليم بقوله : الويل لى ان لم ابشر

فمه وهو انه حين يعدم الشعب قوت الكلام السماوى بتوانى راعيه. فهناك يتلاشى كل تقوى وتستاصل الديانة بالكلية * وهذا نفسهُ قد كان سبق وانذر به هوشع النبى قايلاً: من اجل انه ليس علم الله على الارض لقد انفجر الكذب. واللعنة. والقتل والسرقة والفسق (هوشع ٤) * فان كان ذلك كذلك. فكيف اذاً لا يغضب الله تعالى على من اقامه على المنبر لكى يرفع صوته من هناك فى حينه ووقته وهو يستمر صامتاً * فلا يكفى اذاً للراعى ان يادّى حسابًا جيدًا عن نفسه. بل يلتزم بان يرده ايضًا عمن يهلك من رعيته ان كان لم ينبهه على الخطية * ومن ثمه ان شاء ان يخلّص نفسه. فيجب عليه ان يكون على الدوام فى حالٍ يستطيع ان يقول بها مع الرسول: انى طاهرٌ من دم جميعكم لانى لم استعف من ان اعلمكم بكل مسرة الله (ابركسيس ٢٠) وفى هذا الصدد قيل فى كتاب قوانين الكنيسة. انه لم يكن الرسول حصل طاهرًا مبررًا لو يابى عن تعليمهم مسرة الله * من اجل انه لو يكون صمت هذا الراعى لكان لا محالة اهلكهم بسكوته *

اقول ثالثًا واخيرًا. ان الكنيسة فى قوانينها ومجامعها تحكم باهلاك الابدى على الرعاة الصم * ولتاكيد ذلك فلنوردنَّ منها ما قالته فى الدهور الاولى والاخيرة * اعلم ان الرسل الاطهار كما يشهد القديس اكليمنضوس حكموا فى قانونهم السابع والخمسين قايلين هكذا:

رعية الله التى فيكم (بطرس اولى ٥) * فكيف اذًا يجوز للراعى ان ياخذ الاثمار المتعلقة بوظيفته ان كان لا يقم واجباتها * وقد ذهب البعض من المعلمين الى ان اوليك الرعاة الصم الذين لهم افواه ولا يتكلمون (مزمور١١٣) * يلتزمون برد ما اخذوه كما يلتزم بذلك معلم المدرسة اذا تغاضى عن تعليم تلاميذه * قال الرسول الالهى : الذين يخدمون فى بيت القدس انما يقتاتون من بيت القدس (قرنتيه ثانية ٩) * ولم يقل الموجودون فى بيت القدس . بل الذين يخدمونه * فهنا يصرح القديس غريغوريوس قايلًا : ما بالنا نحن الرعاة نتخذ الاجرة مع كوننا لسنا بفعلة . نجتنى اثمار الكنيسة ولا نتعب فى التعليم لاجل الكنيسة *

الا ان الراعى الاصم يلتزم بادا حساب اخر اعظم جدًا من الحساب الاول . وهو الحساب عن النفوس التى تهلك لاجل عدم التعليم الضرورى للخلاص * لكون الله سبحانه يخاطب كلًا من رعاة البيعة على لسان حزقيال النبى هكذا : انى اقمتك ديدبانًا على بيت اسرايل فخبرهم اذًا بما سمعت من فمى * فاذا قلت انا للمنافق : ايها المنافق انك موتًا تموت . ولست تقول له انت ان يحتفظ بنفسه عن طريقه . نعم ان المنافق سيموت فى اثمه الا انى ساطلب نفسه منك (حزقيال ٣٣) * لعمرى ان هذه الكلمات توعب القلب خوفًا ورهبة . حين انها كلمات موسسة على العدل * لانه من المحقق ما تفوه به الذهبى فمه

واجبات الديانة المسيحية فان الاضرار الناجمة عنه تخص حيوة الابد * فكم بالحرى اذًا يرغب السيد المسيح ان ينفى من كنيسته هذا الجهل الذى يخص استقامة الايمان وصلاح السيرة * لانه تعالى قد انحدر من السما لكى يزيل الخطية ويبيدها (يوحنا ١) * وبالنتيجة لكى يزيل الجهل الذى كما قال القديس توما اللاهوتى . ليس هو المفعول الاخص الصادر من الخطية الاصلية فقط . بل هو للانسان العابر طريق هذه الحيوة اخص اسباب الخطايا الفعلية ايضًا * كما ان قتام الليل هو السبب الذى من اجله يحيد المسافرون عن الطريق ويتهورون فى المعاطب *

فاخبرنى اذًا مَن هم الذين اختارهم ابن الله تعالى لابادة هذا الجهل من كنيسته ان كان هو سبحانه لم يختر لذلك رعاة النفوس * فهل تظن ان هذه الوظيفة تخص الرهبان . الا انى اقول انهم وان كانوا يعلّمون لكنهم لا يلتزمون بذلك من قبل دعوتهم * لان الوصية بالتعليم لا تلاحظهم . بل انما تخص الرعاة . ولهذا لما ارسل ابن الله تلاميذه سلفا رعاة الكنيسة امرهم بتعليم العالم كله قايلاً لهم : اذهبوا وعلموا كل الامم * لعمرى ان مَن يشك بالتزام الراعى الكنايسى بتعليم الشعب يشبه ابًا يشك بالتزامه بقوت ابنايه * لانه كما ان الطبيعة اقامت الاب لهذا الغرض . هكذا النعمة اقامت الراعى لهذا السبب حسب كلام هامة الرسل القايل للرعاة اجمالاً : ارعوا

تقتضى منهم ان يعلّموا ما يخص الايمان والسيرة الصالحة * ولعمرى ان هذا الرسول الذى هو اول مفسرى الانجيل المقدس لما اخذ يوضح لرعاة الكنيسة التزامهم بالتعليم. فاستعمل الفاظًا موثرةً مرهبةً لم يستعمل ابدًا اقوى منها فى اعظم الامور * لانه هكذا يخاطب احد رعاة البيعة قايلاً : ناشدتك الله ويسوع المسيح العتيد ان يدين الاحيا والاموات بمجيه وملكوته * نادِ بالكلمة وقم بما انت فيه مجتهدًا فى وقت ذلك وفى غير وقته * وبّخ واسال وتّب بكل ما يمكنك من الاناة والتعليم (تيموثاوس ع)*

اعتبر ثانيًا ان الشريعة الطبيعية تلزم ايضًا الرعاة بالتعليم من اجل ان ما يُعطونه انما يُعطى لهم من اجل هذه الغاية. لكون وظيفة الراعى ليست هى كحسبما يتخيّلها بعض من الرعاة اعنى منبرًا قد اُقيم لهم للراحة. بل هى كرسى قد تبوّاه لكى يورد منه ما تجب معرفتة على كل مسيحى *

لاحظوا الممالك المنتظمة فتروا ان واضعى الشرايع قد اوصوا ان يكون فى المدينة معلمون يعلمون الاحداث العلوم البشرية. وذلك لمعرفتهم بانهُ من شان الجهل ان يسدى الشعب اضرارًا عظيمةً متعددة * فكيف اذًا لايجب ان يكون ذلك فى الكنيسة التى موسسها ومدبرها هو السيد المسيح الحكمة المتجسدة * نعم ان عدم معرفة العلوم البشرية يسبب للانام اضرارًا جسيمةً. غير ان هذه الاضرار انما تخص هذه الحيوة العابرة فقط. اما جهل واجبات

الامم (متى ٢٨) * فكانهُ تعالى يقول لهم : ان الله ابي قد منحنى السلطان على كل ما خلق * والان فقد ملكت السما وبقى لى ان املك على الارض * ولكونى لم ارج منها بتعليمى الَّا شيًا يسيرًا . فمن ثمه يجب عليكم ان تنوبوا عنى فاذهبوا الان وعلموا وانذروا وبشروا الجميع واروهم طريق الخلاص * وها هوذا انا معكم الى انقضاء العالم لكى اباشر هذه الوظيفة بواسطتكم * ومن كلامه هذا الالهى قد استنتج الابا القديسون ان هذه الوصية لم توضع على التلاميذ فقط . لكونهم لم يكونوا عتيدين ان يحيوا الى انقضاء العالم . بل انها وضعت ايضًا على خلفايهم رعاة الكنيسة *

وقد اعتبرت البيعة المقدسة هذه الوصية على الدوام . وتمسكت بها لا كانها وصية عرضية اتفاقية كبعض الشرايع البشرية . بل كانها وصيةٌ متعلقةٌ ذاتًا برتبة راعى النفوس * ولهذا لما ذكر الرسول الدرجات الكنايسية الافضل شرفًا قال : واخرين رعاةً ومعلمين (افسس ٤) * مشيرًا بذلك الى ان وظيفة الراعى هى متعلقةٌ بوظيفة المعلم . وانه لا تنفصل احداهما من الاخرى * وقولى هذا هو قول جمهور الابا القديسين الذين منهم القديس ايرونيموس والقديس اوغسطينوس . والقديس انسلموس لاسيما القديس توما اللاهوتى الذى فى تفسيره هذه الاية المذكورة يقول هكذا : ان الرسول قد اقرن لفظة رعاة مع لفظة معلمين لكون وظيفة رعاة الكنيسة

تقتضى

بعـــد ان يبـــاشر وظيفة قـــذف المقـــاذيف *

✲ الفصل الثالث ✲

فى التزام راعى النفوس بتعليم رعيته الاشيا * الضرورية للخلاص *

انها لحقيقة لا يشوبها ريبٌ ولا شـكٌ اصـلاً . ان كل راعى نفوس يلتزم بتعليم رعيته التزامًا صارمًا * ولقد يلتزم بذلك اولاً من قبل الوصية الالهية . ومـن ثمه لما اتخذ السيد المسيح هذه الوظيفة قال عن نفسه : انه أُرسل لكى يبشر المساكين ويكرز بالسنة المقبولـة للرب ويوم الجزاء (لوقا ٤) * وقد تمم هذه الوصيـة فى الزمن المعين لهُ من ابيه . لانه تقدس اسمه فى الثلث السنين الاخيرة من حياته لم يتعاطَ وظيفةً اخرى سواها . ولم يزل يعلم فى المدن والقرى والبرارى والبيوت والشوارع والهيكل حتى من على البحر والجبال * ولم يفعـل ذلك الا لانه تعالى قد كان أرسل من اجل هذا السبب * ثم انه عز وجل وضع هذه الوصية على تلاميذه لما اقامـهم رعاة على النفوس والزمهم بالاقتداء بمثاله قايلاً : كما ارسلنى الاب هكذا انا ارسلكم (يوحنا ٢٠) * وهذه الوصية الموضوعة منه تعالى فى زمـن تـردده عـلى الارض جددها جهارًا امام محفلٍ غفيرٍ مـن النـاس فى يـوم صعوده المجيد بقولهِ لهم هكـذا : انى أُعطيت سلطانـًا كليًا عـلى السما وعلى الارض فاذهبـوا الان وعلمـوا كل الامم

(امثال ٢٥) * ولكن احذر من ان تصغى لاقربايك فيما يشيرون اليك فى هذا الامر * لانى قد تقدمت وقلت انه يجوز لك ان تستشير رجلاً صديقًا لا رجلاً عدوًا * والحال ان اقرباك هم اشر اعدايك نظرًا الى ما نحن فى صدده . حسب كلام السيد المسيح القايل : اعدا الانسان اهل بيته (متى ١٠) * لانهم رجاء فى انهم سيعيشون من المذبح الذى تخدمه . يحثونك على اقتبال هذه الدرجة ولو كانوا عالمين بانك عاجزٌ عن تتميم واجباتها * فاياك اذًا ثم اياك ان تستشيرهم فى هذا الامر . بل دعهم فى اسفل الجبل فيما تكون مفتكرًا فى ان تقدم ذبيحة الطاعة لله تعالى كما فعل ابرهيم فى مثل هذا الحادث * لانه ترك عبيده الذين لو يرافقونه لكانوا افرغوا جهدهم فى صدهم اياه عن اتمام ما قد كان امرهُ به ملك الله (تكوين ٢٢) فهذى هى الثلثة الانواع من الانوار التى بها يجب عليك ان تفحص عن هذا الامر العظيم * الا انه لكى تستفيد منها اوفر فايدةً . فاشير اليك بان تدع عنك كل شغلٍ وهمٍ عالمى وتنفرد مدة ما من الزمان وتتامل كل هذه الاعتبارات مقتديًا بالقديس اوغسطينوس الذى لما رام اسقفهُ ان يرسمهُ كاهنًا طلب منه باجتهادٍ بليغٍ ان يمهل عليه مقدارًا ما من الزمن . لكى يختلى ويتامل فى الانفراد واجبات هذه الدرجة المرهبة ويحسن استعداده لها * لانه كما قال هذا القديس نفسهُ : كيف يتخذ بجهلٍ وظيفة رياسة السفينة مَن لا يعلم بعد

وذلك بقوله لك باطنًا ما قالهُ لهذا الرسول : ادخل الى المدينة وهناك يُقال لك كلما ينبغى لك ان تفعلهُ * فيجب عليك حينئذٍ ان تلتجى الى نوراخرٍ ثالث * وهو الذى نستمده من الاباء الروحيين مرشدى نفوسنا * ونظرًا الى هذا المعنى قيل فى سفر تثنية الاشتراع هكذا : ان رايت الامر موهمًا وعسر عليك الحكم فاذهب الى الكهنة واصنع معما يقولونه لك (اصحاح ١٧) * الا انه فى هذا الامر الباهظ لاتستشر اى كاهنٍ كان من معلمى الاعتراف . بل التجى الى مَن يكون منهم اوفر اعتبارًا من جهة العلم والفضيلة * واظهر له حال نفسك واستعدادها لكى يمكنه ان يرشدك بامانة ما بين هذه الظلمات * وقد يستطيع على ذلك اذا ما لحظ ما قد ذكرناه انفًا من الصفات الضرورية لهذه الدرجة على وجهِ العموم . ورأى انك تعتبر هذه الدرجة اعتبارًا بليغًا . وانك مع الميل الى اقتبالها ترجو من الله تعالى ان يساعدك على اتمام واجباتها * لكون الاب الروحى سيعتدّ هذا الروح دليلاً على حقيقة دعوتك الباطنة * من اجل ان استعدادك هذا هو كشعاعٍ من الروح القدس الذى ينير عقلك لكى تعلم ماهية الدعوة التى يشا ان تسلك فيها ويضرم فيك الارادة ويحثها على قبولها بخضوعٍ وطاعة *

ثم انى لا امنعك عن التماس المشورة من رجلٍ عالمٍ صديق فطنٍ يعرف الرعية التى تفتكر فى ان تكون فيها راعيًا * لانه قد قال الحكيم : اورد امرك لصديقك

امثال

سيراخ ٣٧) وهذا الامر انما يتم بالصلوة التى ينبغى لنا ان نلتجى اليها فى حال الشك كالتجاينا الى مشيرٍ امينٍ قايلين مع يوشافاط الملك الحاصل على حال الشك والتحير: انه اذ قد خُفى عنا ولا نعلم ما يجب علينا فعلهُ فلم يبقَ لنا سوى هذه الخصلة الواحدة وهى ان نرقى لحاظنا اليك يارب (ايام ثانى ٢٠) * فانتصب اذًا مرات كثيرة امام العزة الالهية باتضاعٍ بليغٍ . واطلب منه تعالى ان يريك مقاصد عنايته الالهية فيك . هاتفًا من صميم قلبك مع ارميا النبى هكذا : انى عارف يارب ان ليس للانسان ان يختار طريقه . وليس فى طاقته ان يسلك ويرشد خطواته (ارميا ١٠) * فعلى هذا المنوال سل الله تعالى ان يرشدك ويريك الطريق التى يشاء ان تسلك فيها . وقدم له على هذه النية ذبيحة القداس الالهى مرات كثيرة * وقبل تناولك القربان المقدس اضرع اليه تعالى بحسن عبادة هكذا : عرفنى يارب الطريق التى تشا ان اسلك فيها . لانى اليك رفعت نفسى (مزمور ١٤٢) * واتخذ لك فى هذا الامر شفيعةً العذرا المجيدة . وقدم لها بعض صلوات وتقشفات * واستغث ايضًا بملاكك الحارس والقديسين الذين انت متعبد لهم تعبدًا خصوصيًا * ولا تهمل شيًا ما من كلما يمكنك فى هذا الامر العظيم *

ولكن اذا كان الله تعالى لا يجيبك حينما تصرخ اليه بقولك لهُ : ماذا تريد يارب ان اصنع (ابركسيس ٢٢) * بل اراد ان يجيبك على لسان نايبه كما فعل بشاول . وذلك

اليوم فيها معلمًا ومرشدًا * وان الذى كان بالامس عار الديانه ما بين العوام يكون اليوم شرفها ما بين الاكيريكيين * مَن ذا الذى يتحقق ان هولاء حصلوا فى يوم واحد قديسين . فكيف يرتفع الى منبر المعلمين اناسٌ لم يتعلموا بعد هجا العلم . ولم ياتوا الى الكهنوت بشىء مما تحتاج اليه هذه الدرجة سوى الارادة فى قبولها * والحال ان الذى يُسلم بين يديه تدبير النفوس يجب ان يكون قد جرَّب ذاته زمانًا مديدًا . كما هو محررٌ فى كتاب القوانين البيعية *

فهذه هى الاعتبارات التى يجب ان نجلس حسب تعليم الانجيل المقدس ونتاملها بواسطة النور الطبيعى النطقى والنور السماوى الممنوح لنا من الله لكى نعلم مشيته تعالى نظرًا الى اختيار الدعوة *

الا انه من حين ان نظرنا العقلى قصيرٌ وضعيفٌ وافكارنا جزوعةٌ وفطنتنا خطرة (حكمة ٩) * فمن ثمه يجب علينا بالا نكتفى بالنور الاول . بل فلنزد عليه نورًا اخر ايمن وافضل كمالاً . اعنى بذلك انه بعد ان تكون فكرت فى الامر جيدًا . وقبل ان تختار شيًا فينبغى لك ان تلتجى الى الله تعالى وتستشيره وترغب اليه فى ان يرشدك . من اجل ان تفلسفك ولحظك النطقى ان كان ليس هو بكفيف . فقل ما يكون له نور عين واحدة وضعيف جدًا * فهذا هو الذى يشير اليه الحكيم بقوله : تضرع الى العلى لكى يهديك فى الطريق المستقيمة (ابن سيراخ

هذا الصدد هكذا : ان مَن يرغب التراوس الكنايسى راجيًا انه فيما بعد يمارس الافعال الصالحة . فانه غالبًا يخدع ضميره بهذا الوعد الباطل * وليس ذلك بعجبٍ لكون الامر المستقبل لا يخيف ولو مهما كان عسرًا . من اجل ان الانسان لا يعقل الشى الا بحسبما هو متصور فى مخيلته * ومن ثمه سهل لديه ان يعد بفعل اشيا سامية * اما اذا حضر ذلك الشى فانه يرهب الانسان ويرجفهُ فرقًا . ويتحقق وقتيذٍ ان وعده كان خيالاً وطغيانًا * فاذًا السيرة الصالحة الملتزم بها راعى النفوس ينبغى لها ان تكون صادرة عن ملكة صالحة * ومن اجل هذا السبب تهتف بيعة الله المقدسة فى كتاب قوانينها نحو مَن يقصد الدرجة الاكليريكية قايلةً هكذا : ليقايس قوته مع الحمل العتيد ان يحمله * وقال ابن سيراخ : يا بنى جرّب نفسك فى حياتك فان وجدتها شريرة لا تعطها سلطانًا (اصحاح ٣٧) * ثم اعتبر انه ليس شىء نافعًا للكل . وانه لامرٌ سهلٌ حدوثه ان تفقد فى الدرجة الاكليريكية ما قد كنت ربحته من الفضيلة قبلاً * وانه لامرٌ عسرٌ ان تزيد عليها شيًا من الكمال حسب تعليم القديس غريغوريوس . من ذا الذى يصدق ان الذى كان امس سيمن الساحر يضحى اليوم سمعان بطرس كما سُطر فى كتاب قوانيين الكنيسة * من ذا الذى يعتقد ان من كان قبل هنيهة يسيرة يحارب السيد المسيح قد اصبح اليوم اهلاً لان يكون قايد جيشه * وان مَن لم يكن امس تلميذًا فى مدرسة العبادة يكون اليوم

شيء يستطيع ان يغنى عنها * قال المجمع التريدنتى المقدس : ليكن الاكليريكيون متقدمين على العامة بصلاح السيرة بمقدار تقدم درجتهم على الوظايف العالمية . والحال ان رتبة الاكليريكى هى افضل جدًا جدًا من كل رتبة عالمية * فاذًا ما اكثر ما يجب ان تكون سيرة الاكليريكى افضل كمالاً من سيرة العلمانى * ولا ريب فى ان الذى لم يصلح الشر فى ذاته لا يستطيع يصلحه فى غيره * هل يستطيع شيء دنس يطهّر غيره من الدنس (ابن سيراخ ٣٤) *

فيعلم اذًا الاكليريكى راعى الشعب المسيحى انه ينبغى لهُ ان يكون على هذه الحال . اى ان تكون عيشته الاعتيادية بحسب الوصايا الالهية * قال القديس بطرس داميانوس : الويل لمن تستحق عيشته اللوم . الويل للذى يأثم اعظم من هذا الاثم وهو انه يرغب رتبةً تلزمه بسيرة ناجية من كل لوم * وقال القديس توما اللاهوتى : انه حينما يختار الله احدًا لوظيفة ما . فانه تعالى يعده على نوع ما بان يصيره قابلًا لمباشرة تلك الوظيفة التى قد اختاره لمباشرتها * وذلك من اجل انه تعالى يريد ان تكون خدام اسراره ذوى صيت حسن *

فالناتج من هذا كله انه باطلًا يعتذر من يطمن نفسه بقوله هكذا : انى اذا ما حصلت اكليريكيًا فحينئذٍ اغيّر سيرتى واصلحها . بل انه يجب عليه ان يكون قد غيرها واصلحها قبلًا * وقال القديس غريغوريوس فى هذا

فهذا العوسج الخالى من كل ثمرة والراغب التسلط يشير الى الانسان الذى مع كونه خاليًا من العلم الواجب يقبل بل يرغب الدرجة الاكليريكية التى تلزمه بتعليم الشعب الذى قد اوصاه الله سبحانه بتعليمه * وان سالت مثل هذا لِمَ لا تعلم الشعب . فيعتذر قايلًا : كيف ارعى الشعب بكلام الله تعالى وانا عديم العلم * ولكن يا للعجب ان كان هو هكذا اى خاليًا من العلم فلماذا جلس على كرسى التعليم . لماذا جعل نفسه قايدًا وهو كفيف النظر * فمن كانت هذه الحال حالهُ فلا يجوز له ان يقبل هذه الرتبة . وان طلبه الشعب راعيًا له فليعجبهم بما سُطر فى سفر اشعيا النبى قايلًا : لاتقيموني ريسًا عليكم ولا مدبرًا لانى لستُ بطبيبٍ وفى بيتى لا يوجد خبزٌ لا خبرةَ لى فى مداواة النفوس حين امراضها ولا مونة لى لاعولهم بها فى حين صحتهم (اصحاح ٣) *

اما الشئ الاخر الخاص والاكثر ضرورةً من الاول لبناء البرج المذكور هو صلاح السيرة . من اجل ان وجود منارة غير مضية لا يشين سماء بيعة الله تعالى بمقدار ما تشينها منارةٌ تنبعث منها رايحةٌ كريهةٌ مسمومةٌ * انه لمن الممكن ان الخبرة التى تُكتسَب قليلًا قليلًا بممارسة العمل تغنى عن العلم نظرًا الى اشيا كثيرة . لاسيما حينما يكون قلب الاكليريكى متصفًا بالمحبة الالهية التى تجعل الكاهن الغيور فهيمًا . ولهذا قيل فى كتب قوانين الكنيسة : ان كمال المحبة يغنى عن نقص العلم . اما المحبة فلا يوجد

شى

المدخول الدنيوى . لانه حين يكون التعب اعظم فهناك يجب ان يكون المدخول اوفر ايضًا * الا انه ينبغى لكم ان تلاحظوا هذا بالعين اليسرى لا بالعين اليمنى * فلا يكن اذًا مدخول الدرجة هو غاية قبولكم اياها . بل ليكن لكم ذلك محركًا فقط اى حجة ما تحتكم على اقتبالها * وان جعلتم هذا المدخول غايتكم فلا تكن الغاية الخاصة بل الغاية العرضية *

فهذا هو الذى يجب ان يرغبه مَن قد قصد ان يبنى البرج الانجيلى الجزيل سموه المتصلة قمتهُ حتى السما * ثم انه يجب عليك ايضًا ان تفحص عن النفقة الضرورية لهذا البناء السامى حسب قولهِ تعالى : يجلس ويحسب النفقة وهل لهُ ما يتممهُ (لوقا ١٤) * اما النفقة فهى المزايا التى تصيّر الانسان قابلًا لان يباشر الرتبة الاكليريكية جيدًا وهى العلم . والصلاح . والعمر الواجب * لكون الكنيسة قد رسمت فى قوانينها قايلةً هكذا : لا يقبل احد درجة رعاية النفوس قبل ان يكون بلغ من العمر خمس وعشرين سنة * وليكن متصفًا بعلمٍ واجبٍ وسيرةٍ صالحة *

قد ذُكر فى سفر القضاة ان الاشجار طلبت من الزيتون ثم من التين ان يكون احدهما متسلطًا عليها . فابى الاثنان عن قبول هذا الشرف مع كونهما شجرتين جيدتين * اما العوسج فحينما دُعى الى التراوس قال للاشجار حالًا : ايتوا واستريحوا تحت ظلى (اصحاح ٩)* فهذا

برنردوس فى هذا الصدد : ان الراعى الصالح لا يرعى لكى يا كل بل انما يا كل لكى يرعى * فلا نعكس اذًا الامر وذلك بجعلنا الغاية واسطةً والواسطة غايةً . واذا بنينا برجًا فلنبنهِ لمجد الله عز وجل لا لمجدنا الذاتى . مقتدين بتعليم القديس اوغسطينوس القايل : لا نقبل يا اخوتى وظيفة راعى النفوس بروح الكبريا ورغبة التسلط . بل بروح الرحمة وقصد المساعدة والخدمة * لان الكبريا هى التى ادخلت الى الكنيسة المقدسة رعاةً اراذل . وهى التى تصيّر الان الرعاة خاينين * واقول على الاطلاق انه ينبغى ان تكون الغاية بكليتها روحية لا ارضية البتة * لانهُ من حيث انه فى كل رتبة ملايمة رعاية النفوس توجد ثلثة اشيا . اعنى اولاً تعب العمل الملاحظ خلاص النفوس * ثانيًا تراس الدرجة الممنوح لمباشرة هذا العمل * ثالثًا مدخول الدرجة المتعلق بالتراوس * فمن ثمه من قد اقتبل رتبة الرعاية وجعل المدخول غايته فهو رجلٌ محب المال * وان صيَّر التراوس غايته فانه انسانٌ محب العظمة * وان اخذ العمل غايته فتكون غايته هذه هى الغاية الحميدة الوحيدة * ان القديس غريغوريوس لما تامل هذه الاية وهى قول الرسول : مَن يطلب الاسقفية يطلب شيًا حسنًا (تيموثاوس ٣) * قال : انى امدح ما تطلبونه الا انى اريدكم ان تعلموا ما الذى تلتمسونه . وهو التعب المتعلق بالدرجة الاكليريكية لا ارباحها ولا شرف اختصاصاتها * لا اقول انه لا يجوز لكم مطلقًا ان تلاحظوا المدخول

مع سجس وتلهوج . بل بعقل هادى صاحٍ ناجٍ من كل محبة ذانية * لانه من هذا المعين اعنى به الحب الذاتى لانستطيع ان تستقى نقطةً واحدةً من ماء زلال نقى * فبعد ان تكون نفسك على هذه الحال اعتبر هل تطلب الدرجة الاكليريكية ورتبة رعاية النفوس لاجل الغاية المرسومة من السيد المسيح . لكون الغاية هى الشى الذى ينبغى لنا ان نلاحظه اولاً فى كل امر * فما هى اذاً الغاية التى لاجلها رسم الله تعالى المراتب الكنايسية واقام الكهنة لمباشرتها * انه جلّت عزته قد اقام الكاهن ديدبانًا وحارسًا على اهل كنيسته حسب قوله لحزقيال النبى : انى جعلتك ديدبانًا لآل اسرايل (اصحاح ٣) * فاياك اذًا ان تلتفت نحو غايةٍ اخرى ارضية . اياك ان تصغى لصوت المحبة الذاتية او لرغبة اقربايك فقرا كانوا او اغنيا . لان السيد المسيح لم يرسل الدرجات الاكليريكية من اجل هذه المقاصد * اسدد اذنيك ليلا تسمع صوت الدم لانك بتصامك هذا تحصل اهلاً كما قال النبى لان تسكن فى العلاء (اشعيا ٣٣) * اى فى برج الدرجة الاكليريكة *

الا انه لا يكفيك ان تسد اذنيك عن استماع صوت الاقربا فقط : بل يلزمك ان تسدهما عن استماع صوت المحبة الذاتية ايضًا * ونظرًا الى هذا المعنى قد قيل فى كتاب قوانين الكنيسة هكذا : من يخدم كنيسة الله لاجل الزمنيات فهذا اجيرٌ لا راعٍ * وقال ايضًا القديس

تلك التى لا بدّ من معرفتها لاتقان اختيار الدعوة * فترى البعض من الناس يشبهون صمويل حالة كونه غلامًا الذى لما سمع صوت الله احتسبه صوت بشرٍ * وترى غيرهم (وهولاء اكثر عدداً من اوليك) يعتدون صوتًا الهيًا ذلك الصوت البارز من فم بشرى . اوذاك الذى تكون المحبة الذاتية صوّتت به *

فلذلك احتاج الامر الى ان نقدّم لك قياسًا ما تستطيع ان تعرف به مقاصد الله تعالى فيك لكى تتممها . لاسيما فيما يخص الدعوة الاكليريكية . ووظيفة تدبير النفوس التى قد سماها المجمع التريدنتى حملاً تعجز عن حمله مناكب الملبكة فنقول *

اعلم ان الله سبحانه قد وهبنا ثلاثة انواع من الانوار لكى نعلم بها ارادته عز وجل * فالنور الاول هو باطل موجود فينا وهو انذار العقل النطقى والتفلسف بحسب نور هذا العقل * النور الثانى هو فوقنا وهى الصلوة * والثالث هو حولنا وهو طلب المشورة . ولقد يجب على ابناء النور ان يستعملوا جميع هذه الانوار لكى يعلموا الرضوان الالهى كقول الرسول : اسعوا كبنى النور ممتحنين رضوان الله (افسس ٥) *

فتفلسف اذًا وقل مع السيد المسيح هكذا : مَن قصد ان يبنى برجًا فانه يجلس اولاً ويحسب النفقة الضرورية لهُ وهل لهُ ما يحتاج اليه هذا البناء (لوقا ١٤) * ثم اجلس وافتكر متانيًا لان امرك هذا يقتضى ان تتامله لا بسرعة

فيجب اذًا قبل كل شيء على مَن يقصد وظيفة اكليريكية ان يعلم يقينًا ان الله سبحانه هو الذى يدعوه اليها * على انه لضربٌ من الغباوة والقحة ان يدخلها انسانٌ من غير ان يدعوه الله اليها * ثم انه لضربٌ من العناد الردى ان يابى عن قبولها مَن يدعوه تعالى اليها * وفى هذا الصدد قال القديس برنردوس متفلسفًا هكذا : ان الله سبحانه ربما يدعوك فمن ذا يتجاسر على ان يصدك . ولربما انه تعالى لا يدعوك فمَن ذا يشير اليك بالتقدم الى هذه الدرجة * وانما ذكرنا هنا هذه القضية لكى نزيل ضلال بعض انفار الذين مع انهم يكونون مدعوين الى درجة كنايسية دعوةً حقيقيةً . فمع ذلك يظنون بانهم اذا ضادوا روسا الكنيسة المقدسة يفعلون امرًا حميدًا مقبولاً لدى الله تعالى * فليصغَ اذًا مَن هو هكذا الى ما نخاطبه به البيعة المقدسة فى قوانينها قايلةً : ان طلبت منك كنيسة الله خدمة ما فاحذر من ان تقبلها بروح العجرفة * واياك ايضًا ان تابى عنها بروح الكسل والتراخى *

❋ الفصل الثانى ❋

فى العلامات والدلايل التى بها يستطيع الانسان ان يعرف ان كان الله تعالى هو الذى يدعوه الى * درجة الاكليريكية *

انه ليس فى قدرة كل انسانٍ ان يفهم اللغات السماوية تلك

كما قال القديس كبريانوس تعين الجميع حسب ترتيبها لا كحسب ترتيبنا * وهذا التعليم يلاحظ على وجه خاص طغمة الكهنة الملتزمين بخدمة النفوس . من اجل انه هنا اى فى هذه الوظيفة يوجد حسب كلام المعلم اللاهوتى خطرٌ عظيمٌ جدًا . اى مخاطرة انسان مع كونه عاجزًا عن ان يودّى الحساب عن نفسه . يلتزم بادأ الحساب عن افعال الغير * تامل ما اكثر ما يصعب على الانسان امر خلاص نفسه . فكيف اذًا يتجاسر على الارتقا الى رتبة تلزمه بتخليص النفوس وذلك من دون كل دعوة الهية * ليت شعرى من يجترى على ان يتخذ لنفسه وظيفةً فى بلاط احد الملوك من غير اذن الملك . والحال ان الذين يدخلون فى الدعوة الكهنوتية من دون دعوة الهية . فانهم انما يتخذون لنفوسهم اشرف وظايف كنيسة الله من غير ارتضايه تعالى * وعنهم قد قال عز قولهُ على لسان هوشع نبيه . انكم اتخذتم لانفسكم الرياسة الملوكية من دون رضاى بذلك (اصحاح ٨) * فهذا هو الذى يفعله كل مَن يتخذ لنفسه الدرجة الاكليريكية من غير اذنه تعالى رب هذه الوظيفة وريسها . ومن دون عون الفضايل وبغير دعوة الهية كما قال القديس غريغوريوس بل بمجرد هواه لاغير * وبالنتيجة يستحق من الله تعالى ان يمقتهُ ويرذلهُ ويعذبه كما يستحق ذلك من اختص لنفسه وظيفةً شريفةً فى البلاط الملوكى من دون اذن الملك ورضاه بذلك *

كيفية الدعوات وميلان اصحابها الغريزى لكى يفوزوا بالخلاص *

فالناتج اذًا من ذلك هو ان الانسان الغير المتمسك بالدعوة التى كان يجتذبه اليها الله تعالى . والداخل فى دعوةٍ اخرى غير مرسومة منه عزّ وجل لا يُعطَى النعمة الملايمة لهذه الوظيفة * ومن ثُم يهلك اولًا لانه لم يباشرها كما كان واجبًا عليه * وثانيًا لانه لم يرد ان يدخل الطريقة المنهجة لهُ من الله . والمرسومة منه تعالى * ليت شعرى ماذا تكون اخرة مثل هذا الشخص الا اخرة رجل اعمى لا يريد ان يقوده احد . لا جرمَ انه يسقط فى الهاوية * فحسنًا اذًا وبالصواب جدًا قد اوصى الرسول كلَّ من المومنين بان يسعى فى الدعوة التى اليها دُعى من الله (قرنتيه اولى ٧) * لانه بدون عونه تعالى لا نعلم ما الذى يصدر منا * خبرنا الكتاب المقدس ان قومًا من الاسرايليين ارادوا ان يذهبوا بروح الفخفخة ليحاربوا العمالقة والكنعانيين فنهاهم موسى الكليم قايلًا لهم : لاتصعدوا لان الرب ليس هو معكم (اعداد ١٣) * فلم يذعنوا اوليك بل مضوا وفعلوا بحسب هواهم لا بحسب الدعوة الالهية * فمن ثُم نهضت عليهم الاعداء وقتلوا بعضًا منهم والباقون ولّوا مدبرين * فيجب اذًا علينا ان نسعى فى هذا الامر بفطنة وننظر ما الذى يريده الله منا . مقتدين بمشورة الرسول القايل : احسنوا الفطنة وانظروا ما هى ارادة الله (افسس ٥) * لان النعمة الالهية

كما

❊ الجزء الاول ❊

فى واجبات الكاهن ويتضمن ثلثة وعشرين فصلاً

الفصل الاول

فى عظم الخطر الذى يحصل فيه مَن يرتفع الى درجة
* رعاية النفوس من دون دعوة الهية *

انه كما ان الذى يضل فى اختيار الطريق الامين يزداد ضلالاً ويتوه زايغًا بمقدار ما يستمر سالكًا فى ذلك الطريق * هكذا يجرى الامر فى مَن يختار لنفسه دعوةً * لان الدعوة هى الطريق التى تبلغ الانسان الى الوطن السماوى * فاذًا ياما اكثر ما يخاطر بنفسه من يختار دعوةً بلا تمييز* على ان الله تعالى الذى رسم لكلٍ منا الغاية التى خلقه لاجلها اعنى بها الخلاص الابدى حسب قولهِ العزيز بفم رسولهِ الهاتف: ان الله يريد ان يخلص الجميع (تيموثاوس اولى ٢) * فانه سبحانه رسم ايضًا الوسايط الاوفر مناسبةً وفاعليةً لبلوغ هذه الغاية * ولا ريب فى ان اخص هذه الوسايط انما هى الدعوات والوظايف والرتب المختلفة * نعم ان هذه الوسايط البعيدة هى غير كافيةٍ بمفردها لبلوغ الخلاص . الا انه مع ذلك تتبعها بسهولةٍ الوسايط الاخر اعنى بها الوسايط القريبة . من اجل انه مع هذه الدعوات التى هى فى مقام العون الخارج . يوفق الله تعالى على نوع عجيبٍ العون الباطن . حسبما تقتضى كيفية

اعلم ان واجبات الكاهن راعى الشعب المسيحى تشتمل على ثلثة اشيا. قد يستبين لنا ان السيد المسيح اشار اليها بقوله للقديس بطرس الرسول ثلث مراتٍ : ارعَ خرافى * لانه يجب عليهِ اى على الكاهن ان يرعى شعبه تعالى بالتعليم . والمثال . والاسرار * وهذا الذى سنوضحهُ فى الجزء الاول من هذا الكتاب * ولان مناولة الكاهن سر التوبة تقتضى تعليمًا خصوصيًا مستطيلًا . فابقينا ذلك الى الجزء الثانى من هذا التاليف * فاذًا يلتزم الكاهن راعى النفوس اولاً بان يعلم الشعب المستودَع لهُ * ثانيًا بان يتقدمه بالمثال الصالح * ثالثًا بان يسعفة بمناولة الاسرار الالهية * هذا ما قالهُ القديس توما اللاهوتى . الا اننى اضرعُ الى سيدنا يسوع المسيح راعى الرعاة فى ان يهب روحه لجميع رعاة كنيسته . ويوهلهم بنعمته لان يباشروا وظيفتهم حسنًا لكى ينالوا تاج المجد الذى لا يفنى * ولا يضمحل *



الاسقف ان يرعى الخراف بمثال جميع الافعال الصالحة * ثم يقول فى اثنا ذلك هكذا : ان السينودس المقدس يقدم هذا التعليم نفسهُ للخورنة الخاضعين للاساقفة ويامرهم بالتمسك بهِ * ولهذا قد ذهب جمهور المعلمين اللاهوتيين الى ان درجة الكاهن راعى الشعب المسيحى تقتنى منه كمالًا اعظم من ذلك الكمال الذى يلتزم بهِ الراهب من قبل دعوتهِ . وذلك من حيث ان دعوة الراهب كما قال الانبا سوارس تلزمه بالاجتهاد فى اكتساب الكمال. اما دعوة الكاهن فانها تلزمه بممارستهِ والسلوك به . وبالنتيجة ان حال الراهب هى حال من هو ساعٍ فى اكتساب الكمال . اما حال الكاهن فانها حال من قد فاز بهِ ويمارسه بالعمل . ولهذا قال المعلم المليكى ان خطية الرجل الاكليريكى هى اعظم جرمًا من خطية الراهب الغير الاكليريكى * فقد ضلَّ اذًا الاكليريكى الذى لا يتدرب بحسب هذا القياس المقدم لنا من الكنيسة. بل بحسب مثال اكثر الاكليريكيين المنحرفين عن محجة هذا التعليم * وقد ضل ايضًا مَن يظن بنفسهِ انه سالكٌ فى طريق امين من اجل كونهِ سالكًا فى اثار الجمهور* قال القديس اوغسطينوس مخاطبًا : لماذا ترصد ما يفعله الغير ولا تفطن فيما اوصاك الله فيهِ * وهذا التعليم انما يلاحظ اوليك الذين لا يعقلون عظم وقر واجبات الكاهن التى اوردها لنا الروح القدس فى المجامع المقدسة . وعلى افواه الاباء القديسين . وها هوذا نحن الان نشرع فى ايضاحها فنقول * اعلم

❁ المقدمة ❁

للمولف فى بيان حال الكاهن راعى النفوس وما تشتمل عليه دعوته *

انه من اعظم النعم التى قد تقدم الله تعالى فوعد بها الكنيسة المقدسة قبل ظهورها . هى النعمة التى اخبرنا بها على لسان ارميا النبى قايلًا : انى سامنحكم رعاةً يكونون نظير قلبى (ارميا ٣) . لانه بهم اعنى برعاة الكنيسة يتعلق خير الشعب الاعظم * حسبما سُطر فى سفر يهوديت : انكم كهنة شعب الله وخلاص نفوسهم يتعلق بكم (اصحاح ٨) . لكون الكاهن يشبه المرآة الجلى التى اذا ما حييت لا تحيى لنفسها فقط . واذا ما توفيت لا تتوفى وحدها * ولهذا لما شرع بطرس الرسول يعلّم خدام الكنيسة قال لهم هكذا : ارعوا رعية الله التى فيكم (بطرس اولى ٥) * مشيرًا بذلك الى ان كل خير الرعية يتعلق بمَن استودعت لهُ * ولذلك يكون قد عمل عملًا مفيدًا جدًا لكنيسة الله تعالى من يصير بتعليمه كاهنًا قابلًا لان يرعى قطيع السيد المسيح حسنًا * لانه بهذا يكون قد ربح لهُ تعالى نفوسًا كثيرة * غير انى بتاليفى هذا الكتاب لم اقصد ان اقدم لارشاد كهنة الله تعليمًا قد اخترعه عقلى . بل انما اورد لهم ما قد رايته فى كتب الاباء القديسين مفيدًا لهذا الغرض *

قال المجمع التريدنتى المقدس : انه ليجب على الاسقف

يحل بى ما حل بذلك العبد * وشرعت حينيذٍ بان استخرجهُ من اللغة الطليانية الى اللغة العربية * رغبةً فى ان تجتنى من غياضه الطغمة الكهنوتية * ما يحلو لديهم من اثمار تعاليمه الواضحة الشهية * فعليك بمطالعتهِ يا ايها الاخ الجليل والاب الفاضل النبيل * وان كنت ممن قد تمهر فى العلوم الفلسفية واللاهوتية * وقد كان ذلك فى مدينة حلب المحمية * سنة ١٧٣٤ مسيحية *

نسالهِ تعالى ان يمنَّ علـى
مطالعيه بنعمة العمل
* بما فيهِ امين *

❁ بسم الاب والابن والروح ❁
❁ القدس الاله الواحد ❁

الحمد لله الذى ارشد ارباب الكهنوت بسنا مواهبه الالهية * وانار ابصار بصايرهم بنبراس شريعته المسيحية * فاضحوا كالكواكب الساطعة البهية * ينيرون النفوس باشعة رعايتهم الامينة الحقيقية * حمدًا يوهلنا لنيل الافادة من تاثير تعاليمهم الواضحة الوضية * ويعدنا لاقتبال اسرار بيعته على اكمل طريق من ايديهم الطاهرة النقية * بشفاعة من قد تكنت بالنجمة البحرية * اعنى بها مريم البكر مرشدة الضاليين . فى يم هذه الدنيا الدنية امين *

وبعدُ فيقول الاب الاكرم البادرى بطرس فرماج المحترم * احد الرهبنة اليسوعية المتلالية ببهاء العلم والعمل فى بيعة الله الكاثوليكية * انى فيما كنت امعن النظر فى كتب العلماء الاقدمين * واجيل طرفى فى دساتير الآبا المتاخرين * رايت فى خزانة بيعة الله درة يتيمة تعزّ عن ان تعادلها قيمة * وهى الكتاب المولف من الانبا بولس سينيرى اليسوعى المدعو منه مرشد الكاهن * المتاسس على مراسيم الابا الاطهار وتعليمهم الاكيد الراهن * ولكونى عالمًا بانه تعالى قد شجب ذلك العبد الكسلان الذى اخفى وزنة مولاه ولم يظهرها للعيان * فلذلك اضطررت بان اشمر عن ساعد العزم والجد * خوفًا من ان يحل

كتابُ
مرشد الكاهن



المزمور ٢٩ * اعليك يارب لانك احتضنتنى .
تشمت بي اعدای . یاربی والهی الیك صرخت فشفیتنی
یارب اصعدت من الجحیم نفسی وخلصتنی من الهابطین
فی الجب . رتلوا للرب یا ابراره واعترفوا لذکر قدسه .
لان سخطًا فی غضبه وحیاةً فی رضاه . بالعشی یحل
البکا وبالغداة السرور . انا قلت فی نعیمی لا اتقلقل
الی الدهر . یارب بمشیتك اعطیت جمالی قوةً . فاذ
اصرفت وجهك عنی صرت قلقًا . الیك یارب اصرخ
والی الهی اتضرع . ایة منفعة فی دمی اذا نزلت الی
الهلاك . هل یعترف لك التراب ام یخبر بحقك . سمع
الرب فرحمنی . الرب صار معینی * رددت
نوحی الی فرح لی . وخرقت مسحی وشددت
حقوی بالفرح . لکیما ارتل لك بمجیدی
ولا اندم . یا ربی والهی الی الابد
* اعترف لك *



التوبة. واذ كنت انا يا سيدى عاجزًا عن ذلك من دون عونك الالهى. فلهذا انا اسالك بحق رحمتك الغير المتناهية وجودك الغير الموصوف ان توطد عزمى وتثبت مقاصدى. وتاييد ارادتى. وتقدرنى بنعمة التوفيق على ان اصدر توبة نصوحة. والا اغيظك فيما سيانى ابدًا * اينها البتول الكلية الطهارة. يا ملجا الخطاه وسلطانة المعترفين انى اسالك ان تستمدى لى من ابنك الحبيب توبة حقيقية. وندامة شديدة. ونموًا فى الفضايل. وثباتًا فى الاعمال الصالحة الى النفس الاخير * ايها القديسون شفعاى اسرعوا الى اغاثتى. والتمسوا لى هذه النعمة من الله *

ان الكاهن بعد ان يكون تمم اعترافه يذهب الى موضعه ويفى قانونه سريعًا (ام فى الوقت المعين له من المرشد) بكل حرص واجتهاد. ويعمل فعل الشكر لله الذى غفر له بواسطة هذا الاعتراف وهذا القانون. وحينيذٍ يمكنه ان يتلو هذين المزمورين *

المزمور ٢٢ * الرب يرعانى فلا يعوزنى شى. فى مكان خضرة هناك اسكننى. على ما الراحة ربانى رد نفسى. وهدانى الى سبيل البر من اجل اسمه. ان انا مشيت فى وسط ظلال الموت فلا اخشى الشر لانك معى. عصاك وقضيبك هما يعزيانى. هيات قدامى مايدة مقابل الذين يحزنونى دهنت بالدهن راسى. وكاسك تسكرنى كالصرف. ورحمتك تظللنى جميع ايام حياتى. لكيما اسكن فى بيت الرب الى طول الايام *

المزمور

واصغرت قيمتى وشانى . واحزنتك يايسوع الحبيب واضعت الامك وصلبك عنى . واسلمتك نظير يوضاس الدافع . وجحدتك بنوعٍ يفوق جدًا جحود بطرس شناعةً . وصلبتك ثانية كاليهود . ترى ماذا يمكنى ان اقول الان ياالهى وخيرى الاعظم وخالقى وحافظى ومخلصى الصالح الراوف سوى هذه الكلمة فقط : اخطات يارب . وحقًا اننى اثمت . فانت يا ايها الرحوم الذى لا تشا بموت الخاطى . بل ان يتوب ويرجع من طريقه الردية ويحيى . هبنى نعمةً لاعود اليك ثانيًا . وامنحنى توجعًا عظيمًا . وندامةً شديدة على مافرط منى من الذنوب والزلات التى امقتها من صميم قلبى . واروم بغضها بمقدار ما تبغضها انت وترذلها . لكونها تسبب اهانة لصلاحك الغير المتناهى وجودك الغير الموصوف . وتعدمنى النعيم . وتورثنى الجحيم . فانا امقت جميع خطاياى المميتة والعرضية المعترَف بها والمنسية . والمفعولة من حينما استطعت تمييز الخير والشر الى هذه الساعة ضد وصاياك ووصايا كنيستك . وضد واجباتى . واعزم عزمًا ثابتًا قلبيًا بعدم الرجوع اليها فانت يا الهى لاتسمح ان اغضبك ابدًا فيما سياتى . اننى لارتضى بالموت ولا بالخطية . فاسمح ياسيدى بان اموت الف ميتة ولا ان اسقط فى الخطية المميتة . انى اقصد يا الهى من الان فصاعدًا اجتناب الخطايا العرضية ايضًا . واستعمال الوسايط الضرورية للامتناع عن كل خطية . كما انى اعزم وارغب الوفا عن جرايمى وسياتى التى اقترفتها بواسطة ممارسة اعمال التوبة .

كل حينٍ . لانى انا اخبر باسيتى . واهتم من اجل خطيتى . اعدائى احيا وهم اشد منى . وقد كثر الذين يبغضونى ظلمًا . الذين جازونى بدل الخير شرًا محلوا بي على ابتغائى الصلاح . فلاتهملنى ياربي والهى ولاتتباعد عنى . التفت الى معونتى ياالله خلاصى *

* ابتهال اخر *

انا اخرّ امامك ساجدًا ياربي والهى واقر معترفًا بانك انت خالقى ومولاى ومخلصى وفادىّ وغايتى القصوى . فانت الذى منحتنى الحيوة والجسد والروح وساير الخيرات . وكافة المواهب الروحية والجسدية معًا . انت الذى اجزلتنى نعمًا وحفظتنى بمجرد محبتك الى الزمن الحاضر . فمن ثم كان ينبغى لى ان اشكرك بلا فتور وامدحك بغير انقطاع . واحبك بغير انتهاء . غير انى انا الشقى الخاين الناكر الجميل والفاقد المعروف قد اهنت بانواعٍ مختلفة ومرات كثيرة عزتك الرهيبة وجودك الغير الموصوف . انى اهنتك كمسيحى . واحتقرتك ككاهن . وذلك بالفكر والقول والفعل والاهمال والمثال الردى . انه لو يحتقرك احد العامة بما اهنتك انا به . لكان ذلك منه اثمًا غير محتمل . فماذا يكون اثمى انا الكاهن الذى هو احد اهل مقدسك . ولذلك حينما اتامل كثرة ذنوبي واتحقق شناعة مااثمى وسماجة قبايحى ارتعد فرقًا . ولاتوجد لجة عميقة استطيع ان اختفى فيها لافراط خجلى من اسيتى اليك . فانا المنكود حظى قد اذللت طبيعتى واحتقرتها . واخفضت مقامى واصغرت

تكج فكوك الذين لا يدنون اليك. كثيرة هى نكبات الخاطى والذى يتكل على الرب الرحمة تحيط به. افرحوا ايها الصديقون بالرب وابتهجوا. ولتفتخر كل المستقيمة قلوبهم *

المزمور ٣٧ * يارب لا بغضبك توخنى ولا برجزك تودبنى. لان سهامك قد انغرست فىَّ ومكنت علىَّ يدك. ليس شفاء لجسدى من وجه رجزك. ولا سلامة فى عظامى من وجه خطاياى. لان مااثمى قد تعالت فوق راسى. مثل حمل ثقيل قد ثقلت علىَّ. قد نتنت وفاحت جراحاتى من قبل جهالتى. شقيت وانحنيت الى الانقضا. واليوم كله مشيت عابسًا. لان كليتى قد امتلاتا عارًا. وليس لجسدى شفا. شقيت وانضعت جدًا. وكنت انين من تنهد قلبى. يارب امامك هى كل شهوتى. وتنهدى عنك لم يخفَ. قد اضطرب فىَّ قلبى وفارقتنى قوتى. ونور عينى لم يبقَ معى. اصدقاى واقربای دنوا منى ووقفوا مقابلى. وجنسى وقف منى بعيدًا. واجهدنى الذين يطلبون نفسى والملتمسون لى الشر تكلموا بالباطل. وغشوشًا طول النهار درسوا. اما انا فكاصم لا يسمع ومثل اخرس لا يفتح فاه. وكنت مثل انسان لا يسمع. ولا فى فمه تبكيت. لانى عليك يارب توكلت. انت استجب لى ياربي والهى. لانى قلت لا تشمت بي اعداى. وعند مازلت قدماى عظموا علىّ الكلام. لانى انا للضرب مستعد. ووجعى مقابلى فى كل

المزمور ٦ * يارب لا بغضبك توبخنى ولا برجزك تودبنى . ارحمنى يارب فانى ضعيف . اشفنى يارب فان قد اضطربت عظامى ونفسى قد انزعجت جدًا . وانت يارب فحتى متى . عد يارب ونجّ نفسى وخلصنى من اجل رحمتك . لانه ليس فى الموتى من يذكرك . ولا فى الجحيم من يعترف لك . تعبت عند تنهدى . احم فى كل ليلة سريرى وبدموعى ابل فراشى . تعكرت من الغيظ عيناى . عتقت فى ساير اعداى . ابعدوا عنى يا جميع صانعى الاثم لانه قد سمع الرب صوت بكاى . سمع الرب طلبتى . الرب لصلاتى قبل . فليخزَ ويضطرب . جميع اعداى . وليعودوا فى الحين خازين جدًا سريعًا *

المزمور ٣١ * طوبي للذين غُفرت ذنوبهم والذين سُترت خطاياهم . طوبي للرجل الذى لم يحسب له الرب خطية ولا فى فمه غش . لانى سكت فبليت عظامى من صراخى طول النهار . لان يدك قد ثقلت علىَّ بالنهار والليل ترددت فى همومى عندما انغرس فىَّ الشوك . قد عرفت اثمى ولم اكتم خطيتى . قلت اعترف للرب باثمى وانت صفحت عن نفاق قلبى . من اجل هذا يصلى لك كل بارٍ فى اوان اجابة . لانه بسيول المياه الكثيرة لايقتربون اليك . انت هو ملجاى من الحزن المحيط بي . يا بهجتى انقذنى من المحيطين بي . افهمك وارشدك فى هذا الطريق الذى تسلك فيه . وانصب عليك عينى . لا تصيروا كالفرس والبغل اللذين لافهم لهما . بحكمةٍ ولجام تكبح

المومنين . بل والمختصة باولى حجةٍ بالكهنة وهى : ١ . ان كل خطية فى شخص الكاهن انما هى اثقل واعظم جرمًا مما هى فى شخص العامى البسيط ٢ . انه لا بد للكاهن من ان يودّى حسابًا اشد صرامةً عن افعاله ٣ . ان النعم التى تُعطى للكهنة انما هى اعظم قيمةً من تلك التى تمنح لبقية المومنين ٤ . ان مرتبة الكاهن تفوق بقية المراتب سموًا ٥ . ان الله يرغب رجوعنا اليه ويسر بخلاصنا بنوع خاص . ومن ثم فانه بمقدار ما يشماز ويغتاظ من خطايانا بمقدار ذلك يرغب ان نتوب عايدين اليه *

ثم انه عدا اسباب التوجع العامة والملاحظة على اخص نوعٍ الكهنة توجد اسباب اخر ايضًا خصوصية وشخصية محركة الى التوبة والندامة واخصها الشكر ٥ على انعامه التى انعم بها علينا . لاننا اذا ما قابلنا زلاتنا وخطايانا مع هذه الاحسانات الجسيمة . نزداد خجلاً وندامةً . لعمرى ان التردد فى الانعامات التى اقتبلناها وفى النقايص التى ارتكبناها انما هو المحرّك الاخص والافضل للاشعار بالخجل واصدار التوجع لاجل ما فرط منا من الذنوب * وعلى هذه الاعتبارات المحركة الى التوجع والندامة على زلاتنا . والعزم على عدم الرجوع اليها . فاننا نضيف ههنا ايضا بعض صلوات لفظية وخشوعية حتى ان كلاً يتلو منها ما تقتضيه عبادته وحاجته الروحية *

المزمور

اشكك النفوس بسيرتى الردية . ان كانت افعالى تطابق التزاماتى . ان كنت غيورًا على مجد الله وخلاص الانفس . وديعًا . متضعًا . حليمًا . عفيفًا غير مبال بالارباح ومتحفظًا من روح البخل ومحبة الفضة . محبًا . رحومًا . تقيًا . فطنًا لبيبًا . ان كنت اصرف زمانى جيدًا بالمطالعة والدرس وممارسة الصلوة . ان كنت عايشًا عيشة تليق بالكاهن . ان كنت مجتهدًا فى ان انمو بالفضايل واتى بالاثمار الصالحة . ما هى النقايص التى يجب علىَّ اصلاحها . والفضايل التى ينبغى لى اجتنابها . وماهى الاهوية والشهوات التى لا بد من قمعها *

فهذه السوالات يمكنه الكاهن استعمالها بنوع اقل ام اكثر عند فحصه ضميره . وهكذا ياتى بعونه تعالى الى معرفة نقايصه واسبابها . ويطلع على ما يجب عليه ان يفعله لاصلاح سيرته وتهذيبها . ونموه فى طريق الكمال *

ثم ان الفحص يعتقبه التوجع . لانه بعد ان نكون تذكرنا ما زللنا به . يجب علينا ان نتانى فى فعل الخزى والندامة الشديدة عليه . وفى طلب الغفران من الله . وفى العزم الوطيد فى ممارسة اصلاحه . اذ ان كل قوة الفحص وتاثيره يتوقف على التوجع والندامة الحقيقية . والعزم الثابت على عدم الرجوع الى ما فرط منا . وهذا التوجع يشعر به الكاهن اذا ما ردد فى عقله ليس فقط الاسباب التى من عادتها تقدم لكل من المومنين

المعترفين . ومارست نحوهم الارشادات اللازمة . وقدمت لهم الادوية الضرورية لشفا نفوسهم وصدها عن الارتداد الى الخطية . ان كنت فرضت على التلميذ قانونًا ملاحظًا الخطية والخاطى وغاية وضعه . وان كنت اوبخ واسال وابكت . ان كنت اجتهد لاجعل تلاميذى ان ينموا فى الفضايل ويثمروا اثمارًا صالحة . ان كنت اتصرف متدربًا معهم بحسما يجب . ومستعملاً نحوهم ما يقتضى من الفطنة . ان كنت زللت فى غير واجباتٍ ملاحظة سر التوبة *

ثالثًا ان كنت ملازمًا الانذار بكلمة الله الى المومنين المقلة لى رعايتهم . ان كنت افسر لهم كما يجب فى الاوقات الملايمة الانجيل المقدس . واشرح لهم التعليم المسيحى مبينًا لكل منهم افرادًا واجمالاً التزاماته . ان كنت اخجل من المناداة بكلمة الله جهارًا . ان كنت اعتنى فى ان احرر على صفحات عقول الاحداث التعليم الخلاصى قبل ان يرسم عليها الشيطان بالفحم الجهنمى تعليمه المهلك . ان كنت افرغ كل جهدى وجدى فى تهذيب المذنبين واستيصال الرذايل وملاشاتها . وان كنت فى توبيخى قاسيًا يابسًا مرًا ام سهلاً حليمًا بافراط . وان كنت باجتهادى فى قمع الالم والشهوات البشرية ارتقى الى حالة البشر وارغب ارتدادهم وتوبتهم واتمنّى رجوعهم الى منهج الخلاص *

رابعًا ان كنت اتقدم الشعب بحسن المثال . ام كنت

حفظت فى عمل القداس الرتبة المحددة من الكنيسة نظرًا الى لياقة المكان . وحلة التقديس واوانيه كاملة . ونظرًا الى تلاوة الصلوات وكلما يستلزمه كمال الطقس المقدس . ان قدست برصانة وحشمة وعبادة . ان كنت وجهت نيتى نحو من قدست من اجله . ان قدمت الشكر الواجب بعد نهاية القداس . واصلحت ما صدر منى به من النقصان . ان اصرفت جزءًا ما من النهار فى ممارسة الصلوة العقلية وفى قراة الكتب الروحية *

ثانيًا ان كنت اوزع جيدًا الاسرار المقدسة حسب تحديد كتاب الرتب . وان كنت اوزعها من طريق العادة ام بروح الايمان . لارضى البشر ام عزته تعالى . لاجل خلاص الانفس . ام لاحل الارباح الدنسة . لاتمم واجباتى ام لاجل ميل خصوصى . ان كنت مستعدًا لتوزيعها على المومنين بنقاوة النية وطهارة القلب والاستعداد اللايق . ان كنت احابي . ان كنت متصفًا بالعلم الكافى . ان كنت افرط بالصرامة ام بالمساهلة والتنازل . ان كنت اعامل جميع المعترفين على حدٍ سوى . ام كنت استعمل الرافة والشفقة مع بعضهم ومع البقية القساوة والصرامة . ان كنت اجلس فى منبر سر الاعتراف نظير قاض عادلٍ غير محاب . وكمرشدٍ متنور حكيم . وطبيبٍ فطنٍ لبيب . واب راوفٍ . ام بعكس ذلك كنت ازلّ لجهة قلة الصبر . والعجلة . والمحاباة . وعدم الاستقامة والفطنة والرحمة . ان استعملت السوالات الموافقة حال المعترفين

ولكى يضحى هذا الفحص سهلاً نضيف ههنا بعض سوالات التى يمكنه الكاهن ان يوجهها نحو ذاته قبل دنوه من الاعتراف . وهذه انما تلاحظ لا الاشيا التى هى مادة ضرورية لهذا السر فقط . بل وتلك التى هى مادة كافية ايضاً . لانه يفترض ان الكاهن يجب ان يكون ناجيًا دايمًا وبريًا من كل دنس لخطية المميتة ولايمتها . وانه على الكثير يكون ساقطًا فى هفوات عرضية . الا اننا استدراكًا نضع ههنا السوالات الملاحظة مادة الاعتراف الضرورية ايضاً . لانه ربما يحدث لاحد الكهنة ان يرتكب لتعاستهِ خطيةً ما ثقيلة . وهذه هى السوالات *

اولاً ان كنت تممت واجباتى نحوه تعالى . ان كنت مارست صلواتى يوميًا صباحًا ومساء . ان قومت نيتى صباحًا وداومت عليها وجددتها مدا النهار . ان كنت صليت فرضى فى الاوقات المعيّنة بالكمال والتمام . بنية قويمة ثابتة . وباصغاء وانتباه وتمييز الالفاظ . وبخشوع وعبادة وخضوع الاحواس بالاتضاع . بدون طياشة وتشتت الافكار . وفى مكانٍ هاد بحشمة الجسد وترتيبه اللايق . ان كنت اهملت منه شيًا . ام اقلبت نظامه مقدمًا وموخرًا ام ادغمت حروفه * ان تقدمت الى فعل القداس الالهى بدون استعداد النقاوة الواجب . وبدون ان اهيّى نفسى بعواطفٍ خشوعية مقدسة وصلوات لفظية وعقلية . وان

بسهولة وباجلى نوع على حالة ضميره . فيمكنه ان يفحص ذاته مردداً فى قلبه ١. الخطايا الرئيسية ٢. النقايص التى من عادته ان يسقط بها بتواتر. والاهوية وادواء النفس المعتادها كثيراً . والملكات المستولية عليه وقد استعبدته ٣. الفضايل التى نحن ملتزمون بممارستها اكثر التزاماً . اخيراً اسباب فتورنا وعدم نمونا الروحى فى الفضايل والموانع التى نعثر بها فى طريق الكمال *

اعلم ثانياً انه لا يمكن تحديد الزمن الواجب اصرافه لعمل هذا الفحص . كما هو معلوم لدى الجميع . لان اكثره واقله انما يتعلق اولاً على حالة كل من المعترفين الروحية ٢. على مدة الزمان التى لم يكن المعترف تقدم بها الى سر الاعتراف ٣. على كثرة الاشغال التى يتعاطاها وقلتها . وهذه اما هى مهة للغاية . واما اقل اهتماماً ٤. على كيفية السيرة التى يمارسها : اعنى اذا كانت اقل او اكثر تهذيباً وتثقيفاً ٥. على قدر مايكون المعترف ماهراً فى الفحص . اخيراً على اطباع الاشخاص وصفاتها المتنوعة * الا ان المرشدين الروحيين يقررون على وجه العموم قايلين : انه يجب على الشخص التقى السيرة (كما ينبغى ان يكون كل من الاكليريكيين والكنايسيين) الذى يعترف مرة فى كل سبّة ان يصرف اقلما يكون ربع ساعة من الزمن . او مقدار نصف ساعة . وذلك مابين فحص وصلوات *

ولكى

❋ ارشادٌ ❋

* فى كيفية ممارسة فحص الضمير من الكاهن *

اعلم اولاً انه لسنا نقصد ان نضع ههنا ارشادًا مطيلًا فيما ينبغى عمله ليكون الاعتراف مثمرًا . بل اننا نكتفى بان نقول على وجه الاختصار: انه يجب على الكاهن الذى يروم التقدم الى سر الاعتراف اولاً . ان ينفرد فى موضع هادٍ وخشوع كمثل الكنيسة . او فى معبدٍ ما . او فى مخدعه ذاته ٢ . ان يستنجد عون الروح القدس مستغيثًا به . وطالبًا منه ان ينيره باشعة انواره الالهية . وان يرفع عقله نحوه تاليًا الصلوة الاتية وهى : هلمَّ ايها الروح القدس الخ . كما فى الوجه ١١ . ثم يتلو افعال الايمان والرجا والمحبة والندامة . ثم الصلوة الربية . والسلام الملايكى تكرارًا . وما شابه ذلك من الصلوات اللفظية مقدمًا اياها الى سيدنا يسوع المسيح ووالدته المجيدة والى القديسين شفعاية ليستمدوا له نورًا كافيًا لمعرفة نقايصه . ونعمة لاكراهها وعدم الرجوع اليها ٣. ان يفحص سيرته فحصًا مداقًا ونشيطًا باطنًا وظاهرًا : اعنى افكاره وشهواته وعواطفه واقواله وافعاله متبصرًا ومتعمقًا فيما صدر منه . سوا كان بالفكر او بالقول او بالفعل او بالاهمال خفيةً وظاهرًا . ثم يقابله مع وصايا الله والكنيسة . ومع واجباته نحو الله والقريب وذاته ايضًا . ومع التزامات وظيفته * ولكى يستطيع المعترف ان يطلع بسهولة

واستتروا تحت ظل جناحيها انتم وكرمكم السرى .
لانها تقول عن ذاتها هكذا : جعلونى حارسة الكروم
(نشيد ١) . وحبوا هذه السيدة الجزيل طهرها محبة
قلبية فايقة . واجعلوا اولاد رعاياكم كافةً ان يعرفوها .
ويحبوها . ويكرموها . كما يحثكم على ذلك
القديس بيوس الخامس . فاذا فعلتم ذلك
فانكم تشاهدون رعاياكم مفرعة
دايمًا زهر الفضايل . ومينعة
اثمار الاعمال الصالحة والمقدسة
لمجد الله الاعظم
* وبنيان الكنيسة *



فيا ايها الرعاة الاكرمون : انظروا الخدمة التى تقلدتموها (كولوصايص ٤) . فانتم معاضدى الله وموازريه فى خلاص الانفس التى انما يحبها حبًا فايقًا كما يقال فى سفر الحكمة ١١ . تاملوا هذه الانفس فى جنب يسوع المسجود له والكلى الحلاوة . وكيف انه افتداها بثمن دمه الكريم . ترى اى شئ لم تكونوا تفعلونه . واى اجتهاد وحراسة لم تكونوا تستعملونها . انتم الذين تحبون يسوع . لوكان يقتضى لكم ان تحفظوا حفظا اميناً داخل اناء بلورٍ الدم الذى اراقه يسوع حين نزاعه الاخير. فهذا عينه افعلوه لاجل خلاص الانفس ونجاتها . وبذلك تقدمون ذبيحة مرضية لله غاية الرضا . لانه كما يقول القديس غريغوريوس: لا توجد ذبيحة لدى الله الضابط الكل نظير الغيرة على الانفس (خطبة ١٢ . على حزقيال) . وتنالون عربون الخلاص الابدى لانه اذا ما خلص واحد لا غير بواسطتكم . فانه يستمد لكم فيضان المراحم الالهية حسبما يقول يعقوب الرسول ٥ : من يرد الخاطى من طريق ضلاله . فانه ينجى نفسه من الموت ويستر كثرة الخطايا . فلا تجزعوا اذًا . لانه ان كان الله معكم . فتكونوا ممتلين قوةً كما قال الملاك لجدعون : الرب معك يا جبّار الرجال (قضاه ٦) . وتكون الرعية مفعمة من البركات * ولكى انكم تنالون نعمة هكذا جزيلة فالتجوا الى الكلية القداسة والدايمة بتوليتها والدة الاله مريم ملكة الرحمة والنعم .

واستتروا

واذا بملاك الرب يلمسه ويوقظه قايلاً له : قم وكل . فانتبه ايليا من نومه ونظر حوله فراى عند راسه ملة وكرازًا من الما . فاكل بلذة . وعاد فنام . وعاد ملاك الرب دفعة ثانية ولمسه وقال له . قم فكل . فان الطريق مسافتها منك بعيدة . فذعن ايليا لقول الملاك واكل وتقوّى واشتد حيله . ونسى ضعفه واحزانه . وسار فرحًا جذلًا حتى الى الجبل المقدس جبل حوريب . حيث تمتع برويا الاهه العذبة . فهذا جميعه رمزٌ . ولايقتضى شرحه باسهاب لمن يعقل * فليات الان الى الراعى الذابل الغيرة تاييد الله . وليقتات وينقوى بتردده بدالة معه تعالى الذى هو محبة ويغذى النفس باغذية المحبه وطيبها . لانه يقول : ان روحى احلى من العسل من الكلنى عاد الىَّ جايعًا (ابن سيراخ ٢٤ع) *

فاذا شعر الراعى اذًا بذاته فى نقصان هذا الغذا فليطلب الهه الحبيب لينال حيلًا وتقوية : اطلبوا الرب وتقووا . وابتغوا وجهه دايمًا (مزمور ١٠٤ع) وليدنو خاصةً من المايده السماوية . لانه فى سر المحبة اعنى به سر الافخارستيا الذى انما يغذى النفس ويشبعها . يجد الراعى اكثر مما يجده فى بقية الوسايط الاخر تاييدًا لذاته ومعاضةً لانهاض غيرته . وهكذا يقم بامانة عظمى . واثمار كثيرة . ومثال مبنى التزاماته . وينهى بسعادة ومدحة سعيه الى ان يبلغ الى مشاهة ربه المحبوبة والسنية وحوزته الابدية *

هو متوقف على المحبة والغيرة . وقد يتوكد ذلك غاية التاكيد مما يورده الكتاب المقدس عن ايليا النبى . فهذا النبى كان رجلاً ممتليًا من الفضايل وذا استحقاقات جزيلة . وذلك لانه كان مضطرمًا بالمحبة ومتقدًا بالغيرة . وقد كان بثقته نال افتعال اعجوبة فايقة جدًا . اذ جعل ان تنحدر نار من السما وتاكل المحرقة والحطب حتى المذبح ذاته . واوضح جهارًا تفاقم نفاق الانبيا الكذبة . وفضح خداعهم وتدليسهم الموذى وقتلهم هو بذاته . وعلى هذه السجية ازال الشكوك السمجة واستاصلها من الوسط . غير ان ازبال الملكة المنافقة والمتعجرفة والقاسية عندما اخبرت بجميع ما عمل ايليا وبقتله انبيايها اشتاطت غيظًا وغضبًا واضمرت على ذبحه . وارسلت تتهدده بذلك . فسمع بذلك ايليا . ومن حين ان هو ايضًا كان مختبرًا ذاته بالعملية انه انسان . فبسماح الله لم يعد يشعر بحرارة غيرته القديمة وخارت شجاعته وفشل . واذ هو ممتلى فرقًا همَّ على الهرب . فتوجه مع غلامه ناحية القفر من دون ان يدرى اين يذهب . واتى الى ضيعة بير سبع ارض يهودا . وترك هناك غلامه . وسار بمفرده فى البرية مقدار يوم واحد . فاتى وجلس مضطربًا حزينًا تحت شجرة العرعر مستترًا بظلها المغم والمكرب . وهناك اشتدَّ ما به حتى ضاقت عليه الحيوة واتصل الى ان يطلب من الله لينزع نفسه من جسده . وفى هذه الحالة المفعمة قلقًا وحزنًا رقد ونام .

واذا

على نوع ما ذراعيه . فانما هو الاضطهادات التى لابد له من مصادفتها لاجل تقيم واجباته اما حالاً . اما بعد حين . لان من يتصدر لمقاومة جرى بحر الخطايا العزوم . وتلاطم امواج العوايد الرديـة فليتصور فى فكـره انـه عتيد ان يشاهد ذاته مرات كثيرة متوطيًا من فيضان امبايه . ومن يطبب المرضى الغايبين عن الرشد والادراك فليتوقع وثبانهم ضده . فمن عساه يستطيع الثبات فى امتحانات كذا . اليس انه يضحى فى خطـر السقـوط . اليس انه يتراخى عزمه . وتخور شجاعته . وتذبـل قواه ويفشل . لعمرى ان لم تكن موجودة به غيرة الكنة ومحبة حارة فخطر السقوط هو قريب كما يعلم القديس كارلوس فى الخطبة المار ذكرها . ومن خار عزمه وذبـل فلا سبيل لتقويته وتشديده الا بانهماض الغيرة وتحريك المحبة ثانيةً . وهـذا الدواء قد علمناه السيد المسيح فى الرويـا فى توبيخـه تيموتاوس اسقف افسس . فهذا الرجل بعد ان كان احتمل اهانات كثيرة ومارس افعالاً جزيلة من الصبـر ذبلـت قواه وفشل . وبما ان السيد المسيح كان يحبه اظهـر لـه فى الوقت ذاته علـة الشر ودواوه قايـلاً له هكـذا : الا انى واجدٌ عليك لانك تركت محبتك الاولى . فاذكر الان من اين سقطت . وتب واعمل الاعمال الاولى (رويا ٣) *

فهاهوذا اذًا كيف ان برودة حرارة المحبة والغيرة قد صارت سبب الضعف والنقصـان . وبعـكـس ذلك ان اتقـان الفضيلة والثبات بها . وتتميم الالتزامـات الخصوصيـة

الملايمة لحسم كافة العوايد الردية واستيصالها . ويعزم ان يدعى فعلة غيورين لممارسة رياضات وعمل مواعظ رسولية التى انما هى دواء جزيل الفاعلية لشفا اى مرضٍ كان . وان كان متعنتًا ومتصعبًا كما يقول بناديكتوس الرابع عشر . وبيوس السادس . وعلى هذه السجية فانه يجتنى اثمارًا صالحة ويجتلب خيرًا وفايدة لرعيته فى تلك الساعات التى يصرفها متردّدًا معه عز وجل . اكثر من تلك التى يصرفها متردّدًا فيما بينهم *

هذه هى حيوة الراعى الغيور بطريقة المقابلة الى سيرة الراعى الفاقد الغيرة . والعادم نار المحبة . الذى اذا ما فعل شيًا فانه يتمم التزامه بالظاهر فقط . لا بمقتضى الروح والمحبة *

* القسم الثالث *

انه لكى يُنال الاكليل وجزا التعب تُطلب رصانة ومداومة وثبات الى المنتهى ليمكن ان يقال مع الرسول : تممت السعى وحفظت الامانة . غير ان هذا لمن المحال ان يتم بدون غيرة . وذلك لان اشغال الراعى المستديمة والغير المنقطعة والمفعمة كدًا وشقاء تجلب ضجرًا وملالاً من شانهما ان يضعفا النشاط والاهتمام . وبسببا الكلال والاعراض عنه . كذلك امراض الجسم المتواترة والشيخوخة التى يتلقاها كلٌ منا فكما انها تهذل الجسد . فهكذا يمكنها ان تضعف الروح ايضًا . اما الذى يصير الراعى فشلاً بالاكثر . وخايرًا العزم ذابلاً القوى . وكانه يحطم على

الملايكة . تلك التى اذا ما هلك احدها بسبب تغافلكم وتغاضيكم فسياتى حينٌ به عظيم الاحبار يطلب دمها من ايديكم . وحينيذٍ لا يستطيع احدٌ ان ينافى عن ذاته معتذرًا بان تلك الخراف قد ضلت بدون علمه . او فى حين غيابه . او لجهة كسل نايبه . انتهى * فمن حيث ان الراعى المتنور الحكيم والغيور يعرف معرفة جلية هذه الحقايق . فيستمر دايمًا مقيمًا فى رعيته . واقامته بها كراعٍ . اى انه يعتنى دايمًا بكلما يول الى خير اولاد رعيته ونموهم بالفضايل . واذا ما حصل على اوقاتٍ خالية من الاشغال . فاما انه يصرفها فى اقتباس معارف جديدة مقدسة ايلة الى خير اولاد رعيته وافادتهم . حيث يعلم جيدًا انه لكى يستطيع الراعى ان يباشر وظيفته حسنًا فلابد له من اتقان معرفة الكتب المقدسة . وان هذه دون الدرس والمطالعة ليس انها لاتنمو فقط . بل انها تفقد ايضًا كما يعلم القديس كارلوس فى خطبته الى خوارنة الرعايا . اما انه يختلى منفردًا للمفاوضة معه تعالى . وهناك كفى موضع مشرف وساطع نوره يشاهد كافة احتياجات اولاد رعيته ويقدمها لدى عزته الالهية متضرعًا ومتوسلاً لغزارة مراحمه لان يهدى غضبه عن شعبه . ويعرض متجاوزًا عن نقايصه . وملتمسًا له نعمًا جديدة . مقممًا بذلك ما رسمه المجمع الرومانى قايلًا : فليقدموا عن الشعب ابتهالات وصلوات يومية . وهناك ايضًا يعيّن امام عزته المجيدة الوسايط

حدود الصواب . فيمكنه ان يطالع المنشور ١٧ . المبرز من بناديكتوس الرابع عشر * غير انه لا تكفى الاقامة المادية فى الرعية . بل يُطلب السهر والاهتمام بكلما يؤل لخير الرعية وصالحها . الامر الذى قد صرّحه جليًا الحبر المار ذكره فى احدى فرايضه . حين يتكلم عن الزام اقامة الرعاة الكبار فى رعاياهم . الذين اقامتهم انما هى بمنزلة قاعدة وطية وطريقة امينة مرشدة الى كيفية اقامة الرعاة الصغار ووجودهم الضرورى فى رعاياهم . وهذه هى الفاظه : الا اننا لا نحتسب امرًا ضروريًا ان نثقف اناسًا فقها وخبيرين للغاية نظيركم فى الكتب المقدسة . عن اختلاف الاقامة التى يدعونها مادية وصورية . لان من منكم ايها الاخوة الموقرون يجهل ان اقامة الاسقف فى كنيسته تكون مادية حينما لا يزرع كلام الله بالقول والمثل . ولا يعيد الى طريق البر الزايغين عنها . ولا يقدم عونًا واسعافًا للحاملين فى الاخطار . واخيرًا لا يسهر متيقظًا ويقاوم باجتهاد الذياب الخاطفة التى تدخل مرات كثيرة الحظيرة بلباس الحملان لكيما تخطف وتفترس . فاى تيقظ اذًا واى اهتمام يُطلب خاصةً من الرعاة لتكون اقامتهم حقيقية وصورية . فنحن لاريب فى اننا نخاطب اناسًا لاهوتيين وفقهين للغاية بالامور البشرية والالهية بحسبما انتم الذين تفهمون جيدًا ان الاعتنا بالانفس وخلاصها انما هو عمل الهى . وان رعاية الخراف السيديه هو ثقل من شانه ان يجزع على نوعٍ ما مناكب الملايكة .

الرب . اليس ان غيرة كذا تصيرنا ان ندعوا هذا الراعى قديسًا . لعمرى ان اعمالاً مثل هذه انما هى اعمال الرعاة الامنا والصالحين *

فمن عساه الان يلتفت نحو الراعى الفاقد الغيرة ويتامل بدون اذراف الدموع فى كيفية استماعه الاعترافات . فها انك تراه متوانيًا جدًا فى توزيع سر مع وضرورى بهذا المقدار . لانه اما انه يزعج التائبين المفتقرين اليه والتايقين الى قبوله بمحاذفته ومدافعته اياهم زمانًا طويلاً بنوع انه يجعلهم ان يفقدوا رغبة الاعتراف بالكلية . واما انه عندما يتقدم الى استماع اعترافهم لايستعمل تلك الرسوم والقوانين المفروضة والمعينة لتوزيع هذا السر الذى انما هو سر الرحمة . تلك التى تراها مجموعة ومسطرة فى كتب مختلفة *

الا ان هذا الراعى يفتخر قايلاً انه لا يغيب متباعدًا عن رعيته ولا يفارقها اصلاً . اما نحن فلسنا نريد الان الفحص عن حقيقه ذلك . بل نكتفى بالقول فقط : انه لمن الممتنع ان يتم التزامات الاقامة من يكون قيامه ووجوده بالرعية على حدو تمثال . كما يقول ذكريا النبى : راعٍ وصنم (١١ عد ١٧) * لعمرى ان الشرايع الكنايسية والاطية التى تلزم الزامًا بليغًا وصارمًا بالاقامة عند الحضيرة يجب ان توعب رعدة ورعبة قلب من يتباعد بدون حجة صوابية . واجازة شرعية . وليلا يجاز احد الى الغلط ويتخذ لذاته حرية خارجة عن

وان استمع اعتراف العليل فانك تراه مضطرمًا بشوقٍ حار ومجدًا بكليته ومستعملاً كلما يمكن استعماله ليوصّله الى موتةٍ صالحة . اذا كانت تلك المرضة مرضة الموت . وهو يعرف ومحقق لديه (كما انه يجب ان يكون محققًا لدى الجميع) ان الموتة الصالحة والردية انما هى متعلقة اعتياديًا على الاعتراف الاول الذى يصير فى زمن المرض . وذلك لانه اذا ما صارت المداولة فى اعطا الزوادة الاخيرة والمسحة . فيقال حينيذٍ : ان المريض قد اعترف ولم يعد لازمًا له سوا كشف ضميره فقط . ومن ثم فان الراعى الصالح لا يدع شيًا من الاشيا الايلة الى تاميس ضمير مريضه * ثم اذا اشتد المرض وثقلت حالة المريض فها انك تراه مسرعًا فى منحه اياه بعبادة عظمى الاسرار الاخيرة . واذا ما دنا من الموت فحينيذ يلازم ملازمة كلية سريره ولا يعود يفارقه ابدًا . بنوع ان محبته اياه وحنوه عليه يصيرانه ان ينسى ذاته غير مبالٍ براحةٍ ما او بشى اخر . ولا يتقنّط مشميزًا من فقر حال المريض ومسكنة بيته وحقارته . ولا يانف من دناءة الفرشة ورثثها ووسخها . ولا من النتانة التى ربما يكون حاصلاً عليها المريض . ولا من استنشاق رايحة انفاسه الكرهة والمسمّة . بل انما هو بكجملته مهتم بخلاص مريضه غير مكترث بصحته ولا بحيوته الخصوصية . وموجه كل اجتهاده الى ان يصونه من كل تجربة تضغطه . ومفرغ كل ما عنده من الخبرة والقدرة لكى يبلغهُ الى اخرةٍ حسنة ويراه راقدًا بسلام

الرب .

مريضًا منها . وليكن متصفًا عند زيارته المرضى بالاحتشام والرصانة وبما يليق بكهنة الرب حتى يفيد بالقول والمثل . ليس لخلاص المرضى فقط . بل لذاته وللحاضرين . وليبذل جهده الكلى فى ذلك لكيما يقتادهم فى طريق الخلاص . ويصونهم ويقيهم باسعاف النصايح الخلاصية من المصايد الشيطانية . واما حين يكون الخطر قريبًا فلينصح الخورى المريض لكيما انه لا يدع ذاته ان ينغش بنوع ما نظرًا لما يختص بخلاص النفس . وليسبق معتنيًا فى ان يقتبل بعبادة وتقوى الاسرار المقدسة ما دامه بصحة العقل وكمال الحواس . انتهى *

غير ان الخورى المتوانى لا يذهب عند المرضى لكى يعرفهم (خاصةً اذا كانوا فقرا) ما لم يُدعى اولاً وثانيًا وثالثًا . ولا يبادر عند المنازعين الا لحينما يوشكون التلاشى : وربما لحينما يضحون غير قابلين الاسعاف . او ان كان يذهب على وقتٍ لمعاضدتهم . فلا يقدم لهم تعزية ما ولا اسعافًا ملايمًا . لان اقواله انما هى سقيمة . وغالبًا ليست بموافقة . ولربما مضرة ايضًا . وتتوسطها احاديث ومذاكرات لا طايل لها ومشتتة حتى لا اقول ابلغ من ذلك * انما الخورى الغيور فانه يستعمل بالكمال والتمام نحو المريض والمنازع كلما رسمه كتاب الرتب اذ يقول : فليقتاد الانسان بفطنةٍ ومحبة ملايمة الى الاعتراف المقدس . ويستمع اعترافه حتى وان اراد الاعتراف بخطايا حيوته كلها .

بواسطة التعليم عن عظمة الشر * اما الخورى الغيور فهو بركة من الله الى الرعية . وبما انه يعرف انه كفيلٌ لنفس كل واحدٍ من رعيته فيقتفى بتنبيه الروح القدس القايل : يجرى ويسرع ويحرّك صديقه . ولايعطى نعاسًا لاجفانه (امثال ٦ ع ٣) . ولايتغافل عن كلما من شانه يجدى نفعًا الى رجوع مرؤسه والى انقاذ ذلك المسكين الخاطى من ايدى ابليس . ولم يزل فى حركةٍ وهمة وعناء نظير الايل الذى يريد ان يفلت من الفخ الذى وقع به . او نظير العصفور الذى يروم الهرب من ايدى الصياد . كقول الحكيم : كالعصفور والبلشق من يد الصياد (امثال ٦ ع ٥) * وماذا اقوله الان عن زيارة المرضى والاعتنا بالمنازعين : فليزوروا المرضى ويساعدوا المنازعين (مجمع رومية) * غير ان الخورى الذى بلا غيرة . فاما انه لايعرف . واما لايريد ان يعرف . ومن ثم لايستعمل ما يجدده عن زيارة المرضى كتاب الرتب الرومانى (الذى تجب مطالعته بتواتر) وهذه هى الفاظه : حالما يعرف (الخورى) ان احد المومنين المسلمين لتدبيره مريض فلا ينتظر لان يُدعى اليه . بل فليذهب عنده طوعيًا . لايفعل ذلك مرة واحدة فقط بل مرات عديدة مادام الضرورة تدعو لذلك * ولكيما الكتاب المذكور يحرّض غيرة الخورى الرعائية بزيادة فيستتلى قايلًا : وفيما انه يزور المرضى فلينصح رعيته لكيما ينبهونه اذا ما كان احد مريضًا

وحكمته تشع فى الفاظه وتصرفاته جميعها . وله شوق حار بهذا المقدار حتى انه يرغب ان ينطبع كل تعليمه فى قلوب اوليك الصبيان اللينة . ويُرى كانه يروم مكافاة ذاته بالكلية لاجل خيرهم. ويردد فى عقله دايمًا كلام الحبر الاعظم القديس بيوس الخامس . الذى يدعو هذا العمل (عملًا مقدسًا) وكلام بناديكتوس عشر . الذى يدعوه (امرًا مهمًا وضرورة باهظة) . ومن ثم لايظن قط انه يعمل عملًا كافيًا لنوال اربه . لانه لامر مختبر من التجربة وهو انه بمقدار ما يكون الخورى حكيمًا فباكثر من ذلك يكون ذا همة واعتنا فى شرح التعليم المسيحى الذى يبان لمن يزكن قليلًا انه عمل زهيد . ولكى نطلع على عظم هذا العمل وشرفه الذى لايوجد شى اعظم منه افادةً حسبما يقول بناديكتوس عشر فى تحديده المذكور فلننظر اكليمنضوس الاول . المشهور بحكمته وعلمه كيف انه كان يعلم التعليم المسيحى الى الاولاد فى كنيسة القديس بطرس *

ثم انى لا اطيل التامل بحالة الخورى العادم الغيرة . وكيف انه ببرودة يستعمل التوبيخات فى تلك المرات القليل (ان كان يستعمل ذلك) اذ انه يستعملها مفعمًا بكليته من احترام الناس . ولايتكلم الا ان كان مع شخص ما مسكين او حقير محتقرًا اياه . ويصيّره قاسيًا كمجارى طرايقه الغير اللايقة . او يرتضى فقط بان ينبهه بدروس لكيما يزيل الشك من دون ان يوضح له بواسطة

كلمة فكلمة بحسب تنبيه الخبر ذاته . ويشرح بمحبة وتعب كلى كل ما يقتضى . ويقم بالكمال كلما يفرضه الخبر المذكور ذو الذكر المخلد قايلاً : من حين اننا نخاطب علما الناموس وننصح متقدمى الكنيسة المتيقظين الذين لاتنقصهم معونات التقوى ولا العلوم الاخر المقدسة . فلا يقتضى ان نحثهم حثًا بليغًا . فى انه ليس بكاف لنوال السعادة السماوية الاعتقاد بنوع مبلبل ومعمّى بان الاسرار اوحى بها من الله وتقدمت من الكنيسة . بل ان هذا التعليم السماوى المقلد لنا الهيًا . والامور التى تُفهم من السماع . يجب على المعلم الشرعى والخادم الامين ان يفسرها هكذا حتى انه يشرح روسها واحدًا فواحدًا . ويقدمها للمومنين لان يعتقدوا ان بعضها هو من ضرورة الواسطة وبعضها من ضرورة الوصية . وعدا ذلك وان كان يقال اننا نتبرر بالايمان لكونه مبدا الخلاص البشرى واساسه . مع كل ذلك فلكى نستحق البلوغ حيثما الى المدينة المزمعة التى نرجوها . فهو امر محقق بكفاية ان الايمان وحده لا يكفى . بل يلزمنا ان نعرف . وان نحفظ بثبات وصايا الله والكنيسة ايضًا . ثم يجب علينا ان نتمسك بالفضايل ونمارسها ونحيد عن الرذايل باجتهاد *

ثم اذا جلس الخورى الغيور بين الصبيان ليشرح لهم التعليم المسيحى . فانى ارى فيه صورة المسيح الحية الذى كان يدعو بغذوبة كلية الصبيان لياتوا اليه ليرشدهم فى طريق ملك الله . لان عذوبة الخورى الثقى وبساطته ونقاوته ثم اتضاعه وحكمته

وان كانوا يفسرون سرًا ما الذى تجدد تذكاره الكنيسة فى ذلك اليوم . فاولاً وقبل كل شى فليشرحوا تلك الاشيا التى من شانها ان تحرك نحو الفضيلة وتمنع الرذايل لاسيما الباهظة التى ينقاد اليها الشعب بسماجةٍ . وان كانوا فى تلك الايام ذاتها (لانهم هكذا يلتزمون من قبل وظيفتهم ايضًا) يقيتون الصبيان كاطفال مولودين حديثًا بلبن التعليم . فليسالوا تارةً هولاء . وتارةً اوليك عن المشاكل . ويفسروا لهم الامور المستصعبة . وان كانوا اخيرًا ينعكفون حسب قول الرسول للقراة والنصايح والتعليم لكى يكون رجل الله كاملاً ومتمهرًا بكل عملٍ صالح . فحينيذٍ يسوغ لنا ان نصدق بان النتيجة تطابق المرغوب وان الشعب سيكون مقبولاً وتابعًا الاعمال الصالحة *

الا ان الخورى العديم الغيرة اذا استعمل الارشاد والتعليم نحو الاناس الاكثر غلاظة من البالغى السن . ومنهم اوليك الذين لايعرفون الاشيا الضرورية معرفتها للخلاص ولكى يكونوا مسيحيين حقًا . كما ينبه بناديكتوس عم ١ . فى تحديده المذكور . او اذا شرح التعليم الى الاولاد . فانه يستبين بكلامه صعبًا مبلبلاً ذا يبوسةٍ وصلابة * اما الخورى الغيور فانك تراه بالخلاف عن ذاك . لانه يعرف جيدًا فى اى وقتٍ يجب ان يعلم بايضاح وفاعلية كلما تلزم معرفته من المسيحى بضرورة الواسطة وضرورة الوصية . كما يقول بناديكتوس عم ١ . فى التحديد المذكور . فها انك تشاهده يفسر ذلك

كلمة

هذه هى الحيوة الابدية ان يعرفوك انت وحدك اله الحق والذى ارسلته يسوع المسيح. ولذلك فالمرشد والواعظ الكنايسى يقتضى له ان يبذل كل جهده بالخصوص لان يرسخ فى مفهومية المومنين ويبحث فى ذهنهم معرفة يسوع المسيح الحقيقية. وهذا مصلوبًا. ويحثهم لان يرتاحوا تايقين للامانة به من صميم قلوبهم بكل تقوى وورع وعبادة حسنى. وانه لم يُعطَ تحت السما اسم اخر لبنى البشر الا هذا الذى به يجب ان نخلص. لانه مغفرة عن خطايانا *

غير ان الخورى المتوانى فانه يفسر الكاتيكيزمو (اى الارشاد) على حدو تفسيره الانجيل. فالبعض من الخوارنة لا يريدون ان يفهموا بانه يوجد الزامان متميزان. احدهما تفسير الانجيل. والاخر الارشاد والتعليم المسيحى. مع ان بناديكتوس عم١. قد اوردهما بايضاح جلى جدًا فى احد مناشيره حيث يزيد هناك ايضًا تنبيهات مناسبة جدًا لاجل تتميم الالزامين المذكورين قايلًا: ان ثقلين بالخصوص يضعهما المجمع التريدنتينى على المهتمين برعاية الانفس. الواحة هى ان يخاطبوا الشعب بامور الرب فى ايام الاعياد. والثانية ان يعلموا الاولاد والغشما ايضًا مبادى الايمان والناموس السيدى. فان رامت الخوارنة ان تعظ فى الايام المعينة. فلا يقلقوا الاذان بالفاظ حكمة العالم الغير المقنعة. بل بما ينفذ ضماير السامعين باظهار الروح.

وان

ومتغلب جدًا . فهناك يتجند تجندًا صلدًا لمقاومته ويعيّن له الادوية بمحبة ابوية وخبرة جزيلة . ومن كونه يعلم ان الخاطى لم تنقصه حجج يستعملها كمهرب لكى ينجو من طعنات سيف كلمة الله المقدسة . فيدحض الاحتجاجات ويقطع ويحجز الاعتذارات ويسد المهرب الذى به يتجند الخاطى الموت والهلاك . (انه لحسن جدًا ما يقوله بهذا الخصوص بناديكتوس ١٤ . فى منشوره ١٧ . ارشادًا لخورى الرعية . فدونكه) . ثم من كونه يعرف جيدًا ما يقوله ويحدده الارشاد الرومانى على الخوارنة فى تعليمهم الشعب : اى انه يجب عليهم دايمًا ان يضعوا بازا اعينهم الغاية التى لاجلها ينبغى لهم ان يوجهوا كل اعتنايهم ودرسهم واهتمامهم : اعنى ليجرروا فى طرس عقول قطيعهم معرفة الله ومخلصنا يسوع المسيح . فهكذا هو دايمًا يجتهد بواسطة نصايحه الحارة لان يجذب قلوب المومنين ويوجهها نحو هذة الغاية النبيلة . ويثبتهم بها حسنًا : ان الرعاة (يقول الارشاد الرومانى فى الفاتحة ٩ و ١٠) . يلزمهم قبل كل شى ان يعتبروا جيدًا ويضعوا بازا اعينهم ممعنين النظر فى كيف ولاية غايةٍ يجب ان تكون كافة مشوراتهم واهتمامهم واتعابهم جميعها . وباى نوعٍ يمكنهم ان يحصلوا على المطلوب منهم ويتمموه باكثر سهولة . فاذًا مما يتضح علانيةً هوانه يجب عليهم ان يتذكروا على الدوام وباتصال فى ان حكمة الانسان المسيحى الرهينة هى قايمة فيما نطق به مخلصنا قايلاً :

هذه

منهم بدون روح التقوى والعبادة وبدون ميل وانعطاف مقدس وبغير خوف ورعبة يحتفلون بتتميم الخدمة الالهية بكل سرعة كانهم لايصدقون بايمانٍ حضور السيد المسيح . او انهم لايومنون بانهم منظورون من ربوبيته *

ثم لما ياتى وقت تفسير الانجيل والتفاته نحو الشعب : فانه لا يقدم للشعب تلك القضية الماخوذة عن حيوة السيد المسيح . او عن التعليم الانجيلى الا بعدم نظام . ولا يورد فيها برهانًا صوابيًا او عقليًا . ولا دليلاً مثبوتًا او طبيعيًا . ولايضمن فيها شيًا ما ادبيًا ذا فايةٍ . بل انه ينهى ذلك بكلامٍ قاسٍ مرٍ . اوبهجوٍ غير لايق . وفى الوقت ذاته يتلو افعال الفضايل الالهية . (الامر الذى بصوابٍ يحرّض عليه بناديكتوس عم . فى تحديده المذكور) بسرعة وتلهوج بنوع انه بالكاد يُفهم ما يقوله * اما اذا اتحد على ذلك المذبح احد الخوارنة ذوى الغيرة . فانه يفسر الانجيل ببساطةٍ بليغة . وبايضاحٍ مقترن باقناع جلى . وبلطافة وعبادة . ويقدم للسامعين موضوعًا ماخوذًا من حيوة السيد المسيح . واما من التعليم الانجيلى . ويشرح لهم بتشابيه موافقة جدًا الى نص الانجيل المقدس والى فهمهم اسرار الايمان التى يتكلم عنها الانجيل ذاته وينتج منها اعتبارات متحكمة ناتجة عن روح الفطنة والتقوى . واذاما تقدم الى الادبيات ومداوات الشرور . فانه لا يتكلم بوجه العموم بل بوجه الخصوص ايضًا من غير ان يغيظ احدًا . وحين يطلع على الشر بانه متكاثر ومتغلب

اسعاف مناسب . ويُغلق الباب عن المداواة الضرورية عندما يقال: ان كل شى قد فُعل. اترى ان الخورى الذى تنقصه الغيرة . وليس فيه نار ولا عزم ولا شوق فعّال. ولا يهتم فى ان الله ومخافته المقدسة يستقران فى الخورنية . آهل يفعل كلما ينبغى كما يجب . فلنتاملنَّهُ فقط فى البعض من التزاماته نظير تفسيره الانجيل واستعماله الارشاد او التعليم المسيحى . واصلاحه الشكوك . واقامته عند المشرفين على الموت . لعمرى انه حينما يصعد الى المذبح ليتلو القداس ويفسر الانجيل (الله يعلم ان كان يخصص القداس للشعب ام لا فى كل الاوقات اللازمة لذلك فانه يبتدى فى القداس بعجلة زايدة بهذا المقدار حتى انه من هذا القبيل يقلب المعانى ويدغم الالفاظ وهكذا على هذا المنوال يبين ما هو عتيد ان يوصل منه . فهذا هو واحد من اوليك الكهنة الذين فى ربع ساعة يتلون القداس الذى لا تمكن صيرورته على هذا النوع الا باهانة عظيمة واحتقار معتبر للرتبة المقدسة . كما يصرح بناديكتوس ١٤ فى الرسم ٣٥ فى التحديد المبدو. السنة . يندب ذلك قايلا : انه ليستحق ادراف الدموع امر اوليك الكهنة الذين من قبل توانيهم ونفاقهم يتعاطون مباشرة الاسرار المهولة والكلية القداسة بهذا المقدار من قلة الاحترام . حتى انهم بتصرفهم بها وبتقديم رتبها يوضحون ذواتهم ويتظاهرون لغيرهم بانهم ليسوا بمومنين ان عزته تعالى هى موجودة وحاضرة فى تلك الاسرار الرهيبة . لان بعضاً منهم

خرابا مهولاً . اما هو فيرحل مندبرًا ليلا يشاهد ويلتزم بالمداواة . وحينما يلتزم بانقاذ الغنمة من خطر الافتراس فحينيذ يهرب جبانًا كالراعى الاجير . فويحًا اذًا لكم يا ايها الرعاة المتوانين . اصغوا لهذا الصوت الرهيب . صوت الراعى العظيم القايل : انى اطلب قطيعى من ايديهم (حزقيال ٣٤). ذاك القطيع المحبوب . القطيع المشترى بدم وحيوة الهٍ صار انسانًا . فانظر اذًا كم من الدثار يجلب عدم وجود الغيرة فى الخورى *

❁ القسم الثانى ❁

ان الخورى اذا امكنه البلوغ الى تتميم التزاماته بدون غيرة . فانه يتممها لكن بالظاهر فقط وبدون فاعليه ولا فاية . ولا يكملها كما يجب بحسبما اشار الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر القايل : انه لاعتذار سيى وذو خراب جسيم هو ان يجتهد الكاهن لان يفعل فى وظايفه ما يمكنه ان يتفوه به تجاه اعين الناس قايلاً : انى عملت ما كان يجب علىَّ عمله . بدون ان يجتهد فى ان يفعل ذلك بروح الغيرة وبحرارة وفاية * فليطالع تحديد الحبر المذكور الذى بدؤه . حين اولًا . والاخر الذى بدؤه . ولو ان . اللذين اذا وضعهما الخوارنه بازا اعينهم دايمًا فيكون ذلك امرًا حميدًا . لانهما يكونان بمنزلة تذكرة ومعماز لهم لاجل تتميم التزاماتهم المختلفة بالكمال : ولعمرى ان الانفس تلبث بدون

اسعاف

والبعض منها اوشكت ان تتوه متدهورة واشرفت لان تصير غنيمة للذيب الجهنمى . اما الراعى فهو بكليته متيقظ لان يجتنى صوف الخراف وحليبها متغافلاً عما سوا ذلك . ومن ثم فانه يعيش متناسيًا عنها . وتاركًا اياها فى مخاطرها مشرفة على السقوط والنهش والموت . وفى هذا يقول النبى : كنتم تاكلون اللبن وتلبسون الصوف . وتذبحون ما كان سمينًا . لكن قطيعى لستم ترعونه . فالذى هو ضعيفٌ لم تجبروه . والذى هو مريضٌ لم تشفوه . والذى هو مكسورٌ لم تضمدوه . والذى هو مخذول لم تردوه . والذى هو ضالٌ لم تطلبوه . بل كنتم تتسلطون عليها بالقساوة والجبروت . وتبددت خرافى لسبب انه ليس راعٍ . وصارت ماكلاً لجميع وحوش الحقل وتبددت . ضلت غنمى فى جميع الجبال وفى كل اكمةٍ شامخة . وتبددت اغنامى على وجه جميع الارض ولم يكن من يطلب (حزقيال ٣٤ ع ٣ الى ٦) *

فكيف لا يتمزق قلب الحورى عند ما يستمع كذا شكاوات ويشاهد انها متجهه اليه بكليتها . لعمرى انك لتجد فى الحورنية الظلم والشبق الفاحش وهو عن ذلك صامت . وتجد مساكنة الرجال والنسا المشككة . وترى كثيرين متعنقين فى العشق والمعاشرات الردية واما هو فبالكاد يفتح فمه . ثم تشاهد فى الحورنية ذياب كثيرة التى اما بالخداع . او بالوعيد او بالبراطيل . او بالاقتدار . وربما ايضًا باغتصابٍ واضح يصطنعون خرابًا

زرع حنطة جيدة فى حقله . لكن بعد ذلك زُرعَ فوقه زوان من اناس اشرار واعداء . فيُسال هنا متى حدث هذا . فيجاب ان هذا حدث حينما تغلّب النعاس والنوم على اوليك الذين كان يجب عليهم ان يسهروا على حراسة الحقل . فكم من الاشيا تعنيها لنا الحكمة السماوية فى هذا المثل . فانظركم من زوان التعاليم المضلة والمقوتة منبثة فى هذه الازمنة فى بعض رعايا ليس فقط بين الشبان . بل فيما بين النسا ايضًا . وذلك من قبل الاعدا الاشرار ذوى الحرية والعديمى الايمان والجاحدين . ثم اعتبر كيف انهم يفتكرون ويتكلمون . وكيف يفعلون . فالخورى المتيقظ والنشيط فانه يطّلع حالًا على الشر وينوح متنهدًا ويبكى صارخًا الى الله . ولايدع ان تمر دقيقة ما سدًى لاجل تنقية الزوان . انما الخورى المتوانى فاما لايعرف واما يتخايل بانه لايعرف . ومن ثم لا يعتنى بمقدار ما يجب لكى يستاصل فسادًا هكذا عظيمًا . وعلى الكثير يكتفى فى ان يخبر به اسقفه كانه بعد فعله هذا يتبدى عن ان يكون خورى الرعية : كما يقول القديس كارلوس فى خطابه الى الخوارنة فى الجزء ٧٠٨ . فمن لا يشعر اذًا بتمزيق الاحشا من قبل هلاك انفس هذا مقدارها *

الا اننا اذا ما تاملنا رعية الخورى المتوانى المسطر عنها فى حزقيال النبى فنضحى مكتئبين اشد اكتيابًا لاننا نراها حضيرة خراف ضعيفة وسقيمة ومهشّمة . والبعض من الخراف حاصلة على معاطب ميتة . والبعض

كراسى الاعتراف ايلة للعدم. حق الزيت المقدس غير لايق وليس هو مقفول جيدًا . ثم انك ترى على مذبح القربان طاولات مرتّة وزينات كلها غير مرتبة . حق القربان مع الاجزا المقدسة موجودة داخل قبة مغبّرة مع صمة مسودة وسترًا محلقًا باليًا . والاجزا المسجود لها ذاتها ايلة الى خطر الفساد لتركها زمانًا طويلًا غير مجددة . واذا دخلت السكرستيا فتجدها كلها مبلبلة وسخة . واذا تفرست فى خزانة الكتب . فمع كل تحديدات الاحبار الصارمة بهذا الشان . فانك تشاهد كتب العماد والزيجة والموتى باشنع حال * ثم اذا خرجت لتشاهد الرعية . فواحسرتاه . فانك تراها بريّة مقفرة . فالجهل والرذيلة مستحوذان عليها . والصبيان ذووا العشرة سنين واثنتى عشرة سنة لايعرفون الله . والاولاد والشبان ذووا سبعة عشر او ثمانية عشر سنة لم يتناولوا بعدُ القربان المقدس . وعدد غفير من الانفار لم يكملوا وصية الفصح. ولايوجد من يقول لهم شيًا ما . ولايبكتهم على ذلك . ثم تشاهد ايضًا الانشقاقات والعداوات متعتقة فيما بينهم . والتهديدات وانتقام بعضهم من بعضٍ . وليس من يتكلم بالصلح . فيا لتعاستك يا ايها الخورى . لكونك ملتزم ان تقدم حسابًا لله بتهاونك عن هذه الاشيا جميعها *

ولكى تفهم جيدًا الشرور الناجمة من هذا التهاون امعن النظر فى المثل الذى قدمه لنا يسوع فى انجيله الطاهر قايلًا : ان رب حقل صالحًا قد كان

زرع

ان النار قط لاتقول يكفى (امثال ٣٠ ع ١٤) *

اما اذا كان الخورى مفتقرًا لهذه النار المقدسة والغيرة الحية . وكان من ثم روحه سقيمًا ضعيفًا جزعًا . فكيف يتمم كثرة واجباته التى يقتضى لها قوة وفاعلية واحتمال وثبات من شانه ان يقاوم الموانع المهولة جدًا . اليس من قبل ذلك يبتعد متكاسلاً عن تتميم التزاماته . لعمرى ان هذا انما هو كافٍ ليستطاع ان يقال عن خورى مثل هذا انه خادم غير نصوح وعن الرعية انها ايلة للدثار . من قبل توانيه . كما يقول القديس كارلوس فى خطابه الى الخوارنة . والحكيم يقول لنا فى الامثال بانه جاز فى حقل انسان متوانٍ وكسلان وباندهال نظر ان الارض التى من ذاتها هى قابلة لان تينع زروعًا واغراسًا واشجارًا مثمرة لو كانت فلحت . قد كانت مشحونة عوسجًا وقطربًا وشوكًا . لانه يقول : مررتُ بحقل انسانٍ كسلان . وبكرم رجل جاهل فاذ الجميع ممتلى قريصًا . وقد غطى الشوك وجهه . (امثال ٢٤ ع ٣٠) . فادخلنَّ اذًا يامن تروم الاطلاع على خورنية ما منتقلة رعايتها الى انسانٍ عديم الغيرة . ومنكبٍ على كلما من شانه ان يريحه . ولكى اقول باختصار الى خورى كسلان . واحدق بناظريك الى كنيسة الرعية فمنها تطلع على حالة الشعب . ها انك تجد هذه الكنيسة مهزّرة من قبل توانى الخورى . فكانها تضاهى اصطبل بيت لحم . بما ان الحيطان مغطاة فى الغبار . والعنكبوت محتبك فى كل الجهات . والارضية وسخة ومتتنة .

مقتناه فقط. لان يهجر الراحة ويفقد الصحة ويعدم الحيوة ذاتها. وليس يتطلب منه باقل من هذا. الامر الذى يتحقق مما قالة المخلص الالهى فى الفاظٍ وجيزة وهو: ان الراعى الصالح يبذل نفسه عن خرافه (يوحنا ١٠ ع ١١) *

فاذا اتحدت الغيرة والمحبة فيكون رجانا فى خورى الرعية صوابيًا. لان المحبة هى نار شريفة فى الغاية. ومركزها هو فى الله: ان الله محبة هو (يوحنا اولى ٨): ان الهنا نار اكلة (عبرانية ١٢ ع ٢٩). نار تستمد فاعليتها من الله ذاته ومن قوته الغير المقهورة. وتصير الانسان ان يفعل بقوة الله عينه: ان الله محبة هو. والذى يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله يثبت فيه (يوحنا ١ ع ١٦). فاى شى اذًا لايفعله رجل الله (اى خورى الرعية) المتقد والملتهب بهذه النار. اى شى لم يفعله الرسل القديسون حينما كانوا مضطرمين بهذه النار ذاتها. لعمرى ولو انهم كانوا عارفين ذواتهم بانهم سوف يكونون مبغوضين. مضروبين محبوسين. مجرحين. وموتى. فمع ذلك لم يكن يمكنهم ان يتقاعدوا عن اشهار مجد حبيبهم يسوع المصلوب والاعتنا بخلاص الانفس. لانهم كانوا يقولون: اننا لا نستطيع الا ننطق بما رايناه وسمعناه. ابركسيس (ع ٤ ٢٠). وبالتالى اى شى لم يفعله الاناس الرسوليون وخاصة القديس فرنسيس كسفاريوس رسول الهند الذى حيوته تبان انها اعجوبة القداسة. على ان النار بمقدار ما تضطرم. فبمقدار ذلك تحرق وتفنى ولا تكتفى ابدًا كما يقول الحكيم:

تعدى الاخريات . ويفعل ذلك بدون روح القساوة والصلابة . وبدون روح التروس والتسلط . ملاحظًا خير القطيع ورضا الاله السامى فقط . ومجتهدًا فى تتميم التزاماته . وهكذا ينجو من التوبيخات والتهديدات التى يرشقها الله بواسطة نبيه حزقيال عم٣ . وارميا . ١ ع ١٣ *

واخيرًا ما هو خورى الرعية * هو نظير ملاكٍ حارس منظور مُعطى من الله الى انفس رعيته لكى يعتنى بها . ويقتادها بامنٍ مة هذا الزمان المخطر فى منهج الخلاص . ويعضدها بواسطة الشور والعمل غير متغافل عنها بالكليه الى ان يبلغها الى جبل الله المقدس . والى ملك المحبة وسعادة الفردوس . هذا ما اشار اليه الرسول المعظيم مارى بولس بقوله : اليس ان الجميع هم خدام الروح قد ارسلوا لخدمة اولئك الذين يستحقون عربون الخلاص عبرانيه ١ عد عم١) *

فان كانت وظيفة خوارنة الرعايا هكذا عظيمة . هكذا مهمة ومتعبة وصعبة فى الغاية . انرى يستطيعون ان يكملوا ما يجب عليهم اذا لم يكونوا متصفين بغيرة حية فعالة وثابتة مستعدة لكل عملٍ . فمن عساه لا يشاهد انه لكى يكون خورى الرعية ذاك الرقيب المستيقظ . والاب المراوف . والراعى الشفوق . والملك الحارس كما ذكر . فيجب ان يكون انسانًا مكرسًا بكليته لمجد الله ولخلاص الانفس المستودعة له . انسانًا مستعدًا لان يقدم لاجل الانفس ليس

مقتناه

عادلة . ويؤيدهم على ممارسة الفضايل المسيحية بالمثل الصالح . ويظهر لهم ذاته خاصةً بانه ابٌ ذو محبة احشائية . وانه مهتمٌ بكليته فى خير اولاده . لاسيما عندما يكون احتياجهم متعاظمًا وخطر هلاك انفسهم ثقيلاً . ومن ثم لكونه ابًا صالحًا فهو عونٌ للفقرا . وتعزية للمحزونين . وملجا للبايسين . وهو بكليته مجد لكى يفتكر بنوه المرضى اولًا فى استيصال سبب الامراض الاعتيادى اعنى به الخطية . ويكونوا حينيذ مسلمين لارادة الله ومستعدين جيدًا الى اقتبال الموت . واذا المرض اشتد ثقلاً والمريض قارب للاجتياز من هذا الزمان الزايل الى الابدية . فوقتيذ نرى هذا الخورى التقى متجردًا بكليته الى ان يحقق الخلاص الابدى الى مرؤسه الحبيب *

ما هو خورى الرعية * هو راعٍ شفوق على خرافه . يحرسها فى كل الاوقات ويقتادها الى المراعى المخصبة الخلاصية ويرعاها بكلمة الله المقدسة . وبالاسرار المحيية . خاصةً بحيوة مرتبة ومهذبة . كما يقول القديس برنردوس : ويحفظها من الذياب والسباع التى اما بحيلة . واما بافتراس ظاهر يتهددون قطيعه . اما هو فيعرف جيدًا خرافه واحدًا فواحدًا . فيقوّى الذى هو ضعيف . ويعتنى فى الذى هو مريض . ويطبب ويضمد بنشاط المجروح . ويجبر المكسور . ويدعى بانس الذى كان مطرودًا . ويبحث عن الذى كان اشرف على الهلاك واذا وقتًا ما الزم الامر فيميز الغنمة الجربانة والمسومة ليلا

بحسبما يجب . اما انه لا يفعل بثبات مة الزمان الذى به يجب ان يفعل *

✵ القسم الاول ✵

ما هو خورى الرعية * هو نظير الرقيب الذى يسهر باحتراس نهارًا وليلًا لكى يرقب وثبات العدو وينبه عنها مدينة الله المقدسة ويحرّس شعبه لكى يتحفّظ ولا يكون مغدورًا ومنهوبًا ومقتولًا على غفلة . كما قيل فى الكتاب المقدس : قد جعلتك ديدبانًا لبيت اسرايل ... وان اخبرت المنافق لان يرجع من طرقه ولم يرجع من طريقه فهو يموت فى اثمه . واما انت قد خلصت نفسك (حزقيال ٣٣) . ومن ثم فهو ملتزم ليس لان يسهر دايمًا وبمواصلة فقط . بل لان يسهر بنوع ذى تحفّظ عظيم . حسبما يقول الرسول : الذين يسهرون كمن هم عتيدون ان يردّوا جوابًا عن انفسكم (عبرانية ١٣ ع ١٧) *

ما هو خورى الرعية * هو ابٌ محب وراوف . اب الانفس الاكثر شرفًا والاغزر اعتبارًا بغير حد من الجسد . اب الانفس المخلوقة على صورة الله ومثاله . والمفتداة بدم المخلص الالهى الثمين . ولذلك هو ملتزم بان يربى جميع اولاده فى خوف الله المقدس . ويرشدهم بحب ورفق . ويسوسهم بفطنة وحكمة . ويجعلهم ان يسيروا سيرة حسنة بنشاط . ويؤدبهم بشفقة مقترنة بقساوة عادلة .

❁ تنبية ❁

الى خوارنة الرعايا لاجل تقييم الزاماتهم

* المختلفة بالكمال *

ان مخلصنا يسوع المسيح الجزيلة محبته . قد انحدر من السما الى الارض ليلقى نار محبته الالهية المتقدة . ولا يروم شيًا اخر الا انها تضطرم وتمكث مشتعلة فى القلوب كلها . كما قال : انى اتيت لالقى نارًا على الارض ولا اريد الا اضطرامها (لوقا ١٢) . فنسال من ام الهنا الد الرحمة ان يمنحنا نعمةً لكى تضطرم خاصةً فى قلوب رعاة الانفس . وتتخذ يومًا فيومًا قوةً جديدة هذه النارالسماوية . نار المحبة الالهية . النار التى اذا كانت حقًا هكذا . اما انها تصطنع اشيا سامية . اما انها تبطل من ان تكون نارًا حقيقية . كما قال القديس غريغوريوس الكبير فى خطابه الثانى على حزقيال * فخورى الرعية الذى هو راعى الانفس . قد امتاز من العناية الالهية لكى يتخذ على ذاته جانبًا من الاهتمام المختص بولاية الاسقف وخُدمه الرعائية . وهو ملتزم بان يودى لله حسابًا صارمًا عن تلك الانفس المستودعة لعنايته . فاذا لم يكن حاسدًا على الغيرة الحقيقية التى هى ابن شهم للمحبة المقدسة ملكة كل الفضايل . فاما انه لا يفعل بمقدار ما يجب عليه . اما انه لا يفعل

السموات. طوبي للحزانى فانهم يُعزون . طوبي للوديعين فانهم يرثون الارض . طوبي للجياع ولعطاش البر فانهم يشبعون . طوبي للرحومين فانهم يُرحمون . طوبي للنقية قلوبهم فانهم ** يعاينون . طوبي لفاعلي السلامة فانهم بنى الله يدعون . طوبي للمطرودين من اجل البر فان لهم ملكوت السماوات . طوباكم اذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من اجلي كاذبين . افرحوا وابتهجوا فان اجركم عظيم فى السموات متى ٥) *

٢٧. قال يسوع : ما من احدٍ يضع يده على المحراث ثم يلتفت الى ما ورايه يكون مستحقًا لملكوت الله (لوقا ٩) * السما والارض يزولان واما كلامى فلا يزول (متى ٢٤) *

٢٨. من يصبر الى المنتهى يخلص * (متى ١٠) *



ممكنًا فعلى حسب استطاعتكم سالموا جماعة الناس (رومية ١٢) * لنظهر انفسنا فى كل شئ اننا خدام الله بالصبر الطويل بالشدايد والاحتياج والضيقات. بالحبس والجلد. بالسجس والتعب والسهر والصوم. بالعفة والمعرفة والاناة والسهولة. وبروح القدس وبالود الذى لا غش فيه. وبقول الحق وبقوة الله. بسلاح البر فى اليمين والشمال (٢. قرنتيه ٦) فاما انت يارجل الله فاهرب من هذه الاشيا (الشهوات) واسعَ فى اثر البر والعدل. وفى اثر الايمان والمحبة. وفى اثر الصبر والتواضع. وجاهد بجهاد الايمان الصالح. وادرك الحيوة الابدية (١. تيموثاوس ٦) * وقد يجب ان يكون الاسقف مَن لا يوجد فيه عيب. صاحيًا. عفيفًا. مهذبًا. محبًا للغربا. ذا تعليم. غير مدمن على شرب الخمر. ولا تسرع يده للضرب. بل يكون وديعًا. لا مخاصمًا. ولا محبًا للفضة (١. تيموثاوس ٣) * ان الاسقف ينبغى ان يكون لا زلة له بما انه قهرمان الله وان يكون وادًا للصلاح. عفيفًا بارًا طاهرًا. ملازمًا للكلام الصادق المختص بالتعليم ليقدر ان يعزى بالتعليم المعافا الصحيح. ويوبخ المشاجرين (تيطوس ١) * احرص ان تقيم ذاتك ممدوحًا قدام الله فاعلًا غير خازٍ ينذر بكلمة الحق باستقامة (٢. تيموثاوس ٢) *

٢٦. ولما جلس جاء اليه تلاميذه. ففتح فاه يعلمهم قايلًا. طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات.

انتم نور العالم. لا يمكن ان تخفى مدينة مبنية على جبل. ولايوقد سراجٌ ويوضع تحت مكيال. بل على منارة فينير الذين فى البيت. فليضئ نوركم هكذا امام الناس ليروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السما. ان شككتك عينك اليمين فاقلعها والقها عنك. فخيرٌ لك ان تدخل الحيوة بعينٍ واحدة من ان يكون لك عينان وتُلقى فى جهنم النار (متى ٥) *

٢٥. فارغب منكم الان يا اخوتى برحمة الله ان تقيموا اجسادكم ذبيحةً حية مقدسة مقبولة لله بالخدمة الناطقة. فمنا من له الخدمة. ومنا معلم بعلمه. ومنا معزى بتعزيته. ومنا من يعطى بانبساط. ومنا مَن يقوم بالرياسة باجتهاد. لا يكون فى حبكم غش. بل كونوا للشر مبغضين وبالخير معتصمين. كونوا لاخوتكم محبين ولبعضكم بعضٍ مودين. كونوا مجتهدين لا متكاسلين. كونوا بالروح حارين ولربكم عابدين. كونوا برجاكم فرحين وعلى شدايدكم صابرين. كونوا على الصلوة مدمنين وفى احتياج القديسين مشاركين. كونوا للغربا محبين. باركوا من يضطهدكم. باركوا ولا تلعنوا. افرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين. والذى تفكرون به لانفسكم فكذلك لاخوتكم. ولا ترتاوا رايًا عاليًا. بل لاصقوا المتواضعين. ولا تكونوا عند نفوسكم عقلا. ولا تجازوا احدًا شرًا عوض شرٍ. بل اجتهدوا ان تصنعوا الصالحات امام الناس كلهم. وان كان

ان يستغنوا يسقطون فى محنة الشيطان وفخه . وفى شهوات كثيرة لا عقل فيها وضارّة التى تغرق الناس فى الابادة والتهلكة . لان محبة المال هى اصل الشرور كلها (١ . تيموثاوس ٦) *

٢٠ . لما ابصر سيمون ان بوضع ايدى الرسل يُعطى الروح القدس قدّم لهما فضةً قايلًا : اعطيانى هذا السلطان لكيما كل من اضع يدى عليه ياخذ الروح القدس . فقال له بطرس : فضتك فلتكن معك للهلاك . لانك ظننت ان موهبة الله تقتنَى بالفضة (ابركسيس ٨) *

٢١ . ان كلما تسالونه فى الصلاة وتومنون بانكم تاخذونه يكون لكم . واذا قمتم تصلون فاتركوا ما كان لكم على احدٍ لكيما يترك لكم ابوكم السماوى هفواتكم (مرقس ١١) * اسالوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم (لوقا ١١) * اسهروا وصلوا ليلا تدخلوا التجارب (متى ٢٦) *

٢٢ . واما انا فانى اقمع جسدى واستعبده ليلا انا الذى بشرّت الاخرين اضحى مرذولًا (١ . قرنتيه ٩) *

٢٣ . انا اعرف اعمالك انك لست بارد ولا بحار . ليتك تكون باردًا او حارًا . بل لانك فاتر ولا انت بارد ولا حارّ فابتدى ان اتقياك من فمى (رويا ٣) *

٢٤ . انتم ملح الارض فان فسد الملح فبماذا يُملح . لا يصلح لشىء بل يُطرح خارجًا ويُداس من الناس .

ومن رفع نفسه اتضع . ومن وضع نفسه ارتفع (متى ٢٣) * فدعا يسوع تلاميذه وقال لهم : علمتم ان الذين يظنون انهم روسا الامم هم ارباب عليهم وعظماؤهم مسلطون عليهم . وليس هكذا يكون فيكم . بل من يرد ان يكون فيكم عظيمًا فليكن لكم خادمًا . ومن اراد ان يكون فيكم اولاً فليكن للكل عبدًا (مرقس ١٠) *

جا تلاميذ يسوع وقالوا له : من هو الاعظم فى ملكوت السموات . فدعا يسوع صبيًا واقامه فى وسطهم وقال : الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلا تدخلوا ملكوت السماوات (متى ١٨)* فاذا كنت انا المعلم والرب غسلت ارجلكم . فيجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض . وانما اعطيتكم هذا مثالاً لكى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضًا . ليس عبدٌ افضل من سيده . ولا رسول اعظم من مرسله (يوحنا ١٣)*

١٨ . فخرج الرسل من قدام المحفل فرحين لانهم استاهلوا ان يُذلوا من اجل اسم يسوع (ابركسيس ٥)*

١٩ . وقال يسوع لتلاميذه : لهذا اقول لكم لاتهتموا لانفسكم بما تاكلون . ولا للجسد بما تلبسون . لان النفس افضل من الطعام . والجسد افضل من اللباس . بل اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يزداد لكم (لوقا ١٢) * للثعالب احجار . ولطيور السما اوكار . وابن البشر ليس له موضع يسند اليه راسه (لوقا ٩) * فاذ لنا القوت والكسوة فلنقتنع بهما . لان الذين يوثرون ان

لاعنيكم . وصلوا على من يثلبكم . وان كنتم انما تحبون من يحبكم فاية نعمة لكم . لان الخطاة يحبون من يحبهم (لوقا ٦) * فان قدمت قربانك على المذبح وذكرت هناك ان اخاك واجدٌ عليك . فدع قربانك هناك على المذبح وامضِ اولاً فصالح اخاك . وحينيذٍ ايتِ وقدم قربانك (متى ٥) * ان المحبة تتمهل وتتوخّى البشاشة . المحبة ما تحسد . المحبة ما تضطرب . ولا تنتفخ . ولا تفعل تحجيلاً . ولا تلتمس حقوقها . ولا تحتد . ولا تفكر بالشر . ولا تسر بالظلم . بل تفرح بالحق . تحتمل كل شئ . تصدق كل شئ . تترجّى كل شئ . وتصبر على كل شئ (١ قورنتيه ١٣) *

١٤. ان اخطا اليك اخوك فاذهب وعاتبه وحدكما . فان سمع منك فقد ربحت اخاك . وان لم يسمع منك فخذ معك واحدًا او اثنين . لان على فم شاهدين او ثلثة تتم كل كلمة . وان لم يسمع منهم فقل للبيعة . وان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كوثنى وعشار . الحق اقول لكم ان كلما ربطتموهُ على الارض يكون مربوطًا فى السماوات . وما حللتموه على الارض يكون محلولاً فى السموات (متى ١٨) * وعبد الرب ما سبيله يخاصم . بل يكون متودّدًا الى كل الناس . ذا تعليمٍ وذا اناةٍ . مودبًا للمعاندين بدعتهِ لعل الله يعطيهم توبةً لمعرفة الحق (٢ تيموتاوس ٢) *

١٧. تعلموا منى فانى وديع ومتواضع القلب (متى ١١) * والكبير الذى فيكم يكون لكم خادمًا .

ما لا يُرى . وخلوًا من الايمان لا يستطيع احد ان يرضى الله . لانه يجب على من يتقرب الى الله ان يومن بانه هو وبانه مجازٍ للمتمسيه (عبرانيين ١١) *

١٦. فاذ قد تبررنا من الايمان فلنا سلامة لدى الله بسيدنا يسوع المسيح الذى به صار لنا المدخل بالايمان الى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ومفتخرون برجا مجد بنى الله . وليس بهذا فقط بل ونفتخر ايضًا بالضيقات عالمين ان الضيق ينشى الصبر . والصبر يولد الامتحان . والامتحان الرجا . والرجا لا يخزى . لان محبة الله انسكبت فى قلوبنا بروح القدس المعطى لنا (روميه ٥) *

١٥. وقال يسوع اعطيتكم وصيةً جديدة ان يحب بعكم بعضًا كما احببتكم انا لكى تحبوا انتم ايضًا بعضكم بعضًا . بهذا يعرف كل واحدٍ انكم تلاميذى انكان فيكم حب بعضكم بعضًا (يوحنا ١٣) * كما احبنى الاب كذلك انا احببتكم . اثبتوا فى محبتى . وهذه هى وصيتى ان يحب بعضكم بعضًا كما احببتكم . ما من حبٍ اعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه عن احبايه . انا هو الكرمة وانتم الاغصان . من يثبت فىَّ وانا فيه فهو يانى باثمار كثيرة لان بدونى لن تقدروا ان تعملوا شيًا (يوحنا ١٥) * اجاب يسوع وقال له : من يحبنى يحفظ كلمتى . وابي يحبه واليه ناتى ونصنع عنده منزلًا (يوحنا ١٤) * كونوا راوفين كما ان اباكم راوف . حبوا اعداكم واحسنوا الى من يبغضكم . وباركوا لاعنيكم

لكل عملٍ صالح (٢. تيموتاوس ٣) * واناشدك امام الله والرب يسوع المسيح العتيد ان يدين الاحيا والموتى في ظهورهِ وملكهِ نادِ بالكلمة وقم بما انت فيه مجتهدًا في وقت ذلك وفي غير وقته . وبّخ واسال ووبّب بكافة التمهل والتعليم . لان سيكون وقتٌ لا يحتملون فيه التعليم الصحيح ولكن يكثّرون لهم كما يختص بشهواتهم معلمين يحكون سمعهم . ويردون اذانهم عن الحق ويحنون الى الخرافات . اما انت فكن متيقظًا . واتعب في كل شي . واعمل عمل المبشّر . وتمم خدمتك . (٢ تيموتاوس ٤)* احذروا من الانبيا الكذبة الذين ياتونكم بلباس الحملان ومن داخلهم ذياب خاطفة (متى ٧) * فاما انتم فلا تُدعوا معلمين . فان معلمكم هو واحدٌ . وانتم جميعًا اخوة . ولا تُدعوا مدبرين فان مدبركم واحد وهو المسيح (متى ٢٣) * وكان سبتًا وجعل يسوع يعلم في المجمع وكثيرون كانوا يسمعون ويتعجبون من تعليمه (مرقس ٦) *

١٢ . وقال لهم يسوع : مكتوبٌ هو ان بيتي بيت الصلاة يُدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص (متى ٢١)* لا تجعلوا بيت ابي بيت التجارة (يوحنا ٢) *

١٣ . فقال الرب لو كان فيكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الشجرة انتقلي وانغرسي في البحر فكانت تسمع منكم (لوقا ١٧) * ان الايمان هو الايقان بالامور المرجوة . وبرهان على ما

الروح القدوس فيها اساقفة لترعوا بيعة الله التى اقتناها بدمه. ومنكم انفسكم سيقوم رجالٌ يتكلمون اقوالًا معوجة ليستجرّوا ويستجذبوا التلاميذ وراهم. فلهذا تيقظوا (ابركسيس ٢٠) * اتضرع الى المشايخ (القسوس) الذين فيكم انا الشيخ نظيرهم. والشاهد بالام المسيح وشريك المجد العتيد استعلانه ان ترعوا رعية الله التى فيكم مهتمين لا اهتمامًا اضطراريًا بل اختياريًا حسب روح الله. لا لغاية قبيحة. ولا لربحٍ سمج. بل بنشاط. لا كمن يسودون ذوى مراتب الكهنوت. بل تصيرون رسمًا وقدوةً للرعية حتى اذا ظهر ريس الرعاة تحتضنون الاكليل المجد الذى لا يضمر (١. بطرس ٥) *

١١. الويل لى ان لم ابشر. (١. قرنتيه ٩) * واظب على القراة الى حين قدومى وعلى الموعظة وعلى التعليم. ولا تتهاون بالنعمة التى هى فيك التى اُعطيت لك بالنبوة ووضع يدى القسوسية. فادرس هذه الاشيا وتشاغل بها لتُعرَف عند كل احد انك مقبل الى ما قدامك واحتفظ بنفسك وتمسك بهما. فانك اذا فعلت هذه تحيى نفسك والذين يسمعونك. (١. تيموثاوس ٤) * فليكن لك شبه الكلام الصحيح الذى سمعته منى بالايمان والحب الذى بيسوع المسيح. احفظ الوديعة الصالحة بروح القدس الحال فينا (٢. تيموثاوس ١.) * ان كل كتاب مُوحَى به من الله فهو نافع للتعليم. للتوبيخ. للتثقيف وللادب الذى فى العدل. ليكون رجل الله كاملًا متاهبًا لكل

لكم . لاتهتموا للغد فالغد يهتم بشانهِ ويكفى كل يوم شره . (متى ٦) * وانتم فلا تطلبوا ما تاكلون او ما تشربون. ولاترتفعوا . لان هذا كله امم العالم تطلبه . وانتم فابوكم يعلم انكم محتاجون الى هذا . (لوقا ١٢) * سراج الجسد العين فاذا كانت عينك بسيطة فان جسدك كله يكون نيّرًا . واذا كانت عينك شريرة فان جسدك كله يكون مظلمًا . انظر الّا يكون النور الذى فيك ظلمة . (لوقا ١١) *

٨. ودعا يسوع الجمع مع تلاميذه وقال لهم : من يرد ان ياتى وراءى فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فكل من يشا ان يُحيى نفسه فليهلكها . ومن يُهلك نفسه من اجلى ومن اجل بشارتى يحييها . ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم باسره وخسر نفسهُ . (مرقس ٨) *

٩. فابتدا بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك . فاجابه يسوع قايلًا : الحق اقول لكم انه ليس احدٌ يترك بيوتًا . او اخوةً او اخواتٍ . او ابًا او امًا . او امراةً . او بنين . او حقولًا لاجلى ولاجل بشارتى الا وياخذ ماية ضعف الان فى هذا الزمان . وفى الدهر الاتى الحيوة الموبدة (مرقس ١٠) * ان الكتاب الالهى يقول : لاتكمم ثورًا دارسًا . والفاعل مستحق اجرته . (١. تيموثاوس ٥) * اكنزوا لكم كنوزًا فى السما حيث لا اكلة ولا سوس يفسد . ولا ينقب السارقون ولا يسرقون . (متى ٦) *

١٠. اصغوا الى انفسكم والى جماعة الرعية التى جعلكم الروح

الله . ومن يخدم يخدم نظير القوة التى يرزقها الله . ليُمجد الله على ساير الاحوال بيسوع المسيح الذى له المجد والعزة الى اباد الدهور (١. بطرس ٤) *

٩. كونوا كاملين كما ان اباكم السماوى هو كامل . (متى ٥) * كما ان الذى دعاكم قدوسٌ صيروا انتم ايضًا قديسين فى جميع تصرفاتكم . لان قد كُتب : صيروا قديسين فانى قدوسٌ (١. بطرس ١) * فاما انتم فانكم الجنس المختار . والكهنوت الملوكى والامّة المقدسة والشعب المقتنَى (١. بطرس ٢) * واما يسوع فكان ينشو فى الحكمة والعمر والنعمة عند الله والناس . (لوقا ٢) * الامين فى القليل يكون امينًا فى الكثير . والظالم فى القليل يكون هو ظالمًا فى الكثير (لوقا ١٩) * لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لياد تدوسها بارجلها (متى ٧) * فليمتحن الانسان نفسه وحينيذٍ ياكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس . لان من ياكل ويشرب منه وهو لا يستحقه . فانما ياكل ويشرب دينونةً لنفسه . اذ لم يميّز جسد الرب (١. قرنثية ١١) * ادخلوا من الباب الضيق . فان المسلك الواسع والطريق الرحب يودى الى الهلاك . والداخلون فيه كثيرون . ما اضيق الباب واكرب الطريق التى تودى الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونها . (متى ٧) *

٧. اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره . وهذا كله يزداد لكم

ابي الذى فى السموات . ومَن انكرنى قدام الناس . انكرته انا قدام ابي الذى فى السماوات . (متى ١٠) *

٤. ليس انتم اخترتمونى بل انا اخترتكم واقمتكم لتنطلقوا وتاتوا باثمار وتدوم اثماركم لكى يعطيكم الاب كلما تسالونه باسمى . (يوحنا ١٥) * كل عظيم احبار مُتَّخذ من الناس انما يقام بدل الناس فى الاشيا التى هى لله ليقرب القرابين والذبايح عن الخطايا . ويقدر ان يتالم مع الجهال والضالين من اجل انه لابسٌ الضعف ايضًا . ولذلك كان يجب عليه كما يقرب عن الشعب كذلك يقرب عن نفسه من اجل الخطايا . ليس احد ينال الكرامة لنفسه الا من يدعوه الله كما دعا هارون . هكذا المسيح ايضًا لم يمدح نفسه ليكون رئيس احبارٍ . لكن الذى قال له : انت ابنى انا اليوم ولدتك (عبرانيين ٥) * فلذلك يا اخوتى احرصوا جدًا ان تجعلوا دعوتكم واصطفاكم محقًا . فانكم اذا عملتم هذه فما تزلون اصلًا قط (٢ بطرس ١) *

٥. فلنُحسب هكذا من الانسان كخدام المسيح وموزعى اسرار الله . فيُطلَب الان هاهنا فى الموزعين ان يوجد كلٌ امينًا (قرنثيه ٤) * واما القسوس ذووا الولاية الحسنة فليُوهلوا لكرامة مضاعفة . لاسيما الذين يتعبون فى الكلام والتعليم (١. تيموتاوس ٥) * وكل احدٍ كما قد اخذ موهبة اخدموها فى بعضكم بعضًا كما يليق بقهارمة فضلا على نعمة الله المتلوَّنة . من يتكلم يتكلم مثل قول الله

يسوع وقال لسمعان : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى وابواب الجحيم لا تقوى عليها . واعطيك مفاتيح ملكوت السموات . وكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً فى السموات . وكلما حللتهُ على الارض يكون محلولاً فى السموات . (متى ١٦) *

٣. واختار الرب سبعين تلميذًا اخرين وارسلهم اثنين اثنين قدام وجهه الى كل مدينة وموضع حيث كان عتيدًا ان ياتى . وقال لهم : الحصاد كثير واما الفعلة فقليلون . اطلبوا الى رب الحصاد كى يُخرج فعلة لحصاده . اذهبوا ها انا مرسلكم كالخراف بين الذياب . واى بيتٍ دخلتموه فقولوا اولًا : السلام لهذا البيت . واية مدينة دخلتموها وقبلوكم اشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم : قد اقتربت منكم ملكوت الله . (لوقا ١٠) * مجانا اخذتم مجانًا اعطوا . لا تقتنوا ذهبًا ولافضة ولا نحاسًا فى اكياسكم . واية مدينة او قرية دخلتموها فاسالوا فيها عن من يستحقكم وكونوا هناك حتى تخرجوا . كونوا حكما كالحيات وودعا كالحمام . فانهم يقدمونكم الى الولاة والملوك من اجلى شهادة لهم وللامم . فمتى سلموكم فلا تهتموا بكيف او بماذا تتكلمون فانكم تُعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . (متى ١٠) * لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولايستطيع ان يقتل النفس . بل خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد فى جهنم . كل من يعترف بى قدام الناس . اعترف انا به قدام ابى

مجد به اسمك القدوس فى حين صلواته الالهية التى كان يتلوها ليلاً ونهاراً فى كل تصرف حياته على الارض . وهو الان ساكن وسط قلبى ويضرع معى وانا معهُ . ويشفع فىَّ عندك بعلامات جروحاته المحيية . انعم علىَّ يارب بنعمتك واهلنى لان اعبدك واحبك ايام حياتى كلها . وبعد موتى امجدك واتمجد اسمك القدوس فى ملكوتك مع كافة القديسين وطغمات الملائكة كلها الى ابد الابدين . امين *

❁ نصايح ملتقطة من العهد الجديد لاجل افادة الكهنة ❁

١. روح الرب علىَّ من اجل هذا مسحنى وارسلنى لابشّر المساكين . واشفى منكسرى القلوب . وانذر المأسورين بالتخلية . والعميان بالنظر . واكرز بسنة الرب المقبولة . ويوم الجزاء (لوقا ٤) * وكان يسوع يطوف الجليل كله ويعلم فى مجامعهم . ويكرز ببشارة الملكوت . ويشفى كل مرضٍ واسترخاء فى الشعب . فذاع خبره فى جميع الشام . فقدموا اليه كل المعذبين بالامراض والاوجاع المختلفة . والذين بهم الشياطين . والمعترين فى رووس الاهلّة . والمقعدين فاشفاهم . (متى ٤) *

٢. وتقدم يسوع الى تلاميذه وكلمهم قايلاً : قد اعُطيت كل سلطانٍ فى السما والارض . اذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وعمدوهم بسم الاب والابن والروح القدس . وعلموهم حفظ جميع ما اوصيتكم به (متى ٢٨) * فاجاب يسوع

بتقدمة هذه الذبيحة الالهية وتناولى سرك الاهى . ثم امنحها ايضًا للاحيا والاموات الذين قد نويت ان اصلى من اجلهم . لانى اضرع اليك من اجل الذين تشا انت ويريد الحبر الاعظم ان اضرع من اجلهم *

✲ ابتهال لوالدة الله ✲

ايتها البتول المجيدة والدة سيدنا يسوع المسيح ملكة السما . يا ايتها التى وجدت مستحقة ان تحملى فى احشاك النقى خالق كل الخلايق ذلك الذى تناولت انا جسده ودمه الاقدسين . ارتجى ان تشفعى فىَّ انا الخاطى الشقى لكى يغفر لى الله بشفاعتك كلما زللت به بالجهل والتوانى ضد الاكرام الواجب لهذا السر المسجود له *

انى لمعترف بين يديك يا امى بانى خاطٍ ومدنس بالشرور والاثام كلها ولا استطيع وفا ما لك علىَّ من الدين الثقيل . ولكن فليفهِ عنى دم هذه الذبيحة الذكية الحالة فى قلبى من لدن رحمتك . ولتمحُ ذنوبى وزلاتى . فاقبل يارب هذا الدم الطاهر الذى سُفك على الصليب من اجلى ومن اجل خطاياى وخطايا جميع العالم فاغفرها بتحننك . امين *

اللهمَّ انه لا علمَ لى كيف اصلى فليرشدنى اذًا روحك القدوس فى صلواتى المتصلة . اذكر ايها الاب السماوى صلوات ابنك الوحيد سيدنا يسوع المسيح الذى ابتهل اليك وهو فى هذا العالم وطلب من عزتك لاجل جميع المومنين باسمك كلهم . وانظر الى الاكرام والمجد الذى مجد

ساعة موتى ادعنى وامرنى ان آتى اليك وضعنى بقربك لكى اسبحك مع ملايكتك وقديسيك الى ابد الدهور كلها .

امين * * ابتهال اخر *

يا يسوع الحلو يا عذوبة وحلاوة حياتى وراحة نفسى وبهجتها انى اشكرك على كل حسناتك الىَّ لاسيما لانك اهلتنى فى هذا اليوم لان اقدس جسدك ودمك الحقيقين الاطهرين واقدمهما لربوبيتك تذكرةً لعجايبك ومن اجل مجدك ومغفرة خطاياى وخطايا الذين قد قصدت ان اصلى واقدس من اجلهم . ثم اشكرك ايضًا على انك سمحت لى بان اتناولهما واقتات منهما بهذا المقدار حتى انه عاد يسوغ لى ان اقول : المسيح هو طعامى وانا صرت له خاصةً . فمن اجل ذلك اثنى اليك شكرًا متواترًا . بل ان نفسى تشتهى ان تشكرك فى كل دقيقة شكرًا غير متناهٍ . ومن كونى عاجزًا عن تقدمة الشكر الواجب لسيادتك . فمن ثم اضرع الى العذراء المجيدة والى جميع المليكة والقديسين والخلايق كافةً ان يقدموا لك عنى شكرًا متصلاً . فاذ قد ارتضيت ان تصيّر نفسى مسكنًا لعزتك . فارتضِ اذًا بان تسكن فيها على الدوام . واجعلنى انسانًا نظير قلبك الاقدس . دعنى اتحد بك اتحادًا بليغًا . واجلنى اليك بالكلية . خلصنى يا يسوع مخلصى . ونجنى من خبث العدو القديم . وانعم علىَّ بهذا من اجل استحقاقات الامك المقدسة . ثم انى اطلب من جودك ان تمنحنى جميع النعم والغفرانات التى استطيع ان اربحها بتقدمة

بهذه الوليمة الغير الموصوفة حيث تكون انت مع ابنك وروحك القدوس نورًا حقيقيًا لقديسيك وشبعهم الكامل. وفرحهم الابدى. وسعادتهم الغير المتناهية. فهذا ما اتمسه من فيض جودك باستحقاقات سيدنا يسوع المسيح الذى يحيى ويملك معك باتحاد الروح القدس الى دهر الداهرين. امين*

✲ ابتهال ✲

ايها الاله الازلى الضابط الكل يا حافظ الانفس ومخلص العالم. انظر بعين حنوك الى عبدك الجاثى امام عزتك. وانظر ايضًا بعين جودتك ورحمتك الى هذه الذبيحة التى قدمتها من اجل اسمك ومن اجل خلاص المومنين الاحيا والاموات. ومن اجل خطاياى وزلاتى. وابعد عنى غضبك وعاملنى بالرحمة وامنحنى النعمة. وافتح لى باب السما بقدرتك. نجنى من كل شر. واغفر لى جميع ما اذنبت اليك. واهلنى لان استمر مدة حياتى كلها سالكًا فى طريق وصاياك. لكى استحق ان احمى ما بين مختاريك. فانعم علىَّ بهذا يالهى. يا من يدوم اسمه ومجده وملكه الى دهر الداهرين. امين *

✲ ابتهال ✲

يا نفس المسيح قدسينى. يا جسد المسيح خلصنى. يا دم المسيح اسكرنى. يا ما جنب المسيح طهرنى. يا عرق وجه المسيح اشفنى. يا الام المسيح قوينى. يا يسوع الصالح احفظنى. وفى جراحاتك اخفنى. ولاتسمح يا الهى بان انفصل منك. بل من العدو الخبيث استرنى وفى ساعة

تمنحنا بتحننك نحن عبيدك الا نحترق من لهيب الرذايل *

نسالك يارب ان تسبق اعمالنا بتوفيقك وتصحبها بمعونتك . لتبتدى جميع صلواتنا وافعالنا منك وتكمل من اجلك *

امنحنا اللهم قوة لنطفى لهيب رذايلنا كما انك منحت لصفيك لورنسيوس قوة الظفر بحرارة النار المتوقدة لعذابه . بحق ربنا يسوع المسيح . امين *

✲ صلوة القديس توما اللاهوتى ✲

اشكرك ايها الرب القدوس الاب الضابط الكل الاله الازلى السرمدى لانك تفضلت علىَّ انا عبدك الخاطى لا من اجل استحقاق وجدت فى قلبى . بل من اجل مجرد رحمتك علىَّ ارتضيت ان تغذونى بجسد ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح ودمه الاطهرين . فلا تسمح يا الهى بان يكون تناولى هذا السر المسجود له ديونونةً . بل يكون لى دواءً يحدينى الغفران والخلاص . وليكن لى ترس الايمان. ويمنحنى ارادة صالحة . وينجينى من رذايلى . ويبيد عنى حركات الشهوة الدنسة . وينمى فى قلبى المحبة والصبر والاتضاع والطاعة وبقية الفضايل . ويحفظنى من اعداى المنظورين والغير المنظورين . ويطفى عنى شهوة الجسد ويضرم فىَّ نار المحبة . ويجعلنى ان استمر متحدًا بك يا ايها الاله الحق لكى اتمم سعى حياتى فى حال نعمتك . واطلب من جودك وكرمك ايضًا بان تنعم علىَّ بالتمتع بهذه

صالحٌ انت يارب فبصلاحك علمنى صدقك (١١٨) * اهدنى يارب الى طريقك فاسلك فى حقك. وليفرح قلبى عند خوفه من اسمك (٨٥) * اجعل يارب حافظا لفمى وبابًا حصينًا على شفتى (١٤٠) * نجنى من الدما ياالله اللهمَّ الاه خلاصى. يبتهج لسانى بعدلك (٥٠) * اللهمَّ باسمك خلصنى وبقوتك احكم لى. اسمع يا الله صلاتى وانصت الى كلام فمى (٥٣) * بالله خلاصى ومجدى. الله عونى ورجاى على الله توكلت (٦١) * ليترأف الله علينا ويباركنا. وليضئ بوجهه علينا ويرحمنا. لنعرف فى الارض طريقك وفى جميع الامم خلاصك. فلتعترف لك الشعوب يا الله. فلتعترف لك الشعوب كلها. فليباركنا الله الاهنا. فليباركنا الله ولترهبه كافة اقطار الارض (٦٦) * اللهمَّ اصغى الى معونتى يارب اسرع الى اغاثتى. واما انا فمسكين وفقير اللهمَّ اعنّى (٦٩) *

كير ياليسون كريستيا. كيريا. * ابانا الذى فى السموات الخ* (س) لا تدخلنا فى التجارب (ج) لكن نجنا من الشرير (س) لتعترف لك يارب جميع اعمالك (ج) وليباركك قديسوك (س) ليبتهج الابرار بالمجد (ج) ويفرحون على مضاجعهم (س) لا لنا يارب لا لنا (ج) بل لاسمك اعطى المجد (س) يارب استمع صلاتى (ج) وصراخى اليك ياتى * * صلاة *

اللهمَّ يا من خمَّدت حرارة لهيب اتون النار المتوقدة وجعلتها الّا تمسّ الفتية الثلثة والا تحزنهم. نسالك ان تمنحنا

الرب من الان والى الدهر (١١٣) * هلم فلنبتهج بالرب ونهلل ☩ مخلصنا . نسبق الى وجهه بالاعتراف وبالزبور نهلل له (٩٤) * مبارك انت يارب الاه ابائنا . مبارك انت فى هيكل قداسة مجدك وفوق المسج وفوق المتعالى الى الابد . مبارك انت الذى تنظر الاعماق وانت جالسٌ على الكاروبيم . مبارك انت على كرسى مجد ملكك . مبارك انت فى جلد السما وفوق المسج وفوق المتعالى الى ابد . باركوا يا جميع اعمال الرب الرب سبحوه وارفعوه الى الابد . باركوا يا مليكة الرب وسموات الرب للرب سبحوه وارفعوه الى الابد . باركوا يا بنى البشر . باركوا يا كهنة الرب للرب سبحوه وارفعوه الى الابد . باركوا يا جميع عبيد الرب للرب . باركى يا ارواح وانفس الصديقين للرب . باركوا يا ايها القديسون ومتواضعى القلوب للرب . باركوا يا جميع المتقين للرب الاه الالهة , اشكروا الرب فانه صالح وان الى الابد رحمته (دانيال ٣) *

٣. طوبى للانسان الذى تودبه يارب ومن ناموسك تعلمه (٩٣) * من كل قلبى طلبتك فلا تبعدنى من وصاياك . علمنى عدلك . غريبٌ انا فى الارض فلا تخفى عنى وصاياك . فهمنى فافحص ناموسك واحفظه بكل قلبى . امل قلبى الى شهاداتك . لا الى الهره والاستكثار . اردد عينى ليلا تعاينا باطلًا وفى طريقك احينى . ثبّت قولك لعبدك فى خوفك . فلا تنزع من فمى قول الحق الى الغاية . خيرًا صنعت مع عبدك يارب بحسب قولك .

فى مذلتنا فان الى الابد رحمته . الذى يعطى الغذا لكل ذى جسد . فان الى الابد رحمته (١٣٥) * باركى يا نفسى الرب وجميع ما فى باطنى لاسمه القدوس . باركى يا نفسى الرب ولا تنسى جميع مكافاته . الذى يغفر جميع ذنوبك . الذى يشفى ساير امراضك . الذى ينجى من البلى حياتك . الذى يكللك بالرحمة والرافة . الذى يشبع بالخيرات شهواتك . ويجدد مثل النسر شبابك (١٠٢) *

٢. ابارك الرب فى كل وقت وفى كل حين تسبحته فى فمى . بالرب تمتدح نفسى . ليسمع الودعا ويفرحوا . عظموا الرب معى ولنرفع اسمه جميعًا (٣٣) * عظيم هوالرب ومسبح جدا فى مدينة الهنا فى جبل قدسه (٤٨) * ابتهجوا ايها الصديقون بالرب . للمستقيمين ينبغى التسبيح (٣٢) * يا جميع الامم صفقوا بالايادى . هللوا بصوت الابتهاج . رتلوا لالهنا رتلوا لملكنا رتلوا (٤٩) * مجدوا الرب مجدًا جديدًا . سبحوا الرب كل الارض سبحوا الرب وباركوا اسمه . بشروا من يوم الى يوم بخلاصه . الاعتراف والبها قدامه . القدس والجلال العظيم فى قدسه (٩٥) * سبحوا ايها الفتيان الرب سبحوا لاسم الرب . ليكن اسم الرب مباركًا من الان والى الدهر . من مشرق الشمس الى المغرب يُسبَّح اسم الرب . من مثل الرب الهنا الذى يسكن فى العلا . الذى ينهض المسكين من الارض ويرفع البايس من المزبلة (١١٢) * ليس الاموات يسبحونك يارب ولا كل الهابطين فى الجحيم . لكن نحن الاحيا نبارك

الرب

الكريم والثمن المهراق من جراحات يسوع ربي المصلوب والمطهّر كل خطايا العالم. اذكر يارب خليقتك التى فرحتها بدمك. وها انا نادمٌ على خطاياى وارغب اصلاح سيرتى. فانزع عنى اثامى جميعها يا ايها الاله الكلى الصلاح والرحمة. ونقّ نفسى وجسدى لكى استطيع ان اتناول قدوس القديسين باستحقاقٍ. واهلنى اللهمَّ لكى يكون لى تناولى جسدك ودمك الاقدسين سببًا لمغفرة خطاياى وتنقية ذنوبي وطرد الافكار الدنسة. ومصدر الحركات المقدسة والافعال الخلاصية المرضية لك. وترسًا منيعًا لنفسى وجسدى بازا مكامن اعداى. امين *

❁ تقدمة الشكر يتلوها الكاهن ❁
❁ بعد القداس الالهى ❁

اى شئٍ لى فى السما. وماذا اردت سواك على الارض. قد فنى قلبى وجسدى. يا الله الهَ قلبى ونصيبى الى الدهر. خيرٌ لى الالتصاق بالله وان اجعل على الرب اتكالى لاخبر بكل تسابيحك فى ابواب ابنة صهيون (٧٢) * من قبل الرب كانت هذه وهى عجيبة فى اعيننا. هذا هواليوم الذى صنعه الرب نتهلل ونفرح به (١١٧) * نعترف لك يالله نعترف لك وندعوا باسمك ونحدّث بجميع عجايبك (٧٤) * اعترفوا للرب فانه صالح. ان الى الابد رحمته. اعترفوا لاله الالهة فان الى الابد رحمته. الصانع العجايب العظام وحده. فان الى الابد رحمته. لانه ذكرنا

واصلاح السيرة مع زمن التوبة . ونعمته الالهية مع تعزية الروح القدس والثبات فى ممارسة الافعال الصالحة . امين *

* صلوة القديس امبروسيوس *

انى لاخشى واجزع مرتجفًا يا يسوع الهى وتخلعى من التقدم الى وليمتك العذبة لكونى اعلم بانى خاطئ ومتعرى من كل استحقاق . وليس لى رجا الا فى رحمتك وخيريتك . وما عدا ذلك فانى اشاهد نفسى وجسدى مدنسين بذنوب كثيرة لا عدد لها . فيا ايتها العزة المرعبة . بل يا ايها الاله الكلى الصلاح اننى وانا فى شقاى هذا التجى اليك بما انك معين الرحمة . واسرع نحوك طالبًا منك ان تشفينى من سقمى هذا وتقينى تحت ستر كنفك . لان نفسى التى ترهب من الوقوف امام منبر عدلك وتراك ديانًا ترغب ان تتخذك لها مخلصًا . فهاانا يارب اريك جراحاتى واكشف لك عارى . لكونى اعرف خطاياى الكثيرة التى لاازال خايفًا ووجلاً من اجلها . الا انى اعلم ايضًا ان مراحمك لا يمكن احصاوها . فانظر اذًا الىَّ بعين رحمتك هذه يا يسوع ناصرى . ايها الرب الملك الازلى الاله الحقيقى المصلوب لاجل خلاص البشر . واستجب صلوة عبدك المتكل عليك . وارحمنى انا المفعم شقاء وخطاء . لانك انت هو عين الرحمة التى لاتزال تفيض مياه الخلاص . ثم السلام عليك ايتها الذبيحة الالهية ذبيحة الخلاص المقدمة على عود الصليب من اجلى ومن اجل كافة البشر . السلام عليك ايها الدم الكريم

غيظا وشكًا . ثم انى اقدم ايضًا هذا القداس الالهى لاجل جميع مراتب الكنيسة الكاثوليكية وحفظها ونموها وارتفاعها . ومن اجل اتحاد الملوك المسيحيين . واستيصال الارتقات . وامتداد رياسة الحبر الاعظم . وخلاص انفس المومنين من المطهر . ومن اجل حفظ كل الرهبنات ونموها وارتداد الامم عن الضلال . ومن اجل الذين اقمت عليهم ريسًا او مدبرًا . ومن اجل انفس الذين ماتوا على غفلة والذين ليس لهم من يذكرهم . والذين طلبوا منى ان اذكرهم فى صلواتى وقداساتى . واخيرًا اقدم هذا القداس الالهى من اجل جميع الاحيا والاموات الذين يريد السيد المسيح وتشتهى والدته المجيدة ان يُصلَّى ويُقدَّس من اجلهم . فهذه هى نيتى انا الخادم الغير المستحق . وهذا اقصده فى تقدمة هذا القداس الالهى حسب نية الكنيسة المقدسة الكاثوليكية *

تنبيه * اعلم ان البابا غريغوريوس الثالث عشر منح غفران خمسين سنة لكل كاهن يتلو الصلوة التالية قبل تقدمة القداس الالهى . * صلوة *

ايها الاله الضابط الكل انى اريد فى هذا الحين ان اقدس واقدم ذبيحة جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الاطهرين لمجدك ومجد كنيستك المنتصرة . ولغاية نفعى وغاية كنيستك المحاربة . ثم من اجل كل الذين طلبوا صلواتى . ومن اجل سعادة حال الكنيسة المقدسة الرومانية . امين * ليمنحنا الله الضابط الكل والرحوم السرور مع السلام

وتطهّر دنسى . وتنير عماى . وتغنى فقرى . وتكسو عريى وتكفى احتياجى . انى لاسجد لك وادنو منك يا خبز الملايكة ملك الملوك وسيد السادات بخشوع وطاعة . بانسحاق وعفة . بطهارة وامانة . بنية مستقيمة وقصد يليق لخلاص نفسى . ايها الاب الكلى الرافة اجعلنى اهلاً لان اتمتع دايمًا بمشاهدة وجه ابنك الحبيب الذى اتناوله الان محجوبًا فى هذه الحياة الحاضرة . ذاك الذى يحيى ويملك معك باتحاد الروح القدس الى دهر الداهرين * امين *

✲ تصميم النية قبل القداس ✲

انى اروم فى هذا الوقت ان اقدم ذبيحة القداس الالهى لتمجيد الثالوث الاقدس . وتذكارًا لحيوة مخلصنا سيدنا يسوع المسيح والامه وموته وقيامته طالبًا الاتحاد باستحقاقاته واستحقاقات جميع القديسين . ثم اقدم ايضًا هذه الذبيحة الالهية اكرامًا للجزيلة الغبطة مريم البكر . والملايكة والقديسين . وها انا اقدمها مع تسابيحكم وصلواتهم واستحقاقاتهم ومع جميع الصلوات المقدمة لك اللهمَّ فى العالم كله . ثم انى اقدم هذه الذبيحة ايضًا من اجل ضرورياتى الحاضرة والعتيدة التى تخصنى نفسًا وجسمًا . ولكى انال عونًا وتعزيةً وغفران خطاياى التى اريد ان اندم عليها على الدوام ندامةً حقيقية . وغفران خطايا جميع الاحيا والاموات . لاسيما والدى واخوتى واخواتى واقربائى واصدقائى واعدائى والمحسنين الىَّ . والذين سببت لهم غيظًا

ان تنقى قلبى وتطهّر جسدى من كل فكر ردى ومن كل درن الخطية. واجعلنى مستحقًا ان ادنو من مذبحك الطاهر بلا عيبٍ ولا دنس . واقدم عليه ذبيحةً مرضية ومقبولة لدى رافتك . وذلك لغفران خطاياى الكثيرة والفايق عددها ومحو ماثمى الفظيعة . ورحض ذنوب جميع المسيحيين كافةً . بحق ربنا يسوع المسيح الذى قدم لك نفسه ايها الاب الازلى ذبيحةً عنا *

❁ ابتهال الى القديس او القديسة المختص لذكرهما ❁

* ذلك اليوم *

ايها القديس الجليل (او ايتها القديسة الجليلة) انى انا الخاطى الشقى المتكل على استحقاقك . اقدم الان اكرامًا لك السر الاقدس سر جسد ربنا يسوع المسيح ودمه المسجود لهما . واطلب منك بتواضع وعبادة ان تشفع فىَّ اليوم لكى استطيع ان اقدم لله تعالى كما يجب هذه الذبيحة السماوية واسبحه معك ومع جميع مختاريه . واملك معه الى الابد . امين *

❁ صلوة القديس توما الاكوينى ❁

ايها الاله السرمدى الضابط الكل هوذا انا اقترب متقدمًا الى تناول جسد ابنك الوحيد سيدنا يسوع المسيح ودمه المحيى كالمريض الى طبيب المراحم . كالوسخ الى ينبوع الحياة . كالاعمى الى نور البهاء الازلى . كالمسكين والمحتاج الى كنز الخيرات السموية والارضية . ثم ابتهل الى جودك وادنو من فيض مواهبك التى لا تحد لكيما تشفى مرضى

* غيرها *

اننا نسال يارب روحك البارقليط لكى ينير عقولنا وضمايرنا . ويرشدنا الى كل حق حسبما وعدنا ابنك الوحيد * غيرها * نسالك يارب ان تاتى قوة روحك القدوس وتحل علينا وتنقى قلوبنا وتحفظنا من سايرالمضادات * غيرها * اللهمَّ يا منير قلوب المومنين بنور الروح الكلى قدسه . انر الان قلوبنا بهذا الروح لنفهم طرقك المستقيمة ونتمتع بسلوانه وتعزيته الى الابد *

غيرها * هلمَّ يارب وطهّر ضمايرنا حتى اذا ما جا ابنك الوحيد سيدنا يسوع المسيح يجد فينا منزلاً معداً له لايقًا لجلاله . ذاك الذى يحيى ويملك معك باتحاد الروح القدس الى دهر الدهرين . امين *

✲ ابتهال الى والدة الله ✲

ها انا العبد الخاطى الشقى التجى اليك بكل عواطف قلبى يا ام الرحمة الكلية الغبطة مريم البتول . طالبًا من حنو قلبك الانيس الحليم ان تكونى معينةً الى ولسايرالكهنة الذين يقدسون فى هذا اليوم هاهنا وفى الكنيسة المقدسة كلها . واحضرى تقدمتنا ابنك الحبيب ذبيحةً . كما انك حضرت تقدمته تعالى نفسه ذبيحةً على عود الصليب المقدس . وصيّريها بشفاعتك مقبولة لدى الثالوث الاقدس . امين *

ايها الاله الذى تجعل الغير المستحقين مستحقين وتصيّر الطالحين صالحين . والدنسين انقيا طاهرين . اسالك ان

باركوا الرب ياكافة عبيد الرب . الواقفين فى بيت الرب وفى ديار بيت الهنا . بالليالى ارفعوا ايديكم الى القدس وباركوا الرب (١٣٣) * الرب نصيب ميراثى وكاسى . انت الذى ترد الىَّ ميراثى (١٥) * هذى هى راحتى الى دهر الداهرين . هاهنا اسكن لانى ارتضيتها (١٣١) *

كيريالیسون كريستياليسون كيريالیسون . ابانا الذى فى السموات الخ . (س) لا تدخلنا فى التجارب . (ج) لكن نجنا من الشرير (س) انا قلت يارب ارحمنى (ج) واشف نفسى لانى اليك اخطات (س) لتكن يارب رحمتك علينا (ج) كمثل اتكالنا عليك (س) لتلبس اللغم كهنتك البر (ج) وابرارك يتهللون (ص) طهرنى يارب من خفياتى (ج) ومن الغربا اشفق على عبدك (س) يارب استمع صلاتى (ج) وصراخى اليك ياتى . * صلوة *

ايها الاله الكلى الرحمة والصلاح امل اذنيك الى طلبتنا . وانر قلوبنا بنعمة الروح القدس لنكون اهلاً لان نخدم اسرارك كما يجب ونحبك الى الابد امين *

* صلوة اخرى *

ايها الاله الفاحص القلوب والعارف اخفاء اسرار النفوس . طهّر بفيض الروح القدس كل حركات قلوبنا وافكار عقولنا لكى نحبك بمحبة كاملة ونسبحك تسبحة لايقة . * صلوة اخرى *

اضرم اللغم كلادنا وقلوبنا بنار روحك القدوس لنخدمك بجسم عفيف ونرضيك بقلب طاهر جميع ايام حياتنا *

الامم . وامدحوهُ يا ساير الشعوب . لان رحمته قد عظمت لدينا وحق الرب يدوم الى الابد (١١٩) *

٩. اذبحوا ذبيحة العدل وتوكلوا على الرب (٤) * فالذبيحة لله روحٌ منسحق . القلب المنخشع المتواضع ما يزذله الله (٥٠) * يارب من يسكن فى مسكنك او من يحل فى جبل قدسك . السالك بلا عيب ويعمل الصدق . ويتكلم الحق فى قلبه . الذى لم يغش بلسانهِ ولم يصنع بقريبهِ شرًا . ولم يقبل العار على اقاربه . الذى يحلف لقريبهِ ولا يغدر . وفضته لا يعطى بالربا ولا يقبل الرشوة على الابريا (١٤) * فاذج لك طايعًا واعترف لاسمك يارب فانه صالح (٥٣) * ادخل الى بيتك واسجد فى هيكل قدسك بخوفك (٥) * من هو الانسان فانك تذكره . او ابن الانسان فانك تفتقده . انقصتهُ قليلًا عن الملايكة بالمجد والكرامة كللته وعلى اعمال يديك سلطتهُ (٨) * من يصعد الى جبل الرب او من يقوم فى موضع قدسه . الطاهر اليدين . النقى القلب . هذا ينال بركةً من الرب ورحمةً من الله مخلصه (٢٣) * لك ينبغى التسبيح يا الله فى صهيون . ولك توفَى النذور فى اورشليم . طوبى لمن اخترته وقبلته ليسكن فى ديارك ويشبع من خيرات بيتك . قدوسٌ هو هيكلك (٤٣) * استمع يارب صوت تضرعى اذ دعوت اليك واذ رفعت يدى الى هيكل قدسك (٢٧) * خلص يارب شعبك وبارك ميراثك ارعاهم وسوسهم الى الدهر (٩) * ها منذ الان باركوا

٦. من الاعماق صرخت اليك يارب . يارب استمع صوتى . لتكن اذناك تنصتان الى صوت تضرعى . ان كنت للاثام راصدًا يارب . يارب من يثبت (١٢٤) * اما انا فمسكين وفقير والرب يهتم بي . معينى وعاضدى انت هو يارب فلا تبطو (٣٩) * انظر الى تواضعى وتعبى واغفر جميع خطاياى (٣٤) *

٧. ارحمنى يارب فانى ضعيف . اشفنى يارب فان قد اضطربت عظامى (٩) * قد اعترفت باثمى ولم اكتم خطيتى (١٣) * اذكر يارب رافتك ورحمتك فانها من الابد هى . خطايا شبابي وجهلى لا تذكر . بل مثل كثرة رحمتك اذكرنى انت من اجل صلاحك يارب (٢٤) * ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رافتك امحو ماثمى . اغسلنى كثيرًا من اثمى ومن خطيتى طهرنى . لانى انا عارفٌ باثامى وخطاياى امامى فى كل حين . لك وحدك اخطات والشر قدامك صنعت . اصرف وجهك عن خطاياى وامحو كل ماثمى . قلبًا نقيًا اخلق فىَّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدد فى احشاى (٥٠) *

٨. لمراحمك يارب اسبح الى الدهر . واخبر بفمى حقك الى جيلٍ وجيل (٨٨) * لانك انت يارب صالح ووديع وكثير الرحمة لساير المستغيثين بك (٨٥) * الرب رحومٌ وروف طويل الروح وكثير الرحمة . ليس الى الانقضا يسخط . ولا الى الدهر يحقد (١٠٢) * اعترفوا للرب وادعوا باسمه . اخبروا فى الامم باعماله (١٠٥) * سبحوا الرب يا جميع

التوكل على الروسا (١١٧) * لماذا انت حزينة يا نفسى . ولماذا تقلقينى . توكلى على الله (٢١م) * الرب نورى ومخلصى ممن اخاف . الرب عاضد حياتى ممن اجزع (٢٦)* اليك يارب رفعت نفسى . الهى عليك توكلت فلا اخزى (٢٢م) *كن لى الهًا عاضدًا وبيت ملجا لتخلصنى . عليك يارب توكلت فلا اخزى الى الدهر (٣٠) *

٩. ما اصلح الله لاسرايل المستقيمة قلوبهم (١٢) * احبك يارب قوتى . الرب ثباتى وملجاى ومخلصى الهى عونى وعليه اتكل (١٧) * ما احب مساكنك يارب القوات تشتاق وتميل نفسى الى ديار الرب . قلبى وجسمى قد ابتهجا بالاله الحى . مثل العصفور الذى وجد له مسكنًا ومثل اليمامة التى اصابت عشًا لذاتها لتضع فيه افراخها . فطوبى للسكان فى بيتك يارب والى الابد يسبحونك . انظر ايها الاله المحامى عنا اطلع على وجه مسيحك . لان يومًا واحدًا فى ديارك افضل من الاف (٨٣) * بماذا اكافى الرب عن كل ما اعطانيه . كاس الخلاص اقبل وباسم الرب ادعو . نذورى افى للرب امام كل شعبه . يارب انا عبدك . عبدك انا وابن امتك (٥١٢)*

٥. يارب امامك هى شهوتى وتنهدى عنك لم يخفَ (٣٧) * فرحت بالقايلين لى الى بيت الرب نذهب . (١٢١) * مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى (١٠٧) * كما يشتاق الايل الى ينابيع المياه . كذلك تتوق نفسى اليك يا الله . عطشت نفسى الى الله الحى القوى . متى اجى وانظر الى وجه الله (٤١م) *

٩. من

اذنيك فى يوم حزنى واستجب لى سريعًا فى اليوم الذى ادعوك فيه . لان ايامى قد فنيت كالدخان . وعظامى فى مثل مقلى قد قليت . (١٠١) * لتستقم صلاتى كالبخور قدامك . ليكن ارتفاع يدى ذبيحةً مسائيـة . (١٤٠) * لكلماتى انصت يارب تفطن فى صراخى . واصغى الى صوت تضرعى يا ملكى والهى . لانى اليك اصلى يارب فبالغداة اسمع صوتى . (٥) * فاسكن فى مساكنك الى الدهـر . واستظل بستر جناحيك . لذلك ارتل لاسمك الى الدهر واقضيك نذورى يومًا فيومًا (٦٠) *

٢. اعترف للرب على قدر عدله وارتل لاسـم الـرب العالى (٧) * اعترف لك يارب من كل قلبى . احـدث بجميع عجايبك (٩) * اعترف لك فى الجماعة الكثيرة وفى شعبٍ جزيل اسبحك (٣٤) * مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى . اسبح وارتل . استيقظ يا مجدى . استيقظ يا ايهـا المزمار والقيثارة . ساستيقظ سحرًا . ارتفـع اللـهَّ عـلى السموات وعلى سايـر الارض مجدك (٥٦) * قدام الملـيكـة ارتل لك . اسجـد لك فى هيكلـك المقـدس واعترف لاسمك (١٣٧) *

٣. ربي والهى عليك توكلت فخلصنى (٧) * ادخل الى بيتك واسجد فى هيكل قدسك بخوفـك (٥) * الذيـن يتوكلون على الرب مثل جبـل صهيون . لا يزول الى الدهر ساكن اورشليم (١٢٤) * صالح هو الرجا بالرب من الرجا بالانسان . صالح هو التوكل على الرب مـن التوكل

مضى . واسالك ان تصفح عما صدر منى بها من النقايص والذنوب . ثم انى اقدم لك هذا الرقاد الذى تمنحنى اياه * يارب فى يديك استودع روحى . احفظنى يارب مثل حدقة العين *

ارحمنى ايها الثالوث الاقدس . ولا تنسينى يا والدة الاله . انهض لمحامانى ايها القديس ميخايل . وقم لمعونتى يا ايها الملك حارسى . اسعفونى ايها القديسون شفعاى * يا يسوع ومريم وماريوسف فى يدكم استودع نفسى وجسدى *

(تنبيه) اجتهد فى ان تحرر عند رقادك فى طرس عقلك فكرًا ما صالحًا لكى يكون رقادك فى سلام الرب كقول النبى *

❁ استعداد الكاهن قبل ان يقدس ❁
❁ الاسرار الالهية ❁

* صلوات ملتقطة من سفر المزامير *

١. يا الله الهى اليك ابتكر . عطشت اليك نفسى كما ينبسط لك جسدى فى ارضٍ برية وغير مسلوكة وعديمة الماء . هكذا ظهرت لك فى القدس لاعاين قوتك ومجدك . فتمتلئ نفسى كانها من شحم ودسم . وبشفاه الابتهاج يسبحك فمى . (مزمور ٦٢) * يارب اسمع صلاتى وليدخل اليك صراخى . لا تحول وجهك عنى . امل الىَّ اذنيك

التوسلات المقدمة لاجلهم الغفران الذى يتوقعونه دايمًا من فيض مراحمك . انت الذى تحيى وتملك الخ *

يا مانح الغفران ومحب خلاص الجنس البشرى اننا نسال رافتك ان تمنح اخوان جمعيتنا واقاربنا وكافة المحسنين الينا الذين انتقلوا من هذا العالم الولوج الى السعادة الابدية . بشفاعة مريم البتول الكلية الطهارة وجميع القديسين . امين *

افض يا الهى بركاتك السموية على حبرنا الاعظم وبطركنا واسقفنا وكافة الاكليروس الارتودوكسى . وعلى اقربائى والمحسنين الىَّ وعلى المحبين والاعدا . اكفِ المحتاجين . عِزّ الحزانا . رافق المسافرين . ساعد المرضى والمتضايقين . تراأف على الخطاه . رد الضالين والارتقة والغير المومنين . وارحم ايها الاله الشفوق جميع الموتى المومنين الراقدين على رجاك لاسيما اقربائى ونجِّ انفسهم واجعلهم ان يلجوا سريعًا السعادة الابدية . امين * اخيرًا قُل * يا مريم يا ام النعمة . يا ام الرحمة من تجارب العدو احمينى وفى ساعة الموت اقبلينى * يا يسوع المولود من البتول الطاهرة لك المجد مع ابيك وروحك الكلى قدسه الى دهر الداهرين . امين * وعندما تسير الى الرقاد كرر الافعال التى تُمارس صباحًا عند الانتباه من النوم وهى *

انى اسجد لك يا الهى بما انك خالقى وحافظى ومولاى وسيدى الاعظم . ثم انى اشكرك على سايرِ الخيرات والانعام التى اوصلتها الىَّ فى كل ايام حياتى وخاصةً فى هذا النهار الذى مضى

انظر يارب بعين الرحمة والرضا الى خاصتك التى لاجلها سلم ذاته سيدنا يسوع المسيح ليد الاشرار وكابد الام الصليب القادحة . ذاك الذى يحيى ويملك معك الخ *
ههنا اتلُ طلبة السيدة . ثم قُل هذه الصلاة *

نسالك يارب ان تمنحنا بشفاعة الطوباوية والدايمة بتوليتها مريم صحة العقل والجسد معًا . ثم الانعتاق من احزان هذا العالم والتمتع بالافراح الدايمة . بحق ربنا يسوع المسيح . امين *

ايها القديس المجيد يوسف الذى انتخبك الله من بين كل الخلايق لتكون خطيبًا للكلية الطهارة مريم البتول وبمنزلة اب ليسوع ابنه الحبيب . اسالك ان تجعلنى تحت كنفك وحمايتك القوية فى هذا الليل وفى كل وقتٍ لاسيما فى وقت موتى . وارجوك ان تستمد لى نعمةً لاموت نظيرك بين يدى يسوع ومريم . امين *

يا ملاك الله الذى تقلدت حراستى من رحمته تعالى كافة ايام حياتى . اسالك ان تحرسنى دايمًا وخاصةً فى هذا الليل وان تنيرنى وتصونى وتدبرنى وتسوسنى . امين *
وبعد ذلك يمكنك ان تتلو مزمور من الاعماق عن الانفس المطهرية . وعند انتهايه اردف قايلًا : يارب استمع صلاتى * وصراخى اليك ياتى * فلتسترح انفس الموتى المومنين * برحمة الله والسلامة . امين * صلوة *

اللهمَّ يا خالق المومنين وفاديهم سامح وامحُ خطايا انفس عبيدك وجواريك واصفح عن سياتهم لكى ينالوا بواسطة التوسلات

المعروف نحو الاحسانات التى نلتها من جوده لاسيما فى هذا النهار الذى عبر *

* فعل الانسحاق *

ارحمنى يا الهى ارحمنى فانى نادمٌ من صميم قلبى على جميع خطاياى . ومتوجع توجعًا فايقًا ليس فقط لاجل الخيرات التى خسرتها والدينونة والعذابات التى استوجبتها بارتكابي الخطية . بل بالافضل لكونى اهنت عزتك الالهية . وكافيت جودتك الغير الموصوفة واحساناتك الغير المحدودة بالخيانة والعصيان . يا مَن انت الهٌ صالح بغير تناهٍ ومستحق ان تُحب وتُهاب وتُخدم وتُطاع من جميع الخلايق كافةً فوق كلشى . فيا ليتنى كنت متُ قبل ارتكابي الخطية التى الحقت اهانةً باله عزيز الاقتدار ومحبوب للغاية . فها انا الان يا الهى اعد واعزم عزمًا ثابتًا بعدم الرجوع اليها ويتجنب اسبابها ايضًا . وارتضى بالموت ولا بالخطية . فثبّت يا الهى قصدى هذا بنعمتك . واسمح ان اموت الف ميتة ولا ان اسقط فيما بعد فى الخطية اصلاً . امين * احفظنا يارب فى هذا الليل : واجعلنا ان نجوزه بدون خطية : ارحمنا يا الهنا ارحمنا * يارب استمع صلاتى * وصراخى اليك ياتى * صلوة *

نسالك يارب ان تفتقد هذا المسكن وتقصى عنه بعيدًا مكامن الاعدا ومكايدهم . وارتض ان ترسل ملايكتك القديسين ليسكنوا به ويحفظونا بسلام . وان تحل بركتك دايمًا على كلنا . بحق يسوع المسيح ربنا . امين *

انظر

ايها الروح القدس الخ . كما مر فى الوجه ١١ . ثم استتلى قايلًا : فليكن مباركًا الثالوث الاقدس الغير المنقسم الان وكل اوان والى ابد الابدين . امين *

انا اومن يا الهى انك حاضرٌ ههنا وعالمٌ بافكارى وشهوات قلبى وعواطفه . وعارفٌ باقوالى وافعالى كلها . واشكرك لاجل سايرِ النعم الروحية والجسدية التى منحتنيها فى مدة حياتى كلها وخاصةً فى هذا النهار الذى عبر . ترى كم من النقايص ارتكبت فى مدة عبوره بالفكر والقول والفعل والاهمال . مجاوزًا وصاياك الالهية ووصاياكَ كنيستك المقدسة . فانت يا الهى ارحمنى كعظيم رحمتك . وهبنى نورًا كافيًا لاطّلع على شناعة اثامى . ونعمة لاصدر ندامةً حقيقية عليها . وقصدًا ثابتًا بعدم الرجوع اليها * وانتِ يا والدة الاله الكلية الطهارة اعطينى ينابيع دموعٍ لكى اغسل بهنَّ ذنوبى . واصنع اتلام نفسى مينعة ثمار الفضايل . واجعلينى مستحقًا ان اعبر بقية ايام حياتى بعفة النفس والجسد ونقاوة الاعمال والافكار معًا *

ههنا افحص ضميرك جايلًا بفكرك الاماكن التى ذهبت اليها . والاشخاص الذين ترددت معهم . والوظايف التى مارستها وذلك ليمكنك ان تجد بسهولة ما اخطات به فى هذا النهار انكان بالفكر او بالقول او بالاعمال . وغب ذلك قل فعل الانسحاق التابع . الا انه يجب عليك قبلًا ان تعتبر جيدًا مقدار شناعة الخطية وقباحتها . وعظم الاهانة التى تحصل لعزته تعالى من جرايها . ثم عدم

المعروف

يحيى ويملك معك الى ابد الابديين . امين *

ثم قُل ملاك الرب بشر الخ *

اخيرًا اختتم رياضتك هذه قايلاً : فليباركنى الرب ويصوننى من كل شرٍ ويقتادنى الى الحيوة الابدية *

فلتسترح انفس الموتى المومنين * برحمة الله والسلامة . امين *

✲ قبل الابتدا فى العمل ✲

نسالك يارب ان تسبق اعمالنا بتوفيقك وتصحبها بمعونتك . لتبتدى جميع صلواتنا وافعالنا منك وتكمل من اجلك * غيرها * امنحنى ياسيدى نعمةً لاباشر هذا العمل بالنوع الذى يرضيك . واجعلنى ان اتممه كما يجب بصبر واحتمال وفاءً عن خطاياى *

✲ قبل الاكل ✲

انى اشكرك يا الهى لاجل هذا الطعام الذى تمنحنى اياه . وكما انك تقيت جسدى فاسالك ان تقيت روحى ايضًا بكلامك المقدس *

✲ بعد الاكل ✲

انى اشكرك يا الهى لاجل هذا الطعام الذى منحتنى اياه . وكما انك شددت قواى فاجعلنى بنعمتك ان اتمم باحسن نوع واجباتى كلها *

✲ رياضة اخرى تُمارس مساءً ✲

انك بعد ان ترسم ذاتك باشارة الصليب قُل : هلمَّ ايها

من غضبك . بحق موتك ودفنك .
من مكايد الشيطان . بحق قيامتك .
من روح الزنا . بحق فرحك .
من الموت الابدى . بحق مجدك .
من التهاون باطاماتك . يا حمل الله الرافع
بحق سر تجسدك المقدس . خطايا العالم * اغفر لنا .
بحق ميلادك . يا حمل الله الرافع خطايا
بحق طفوليتك . العالم * استجب لنا
بحق حياتك الالهية . يا حمل الله الرافع خطايا
بحق اتعابك . العالم * ارحمنا
بحق نزاعك والامك . يا يسوع * انصت الينا .
بحق صلبك . يا يسوع * استجب لنا .
بحق ضعفك . كيريالسون الخ .

يا يسوع

✲ صلوة ✲

يا سيدنا يسوع المسيح يامن قلت : سلوا تُعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يُفتح لكم . نسالك ان تهبنا تاثير محبتك الالهية لكى نحبك من كل قلوبنا ونسبحك بافواهنا بدون انقطاع سايرايام حياتنا والى ابد الابدين . امين *

✲ صلوة ✲

ايها الاله الذى اقمت ابنك الوحيد مخلصًا للجنس البشرى وامرت ان يُدعى اسمه يسوع . امنحنا بتحننك نحن الذين نكرم اسمه القدوس على الارض ان نتمتع ايضًا بمشاهدته فى السما . بحق سيدنا يسوع المسيح هذا الذى

يحيى

يا يسوع شمس العدل .
يا يسوع ابن مريم العذراء .
يا يسوع الحبيب .
يا يسوع العجيب .
يا يسوع الاله القوى .
يا يسوع ابا الدهر العتيد . ارحمنا
يا يسوع ملك المشورة العظيمة .
يا يسوع الكلى القدرة .
يا يسوع الكلى الصبر .
يا يسوع الكلى الطاعة .
يا يسوع الوديع المتواضع .
يا يسوع محب العفة .
يا يسوع محبنا . ارحمنا
يا يسوع اله الصلح .
يا يسوع منشئ الحياة .
يا يسوع نموذج الفضايل .
يا يسوع الغيور على الانفس .
يا يسوع الهنا .

يا يسوع ملجانا
يا يسوع ابا المساكين .
يا يسوع كنز المومنين . ارحمنا
يا يسوع الراعى الصالح .
يا يسوع النور الحقيقى .
يا يسوع الحكمة الازلية .
يا يسوع الجود الغير المتناهى .
يا يسوع طريقنا وحياتنا .
يا يسوع فرح الملايكة .
يا يسوع معلم الرسل . ارحمنا
يا يسوع مرشد الانجيليين .
يا يسوع شجاعة الشهدا .
يا يسوع نور المعترفين .
يا يسوع طهارة العذارى .
يا يسوع اكليل جميع القديسين .
كن لنا رحومًا * اغفر لنا يا يسوع . نحنا يا يسوع
كن لنا شفوقًا * استجب لنا يا يسوع .
من كل خطية .

قايلاً : اننى لاجلك يارب اصنع هذا . ولان هذا هو رضاك وارادتك فلست اريد انا سوى ما تريده انت . ورضاى هو رضاك ياالهى . ولا اعرف ان اريد او ان ارذل سوى ما تريده انت او ترذله . وكل سرورى وعزاى هو ان تتمم ارادتك . فان كنت انا ارضيك واصنع مسرتك فلا اشتهى شيًا اخر بعد . ومن دون هذا لايوجد شى اريده وارغبه لا فى السما ولا على الارض . ثم اقصد ان ترج سايرالغفرانات التى يمكنك رجها بواسطة الافعال التى تمارسها فى هذا النهار بحيث ان ذلك يسره تعالى ويجديك نفعًا . ويكون ذا فاية للاحيا والاموات الموجودين فى المطهر *

ههنا اتلُ تاملاً ما مقتطفًا من كتابٍ ما روحى خشوعى . ثم اصرف نحو نصف ساعة زمان فى ممارسة الصلوة العقلية . وعند انتهايها اتلُ طلبة اسم يسوع الاتية *

* طلبة لاسم يسوع الاقدس *

كيريالیسون . يا روح القدس
كريستياليسون . الله * ارحمنا
كيريالیسون . ايها الثالوث القدوس
يا يسوع * انصت الينا الاله الواحد .
يا يسوع * استجب لنا يا يسوع ابن الله الحى .
ايها الاب السماوى يا يسوع ضيا الاب
الله * ارحمنا يا يسوع بياض النور
يا ابن الله مخلص الازلى .
العالم * ارحمنا يا يسوع ملك المجد .

يا

قلبى ومتوجعٌ توجعًا كليًا لانى اهنت عظمتك الالهية وصلاحك وجودك الغير المتناهى . ولذلك فانى بكل تواضعٍ التمس من تحننك الغفران عنها . واعزم بنعمتك عزمًا ثابتًا ان اموت احرى من ان ارجع الى الخطية *

ههنا اتلُ الصلوة الربية . والسلام الملايكى . ووصايا الله والكنيسة . ثم اردف قايلًا *

تحت ذيل حمايتك نلتجى يا والدة الله القديسة فلا تغفلى عن طلباتنا عند احتياجنا اليك . لكن نجينا من جميع المخاطر ايتها العذرا المجيدة المباركة . امين *

يا ملاك الله الذى تقلدت حراستى من رحمتهِ تعالى اسالك ان تنيرنى وتصوننى وتدبرنى وتسوسنى . امين *

تنبيه * افتكر مراتٍ كثيرةً ان هذا النهار قد اُعطى لك لتربح السما بعبادتك الحقيقية للرب وحبك اياه القلبى * امقت الخطايا المفعولة منك مقتًا حقيقيًا لاسيما تلك التى ترى ذاتك منصبًا اليها اكثر انصبابًا . واهرب بعيدًا من اسباب الخطية ومن معاشرة الاناس الاشرار ومذاكرتهم * ارفع عقلك مراتٍ كثيرة نحو العلا باشواقٍ ونوافد حارة . وبحركات عواطف لينة مخشعة . وبتنهداتٍ وزفراتٍ مضطرمة . وصلوات وجيزة سهمية * اياك والكسل اصل جميع الرذايل وسببها * تامل بتواتر العواقب الاخيرة اعنى بها الموت والدينونة والجحيم والنعيم * اعتبر بانك ممتثلٌ دايمًا امام عزته تعالى . واجتهد بان تتمم باحسن نوع كامل واجباتك * ارفع قلبك فى كل عمل الى الله قايلا :

معترفًا بانك انت خالقى ومولاى وسيدى الاعظم . وان حياتى هى فى يدك . فانت بتحننك لم ترتض بان تخلقنى فقط . بل قد فديتنى بدم ابنك الحبيب ايضًا وجعلتنى ابنًا للكنيسة الحقيقية بواسطة العماد . فاشكرك من ثم يا الهى شكرًا غير متناه على هذه الاحسانات الجزيلة التى اسديتها نحوى . وعلى سايرِ الخيرات الروحية والزمنية التى منحتنيها حتى الى هذا الان الحاضر *

ان كلما هو لى يا الهى فانما هو خاصتك . ولك اقدمه بكليته . فها انا اقدم لك افكارى وعواطف قلبى واقوالى وافعالى كلها . فقدسها انت يا الهى واجعلها ان تكون دايمًا متجهة كلها الى ما يول الى مجدك *

انا اومن يا الهى بكلما تومن به وتعلمه الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الرومانية بما انك انت اوحيته لها . وفى هذا الايمان اريد ان اعيش واموت *

انا ارجو يا الهى لان مواعيدك هى ثابتة ولا يشوبها زلل ونقصان البتة . انك باستحقاقات سيدنا يسوع المسيح تمنحنى الحيوة الابدية والنعم الضرورية لنوالها *

انا احبك يا الهى الفايق الجود والكمال من كل قلبى ومن كل قوتى ومن كل نفسى فوق كلشى . فزد قلبى دايمًا والى الابد اضطرامًا بمحبتك *

فانا اغفر يا الهى من كل قلبى لمن اخطا واساء الىَّ . ولاجل محبتك احب ايضًا قريبى مثل نفسى *

يا الهى وخالقى المحبوب فى الغاية انى نادمٌ من صميم قلبى

الحاضرة . ولاسيما لاجل انك حفظتنى فى هذا الليل الذى عبر . ثم انى اسالك ان تصفح وتعفو عما صدر منى بها من الزلل والنقصان . وتهبنى نعمة لاجوز بقداسة هذا النهار الممنوح لى من جودك ايضًا . فها انا اقدم لك افكارى واقوالى واتعابى كلها لكونى لا ابتغى ولا اتمنى شيًا اخر سوى مجدك *

ايتها البتول مريم والدة الاله الكلية الطهارة تضرعى لاجلى الى ابنك الحبيب . يا ملاكى الحارس احرسنى . ايها القديسون شفعاى امجدونى * وباثنايه تامل حقيقةً ما من حقايق الديانة . اواتلُ المزمور ٩٢ . اوما يضاهى ذلك * ثم بعد ان تكون انتهيت من لبس ثيابك ابتدِ بصلاتك مستدعيًا عون الروح القدس اذ تطلب منه ان ينير عقلك باشعة انواره السموية قايلًا *

هلمَّ ايها الروح القدس واستقر فى قلوب مومنيك واضرمها بنار محبتك . (س) ارسل روحك فيخلقوا (ج) ويجدد وجه الارض *

* صلوة *

اللهمَّ يا منير قلوب المومنين بنور روحك الكلى قدسه . انر الان قلوبنا بهذا الروح لنفهم طرقك المستقيمة ونتمتع بسلوانه وتعزيته الى الابد . * ثم قل الافعال التابعة *

انا اومن يا الهى انك حاضرٌ ههنا وناظرٌ الىَّ وعارفٌ افكارى وفاحص شهوات قلبى وعواطفه كلها . ومايلٌ بسمعك الى صوت تضرعى . فانا اسجد لك يا الهى وافر معترفا

فى ممارسة الصلوة العقلية . غفرانًا كاملًا موبدًا . تمكن تقدمته ايضًا بنوع اسعاف الى الانفس المطهرية . وهذا انما ينالونه مرةً فى كل شهر فى اليوم الذى به يعترفون ويتناولون القربان الاقدس . ويبتهلون لله لاجل الكنيسة المقدسة والاتفاق ما بين الملوك المسيحيين *

وهذا الغفران ذاته انما هو ممنوح ايضًا بالشروط المذكورة اعلاه عينها . اولًا لجميع الذين يعلّمون بتواتر جهارًا او خفيةً كيفية ممارسة الصلوة العقلية . ثانيًا ولجميع الذين يترددون بتكاثرٍ ليتعلموها * ثم انه قد منح ايضًا غفران سبع سنين وسبع اربعينيات ايام ينالهُ المومنون كافةً كل مرة يعلّمون نوع ممارسة الصلوة العقلية او يحضرون تعليمها . بحيث ان يكونوا وقتئذٍ نادمين حقًا ومتناولين القربان المقدس *

❁ رياضة تمارس ❁

❁ صباحًا ❁

انك حالما تنهض من الرقاد وترسم ذاتك باشارة الصليب المقدس اتلُ النافدة الاتية وهى : فليكن مباركًا الثالوث الاقدس الغير المنقسم الان وكل اوان والى ابد الابدين * ثم استتلى قايلًا : انى اسجد لك يا الهى بما انك مولاى وسيدى الاعظم . واشكرك لاجل الاحسانات التى منحتنيها منذ اول دقيقة من حيانى الى هذه الساعة الحاضرة

موافقًا وامينًا فيسدى شكرًا لجوده تعالى على ذلك . والا فيستمد من مراحمه باتضاع وانسحاق العفو والغفران . ثم يقصد قصدًا ملايمًا وفعّالًا بان يحفظ الحقايق . لا بل ان يقتدى بالنموذجات الحميدة ويمارس الفضايل المتاملة منه ماقتًا وهاربًا مما يضادها . فممارسة ما ذُكر تتضمن اصدار الافعال الاربعة التى تصير فى وسط الصلوة : اعنى بها التامل والمقابلة والتقدمة والقصد *

اعتبر اخيرًا . ان الافعال التى تمارس فى اختتام الصلوة انما تختلف قليلًا عن تلك التى تمارس فى ابتدايها . وتتضمنها هذه الصلوة الوجيزة التابعة وهى * انى اسجد لك يا الهى بما انك سيدى الاعظم وخالقى وحافظى . واشكرك لجهة الالهامات والانوار التى انرت بها عقلى وحركت ارادتى نحو العواطف والمقاصد الحميدة . ثم اسالك ان تصفح عما صدر منى من الزلل والنقصان فى ممارسة هذه الصلوة . وان تهبنى نعمة لاجتنى افادة من الحقايق والنموذجات التى تاملتها . اذ انى اقدم لك تلك العواطف والمقاصد الحميدة عينها التى حركتْ ارادتى نحوها . موعدًا على ذاتى بحفظها * ثم بعد ذلك يضمر نافدةً ما يمارسها فى ذلك النهار . ويختتم صلاته تاليًا طلبة اسم يسوع والسيدة . او طلبة جميع القديسين . او صلوة اخرى لفظية *

اعلم ان البابا بناديكتوس عشر . بمنشوره المبرز فى ١٤ . كانون ١ . سنة ١٧٢٤ قد منح الى سايـر المومنيـن كافةً الذين يصرفون كل يوم مقدار نصف . او اقله ربع ساعة

ان المسيحى ينمو فى الفضايل . او ان الكاهن يعيش عيشةً صالحة لايقة بدرجته بدون الصلوة العقلية *

فاذا تقررت ولو انه بطريق الاختصار ضرورة هذه الصلوة فلا بدَّ اذًا من ممارستها جيدًا . ولهذا يتطلب اصدار اثنى عشر فعلاً . اربعة فى ابتدايها واربعة فى وسطها واربعة فى اختتامها . فالافعال التى من شانها ان تصير فى ابتدايها: اعنى بعد وسم اشارة الصليب واستدعا الروح القدس : هى فعل السجود والشكر والطلبة والتقدمة . وهذه تتضمنها الصلوة التابعة وهى * انى اسجد لك يا الهى لكونك سيدى ومولاى الاعظم . واشكرك على المواهب والنعم الغير المتناهية التى منحتنيها وخاصةً لانك جعلتنى ابنًا لكنيستك وانرتنى بنور حقايقك الابدية . ثم انى اسالك ان تعفو عما صدر منى من الاهمال والقصور فى عدم تاملها والسلوك بموجبها كما يجب فيما مضى . وان تهبنى نعمةً لاتممها الان جيدًا . اذ انى اقدم لك كينبوع سايرالخيرات الوحيد تلك الانوار التى تنيرنى بها * فمن بعد تلاوة هذه الصلوة يقرا المتروض تاملاً ما فى احد الكتب الروحية ان لم يكن تلاه قبلاً . او يردد فى عقله حقيقة ما من الحقايق الابدية . او ياخذ بتامل احدى الفضايل التى السيد المسيح قدم لنا نفسه فيها مثالاً . او يتفطن فى سيرة السيدة الكلية الطهارة والقديسين . ويتامل ذلك اولًا جملةً . ثم جزًا فجزًا . وبعده يقابل سيرته الخصوصية مع الحقيقة او النموذج المعتبر منه ويلاحظ انكان سلوكه يطابق ما تامله او لا . فان وجده موافقًا

تامل قضية ما من قضايا الايمان . او اسرار ديانتنا المقدسة . او الفضايل التى قدم لنا فيها نفسه مثالاً سيدنا يسوع المسيح . او نموذجات البتول الكلية الطهارة وساير القديسين كافةً . فهذه الصلوة ايضًا تمكن ممارستها فى كل زمن ومكان . الا انها من عادتها ان تُمارس صباحًا او مساءً فى موضعٍ مختلٍ وهادٍ بنوعٍ خشوعى ومحتشم على قدر الاستطاعة *

اعتبر ثامنًا . ان ممارسة هذا النوع من الصلوة انما هو ضرورىٌ باقصى غاية . وسيدنا يسوع المسيح له المجد كان يمارسه ليلاً ونهارًا وذلك لارشادنا . ومن هذه الصلوة عينها قد تعلمت مراتٍ كثيرةً الرسل واخذت تلك الاجوبة الحكيمة واعطتها للظالمين . ومنها نالت قوة الثبات فى العذابات الاشد قساوة . ومنها استوعبت الملافنة علومهم المتنوعة الرفيعة بنوع ان القديس توما اللاهوتى كان يقول : انه بتاملهِ مقدار ربع ساعة امام المصلوب كان يتعلم اكثر مما كان يتعلمه بدرسه ومطالعته الكتب ايامًا كثيرة . ولعمرى ان تامل احدى الحقايق الانجيلية قد جعلت انطونيوس ان يعتزل عن العالم ويقطن البرارى ويشحنها قديسين . واعتبار حياة القديسين والتامل بفضايلهم صيَّرا اغناطيوس ان يدع جانبًا جنودية هذا العالم ويصير جنديًا للمسيح . وهكذا تم رجوع القديسين كافةً وارتدادهم الى الله : اعنى عند ترددهم فى حقيقة ما من حقايق الايمان . ثم ان معلمى الحيوة الروحية يقررون برأى واحدٍ انه لمن المستحيل

وتكسيرها . وبدون تلهوج . بل بخشوعٍ وعبادةٍ . وهذه الصلوات فمنها قصيرة ومنها طويلة . فالطويلة هى مثل الابانا والسلام وما يضاهيهما . والمختصرة هى مثل : يا يسوع ارحمنى : الهى كن لى معينًا : اللهمَّ اصغَ الى معونتى يارب اسرع الى اغاثتى : يا قلب يسوع العذب اضرم فى قلبى بزيادة نار محبتك : فليكن ممدوحًا ومشكورًا فى كل دقيقة القربان الهى الجزيل القداسة : يا يسوع ومريم ومار يوسف انى استودعكم قلبى وروحى : وما يضاهيها . وهذه الصلوات تدعى نوافل *

اعتبر سادسًا . ان الصلوة اللفظية تُمارس على نوعٍ خاص صباحًا ومساءً . وقبل الشغل والاكل وبعدهما . وقبل وبعد قبول احد الاسرار . وفى الاخطار الروحية والجسدية . ولاسيما فى تلاوة الساعات القانونية من الموسومين بالدرجات المقدسة وغيرهم فى الازمنة المحددة من الكنيسة . وفى تكميل خدمة القداس الالهى . ثم فى التبشير الملايكى ثلث مرات بالنهار . وتلاوة الوردية يوميًا . وصلوات النوب وما شاكلها * اما الصلوات المدعوة نوافل تمكن ممارستها فى كل وقتٍ ومكان بسهولةٍ كلية وافادة روحية جزيلة . لان هذه تصّيرنا ممتثلين بحضرته تعالى . وتقوّم دايمًا نيتنا وتجعلنا ان نفتكر ونريد ونصنع حسب مقتضى روح الايمان . وتدع النفس ان تستقر بضعفها وتيئس من ذاتها . وتزيدها اتكالًا على الله *

اعتبر سابعًا . ان الصلوة العقلية هى التى تصير بممارسة

اعتبر ثالثًا . اننا لسنا نصلى لاجل القديسين الذين ما عاد لهم حاجة لصلواتنا . ولا لاجل الهالكين الذين لا تجنيهم نفعًا توسلاتنا . بل لاجل الانفس المطهرية وساير البشر الاحيا . اعنى لاجل الاقربا والاصدقا . ولاجل الاعدا والصالحين والطالحين . والمومنين والغير المومنين . الا انه يُصلَّى بنوع خاص لاجل الحبر الاعظم . ثم لاجل البطريرك الخصوصى والاسقف وبقية الرعاة المالوفين . ولاجل جمهور الاكليروس الكاثوليكى كافةً . ولاجل الحاكم الخصوصى وبقية الولاة المسيحيين . ولاجل صلح الكنيسة واتفاقها . وانتشار الايمان الكاثوليكى واذاعته فى اربعة اقطار الدنيا . ولاجل رجوع الغير المومنين والاراتقة وارتدادهم الى حضن الكنيسة الحقيقية *

اعتبر رابعًا . ان الله قد خصص الصلوة بفاعلية عظيمة بهذا المقدار. حتى انه من يساله تعالى ما يلايم الخلاص ويطلب منه ذلك كما يجب فانه يناله حالاً كما قال المعلم المليكى . ومن يشك بهذه الحقيقة فلا جرم انه يظن به عز وجل انه ناقص القدرة او غير ثابتٍ فى عهده . فبالصلوة اذًا ننال النعم الضرورية لاكتساب الخلاص . ونخجو من التجارب . ونُعطى نعمة الثبات . ونُوهل الى قبول السعادة الابدية *

اعتبر خامسًا . ان الصلوة انما هى لفظية وعقلية . فاللفظية تصير بتلاوة بعض صلوات باصغاء وانتباه . وبتمييز الالفاظ وانفصالها بالتمام والكمال من دون ادغامها وتكسيرها .

❋ تنبيه ❋

❋ فى الصلوة على وجه العموم ❋

اعتبر اولاً . ان الصلوة يجب ان تكون صالحة حميدة والا لما كانت فعلاً دينيًا ولا عبادةً لله . ولكى تصير هكذا فيجب ان تكون اختيارية اما صريحًا واما مضمرًا . وان تصير باصغاء وانتباه حالى او بالقوة نحو الالفاظ ومعانيها . او نحو الاشيا الالهية . وبحرارة وبدالة وتواضع وعبادة وخشوع . بدون طياشه وتشتت العقل . بل بحشمة الجسد وترتيبه اللايق ايضًا . وان تكون متصلة مستديمة ولاجل اشيا ضرورية او ايلة الى خلاص النفس ومجده تعالى . وان يتقدمها اعتياديًا فعل انسحاق صريحًا او مضمرًا ❋

اعتبر ثانيًا . اننا نصلى الى الله الكلى الكمال . الواحد بالجوهر والمثلث الاقانيم . مانح ساير النعم وبارى البرية كلها وحافظها . ونصلى متضرعين اليه بواسطة استحقاقات سيدنا يسوع المسيح فادينا وشفيعنا الحى . لان بهذه الواسطة عينها تصير الصلوات باجمعها الى جلاله عز وجل . ثم اننا نبتهل الى البتول الكلية القداسة والدة الله اذ انها الواسطة الخاصة لنا والقادرة لدى ابنها الالهى . ونلتجى الى شفاعة القديسين ايضًا . لكى يستمدوا لنا صحبة هذه السيدة الجزيلة الرافة من الله النعم التى يختص به دون سواه منحها ❋

اعتبر